Save the Children

الأبحاث النوعية من اجل التنمية

"مورتن سكوفدال
فلورا كورنيش"

تمت الترجمة والمراجعة من خلال

مركز الأثر
IMPACT CENTER
مستقبل أفضل
BETTER FUTURE

ثناء على الكتاب

"يعدّ هذا الكتاب إضافة عملية ونظرية غنية بالمعلومات المفيدة، وهو ما يُشكِّلُ إثراءً للمكتبة الزاخرة بعددٍ من الكتب الدراسية التي تتناول الطرائق النوعية. يستعرض المؤلفان نطاق البحث النوعي ومدى أهمية مقاربة التنمية الدولية. وقد كان للخبرة التي راكماها في المجالين الأكاديمي والتنمية عظيم النفع في الخروج بهذا الدليل القيّم الذي يتناول العديد من الأسئلة التي طرحتها مؤسسات التنمية حول كيفية إجراء البحث النوعي والتحليل وكتابة التقارير. وأنا سعيدة لرؤية هذا الكتاب القيّم يخرج إلى النور!"

جانيت سيلي، أستاذة الأنثروبولوجيا والصحة،

مدرسة لندن لحفظ الصحة وطب المناطق المدارية

"هل ثمة حاجة إلى كتاب آخر عن الطرائق النوعية؟ للوهلة الأولى، ربما لا، غير أنه بعد قراءة هذا المجلد، تبيّن أن هناك أسبابًا وجيهة تجعلك تعيد التفكير في هذه "الإجابة البديهية". إن النقاش الدائر حول الطرائق النوعية والكميّة قديم وربما أوشك على الانتهاء. وتجدر الإشارة إلى أن فهمنا للطرائق النوعية، أو عدمه، يتباين بمرور الوقت. وبالتالي، تحتاج كل فترة زمنية إلى تفسيرها الخاص للطرائق النوعية. وفي خضم النقاشات الدائرة، يأتي هذا المجلد ليجعل النقاش يتمحور بصورة واضحة حول الدليل والتعلّم والدقة وإدارة الأداء. ومع أنه موجّه بالأساس للممارسين في مجال الأبحاث النوعية، إلا أنني آمل أن يدرس آخرون محتوياته: مديرو المشاريع والبرامج ومَن يتخذون قرارات متعلقة بتصميم البحث والتقييم وتمويلهما وعلى وجه الخصوص، جميع مَن يستخدمون استنتاجات البحث والذين لديهم آراء حول ما إذا كان يمكن اعتبار عملية بحث معينة "دليلاً دامغًا".

كيم فورس، لجنة الخبراء السويدية لتحليل وتقييم المعونة

الأبحاث النوعية
من أجل التنمية

دليل الممارسين في مجال التنمية

مورتن سكوفدال وفلورا كورنيش

ⓒ مركز الأثر للبحوث والدراسات المحدودة ، ١٤٤٦هـ

كونيش ، فلورا
الأبحاث النوعية من أجل التنمية. / كونيش ، فلورا ؛ سكوفدال ، مورتن ؛ العمودي ، محمد ؛ ترجمان للترجمة .- الرياض ، ١٤٤٦هـ

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٩٥٤٨
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٥٥٠٧-٩

Practical Action Publishing Ltd
The Schumacher Centre,
Bourton on Dunsmore, Rugby,
Warwickshire, CV23 9QZ, UK
www.practicalactionpublishing.org

حقوق الطبع والنشر © محفوظة لصندوق أنقذوا الأطفال، ٢٠١٥

جرى التأكيد على حق المؤلفين في الإشارة إليهما على أنهما مؤلفا هذا العمل بموجب المادتين ٧٧ و٧٨ من قانون حقوق الطبع والنشر والتصاميم والبراءات لعام ١٩٨٨.

جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب أو إعادة إنتاجه أو استخدامه بأي شكل أو بأي وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو غيرها من الوسائل المعروفة الآن أو التي سيتم ابتكارها فيما بعد، بما في ذلك النسخ بالتصوير والتسجيل، أو في أي نظام لتخزين المعلومات أو استردادها، دون إذن كتابي من الناشرين.

قد تكون أسماء المنتجات أو الشركات علامات تجارية أو علامات مسجلة ولا تُستخدم إلا للتعريف والشرح دون نية التعدي.

يتوفر سجل مفهرس لهذا الكتاب من المكتبة البريطانية.

طُلب سجل مفهرس من هذا الكتاب من مكتبة الكونغرس.

الرقم الدولي الموحد للكتاب (ISBN) ٩٧٨١٨٥٣٩٨٥٣٧ كتاب بغلاف مقوى

الرقم الدولي الموحد للكتاب (ISBN) ٩٧٨١٨٥٣٩٨٥٤٤ كتاب بغلاف ورقي

الرقم الدولي الموحد للكتاب (ISBN) ٩٧٨١٧٨٠٤٤٨٥٣٤ مكتبة الكتاب الإلكتروني

الرقم الدولي الموحد للكتاب (ISBN) ٩٧٨١٧٨٠٤٤٨٥٤١ الكتاب الإلكتروني

الاقتباس: Skovdal, M., and Cornish, F., (2015) *Qualitative Research for Development*, Rugby, UK: Practical Action Publishing, <http://dx.doi.org/10.3362/9781780448534>

عملت مؤسسة Practical Action Publishing، منذ عام ١٩٧٤، على نشر وإصدار كتب ومعلومات لدعم أعمال التنمية الدولية على مستوى العالم. Practical Action Publishing هو الاسم التجاري لشركة Practical Action Publishing Ltd (رقم تسجيل الشركة: ١١٥٩٠١٨) وهي شركة النشر المملوكة بالكامل لمؤسسة Practical Action. ولا تتعامل Practical Action Publishing إلا مع الأدبيات التي تدعم أهداف مؤسستها الخيرية الأم وتعود أي أرباح تتحقق إلى Practical Action (رقم تسجيل المؤسسة الخيرية: ٢٤٧٢٥٧، رقم تسجيل ضريبة القيمة المضافة للمجموعة: ٨٨٠ ٩٩٢٤ ٧٦).

تعبّر الآراء ووجهات النظر الواردة في هذا الكتاب عن المؤلفين ولا تمثل آراء ووجهات نظر Practical Action Publishing Ltd أو مؤسستها الخيرية الأم Practical Action. بُذلت جهود معقولة لنشر بيانات ومعلومات موثوقة، ولكن ليس بوسع المؤلفين والناشر تحمل مسؤولية صحة جميع المواد أو العواقب المترتبة على استخدامها.

تصميم الغلاف: Mercer Design
تنضيد الحروف: Allzone Digital Services
الطباعة: Hobbs the Printers، المملكة المتحدة

إقرار

”إن دليل **الأبحاث النوعية من أجل التنمية - دليل للممارسين** الذي نشرته منظمة أنقذوا الاطفال في الأصل باللغة الإنجليزية تحت عنوان:

Qualitative Research For Development - A Guide For Practitoners

© 2015 أنقذوا الأطفال .

جميع الحقوق محفوظة.

متاح على العنوان التالي:

https://practicalactionpublishing.com/book/1755/qualitative-research-for-development

جودة الترجمة باللغة العربية وتماسكها مع النص الأصلي هي المسؤولية الوحيدة لمركز الأثر . الأصل الإنجليزي لهذا العمل هو النسخة الرسمية الوحيدة.“

المحتويات

قائمة الأشكال، والجداول، والمربعات، والأنشطة ix

نبذة عن المؤلفين xii

استهلال xiv

شكر وتقدير xvii

١ تحسين أثر البرامج والمساءلة من خلال البحث النوعي ١

استخدام "مقاربة بحثية" في المتابعة والتقييم ٢

البحث النوعي ٤

ما المقصود بالبحث النوعي؟ ٤

ما بعض أوجه القصور في البحث النوعي؟ ٧

الأبحاث النوعية من أجل التنمية ٨

مشاركة المستفيد والملاءمة والتمكين ٩

المساءلة ١٠

الأثر والابتكار والأدلة ١٢

القيمة مقابل المال ١٤

قابلية التوسع وإمكانية التكرار ١٤

المناصرة وتنظيم الحملات والتغيير الاجتماعي ١٥

تضمين البحث النوعي في دورة المشروع والبرنامج ١٦

تحليل الوضع وتقدير الاحتياجات ١٦

تحليل السياق المحلي ١٨

عوائق وميسّرات تحليل تقدم البرنامج ٢٠

تحليل "قصص التغيير" ٢١

"تحليل مواطن قوة البرنامج وقيوده" ٢٢

خيارات أخرى للتحليل ٢٢

٢ تصميم دراسة نوعية والتخطيط لها ٢٧

ما سبب التخطيط للدراسة النوعية؟ ٢٧

وضع سياق للحاجة إلى الدراسة ٣٠

التزام الوضوح بشأن دوافع بحثك ٣٢

إجراء مراجعة الأدبيات ٣٣

تحديد سؤال البحث ووضع أهداف الدراسة ٣٥

تصميم الدراسة النوعية ٣٧
اختيار مقاربة الدراسة ٣٧
تشكيل فريق الدراسة ٣٩
تحديد مكان الدراسة واختيار المشاركين ٤٠
اختيار طرائق البحث النوعي ٤٢
التغلب على المعضلات الاجتماعية والأخلاقية ٤٤
تحليل البيانات ٤٧
التكلفة والنطاق الزمني ٤٩
تضارب المصالح ٥١
معيار الجودة للبحث النوعي ٥١

٣ المقابلات ومناقشات مجموعة التركيز ٥٥
ما المقصود بالمقابلات ومناقشات مجموعة التركيز؟ ٥٦
ما سبب إجراء المقابلات ومجموعات التركيز؟ ٥٧
المقابلات أم مجموعات التركيز؟ كيفية الاختيار ٦٠
تصميم دراسة المقابلة أو مجموعة التركيز ٦١
قائمة المراجعة: دليل الموضوع الجيد ٧٠
التحديات المعتادة والاستجابات المحتملة ٧١

٤ المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ ٧٥
ماذا تعني المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ؟ ٧٧
لماذا تُستخدم المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ؟ ٧٨
تصميم دراسة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ ٨٣
تبرير اختيار المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ ٨٣
دور المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ واستخداماتها المتنوعة ٨٣
أدوار المراقب المشارك ودرجات المشاركة ٨٥
اختيار الحالة وأخذ العينات من الحالة ٨٧
جمع البيانات ٨٨
التحديات والاستجابات ٩٢
إمكانية الوصول والمقبولية ٩٣
تحيز الباحث ٩٣
القضايا الأخلاقية ٩٤

٥ طرائق جمع البيانات التشاركية ٩٩
مقدمة إلى البحث التشاركي ١٠٠
طرائق جمع البيانات التشاركية ١٠٢
شجرة المشكلات ١٠٤
خريطة الجسد ١٠٧
قصص التغيير ١١١
الرسوم البيانية اليومية ١١٢
البيانات التاريخية ١١٤
ترتيب التفضيلات ١١٥

رسم خرائط المجتمعات المحلية ١١٧
المخطط العنكبوتي ١٢٠
العثرات الشائعة التي تعترض استخدام طرائق جمع البيانات التشاركية ١٢٢
تعقيد المجتمع ١٢٢
علاقات السلطة ١٢٣
المشاركة ١٢٣
بناء القدرات ١٢٤
التزامات الوقت ١٢٤
كيف تكون ميسرًا جيدًا ١٢٤
الحصول على البيانات وإدارتها ١٢٧

٦ الصور التشاركية (Photovoice): المنهجية والاستخدام ١٣١
مقدمة إلى الصور التشاركية ١٣١
الصور التشاركية في دورة البرنامج ١٣٤
التخطيط والتصميم ١٣٥
أسئلة يتعين التفكير فيها ١٣٥
تحديد هدف مشروعك ١٣٧
تشكيل فريق ١٣٨
اختيار المشاركين والمكان ١٣٩
الاعتبارات الأخلاقية ١٣٩
تيسير ورش العمل ١٤٢
تقديم الصور التشاركية وتيسيرها: ١٠ خطوات ١٤٣

٧ تحليل البيانات النوعية ١٥٧
بدء تحليل البيانات النوعية ١٥٩
إستراتيجيات تحليل البيانات النوعية ١٦٣
التحليل المواضيعي ١٦٤
تحليل دراسة الحالة ١٧٢
برنامج تحليل البيانات النوعية بمساعدة الحاسوب ١٧٧
إدارة المعلومات ١٧٧
الترميز والاسترجاع ١٧٧
استكشاف الأنماط ١٧٩
ما برنامج CAQDAS الذي يجب أن تستخدمه؟ ١٧٩

٨ كتابة تقرير البحث ١٨٣
إعداد تقرير بحث التنمية ١٨٤
الكتابة للجمهور العام ١٩٥
كتابة المنشورات العلمية المُحكَّمة ١٩٦

مسرد المصطلحات ٢٠٣

قائمة الأشكال، والجداول، والمربعات، والأنشطة

الأشكال

١-١	العملية المتكررة للجمع بين الطرائق النوعية والكميّة في البحث	٧
٢-١	البحث النوعي من أجل التنمية	٩
٣-١	فرص إجراء بحث نوعي في إطار دورة البرنامج	١٧
٤-١	أطفال يتدربون على التقاط الصور	١٨
١-٢	أطفال يعملون في الشوارع	٣١
١-٥	مثال على شجرة المشكلة	١٠٥
٢-٥	مثال على كيفية استخدام أجزاء الجسد بشكل مجازي لإثارة حوار	١٠٨
٣-٥	مخطط التقدير على شكل حرف "H"	١١٠
٤-٥	رسم بياني يومي رسمته فتاة من كينيا تبلغ ١٤ عامًا	١١٣
٥-٥	مثال على البيانات التاريخية لفتاة من كينيا تبلغ من العمر ١٣ عامًا	١١٥
٦-٥	خريطة مجتمع رسمها أطفال يتحملون مسؤوليات تقديم الرعاية في غرب كينيا	١١٩
٧-٥	مخطط عنكبوتي لتقدير مشاركة المجتمع	١٢٠
٨-٥	خريطة جسد توضح خصائص ميسر البحث التشاركي الجيد أو غير الجيد	١٣٠
١-٦	أطفال بنغلاديشيون مشاركون في مشروع الصور التشاركية	١٤١
١-٧	مُقتطف من تفريغ صوتي	١٦١
٢-٧	صورة التقطها أحد المشاركين في الدراسة	١٦٥
٣-٧	مواضيع أساسية وثانوية وثالثة، كما تظهر في برنامج NVivo	١٧٨

الجداول

١-١	ملخص الاختلافات الرئيسية بين البحث النوعي والكميّ	٦
١-٢	محركات البحث الإلكترونية للعثور على الأوراق البحثية	٣٤
٢-٢	مثال على شكل الجدول الزمني للبحث النوعي	٥٠
٣-٢	مثال على شكل ميزانية البحث النوعي	٥١
١-٣	هل ينبغي أن استخدم المقابلات أم مجموعات التركيز؟	٦٠
٢-٣	خطوات تصميم بحث المقابلة ومجموعة التركيز	٦١
٣-٣	طرائق جمع البيانات من أجل دراسة عن العنف الأسري	٦٤
١-٥	مصفوفة الطرائق	١٠٤
٢-٥	مثال على التصويت المزدوج على مشكلات المجتمع	١١٦
٣-٥	مثال لترتيب التفضيلات من خلال التصويت المزدوج	١١٦
١-٧	الخطوات والإرشادات لإعداد تفريغ صوتي	١٦٠
٢-٧	خمس خطوات لوضع شبكة مواضيعية من الرموز أو المواضيع الرئيسية	١٦٧

٣-٧	مثال على مخطط مقارنة دراسة الحالة	١٧٦
١-٨	المقارنة بين أنواع مُخرَجات البحث المختلفة	١٨٥
٢-٨	كيفية هيكلة تقرير بحث التنمية	١٨٦

المربعات

١-١	الجوانب الرئيسية في "المقاربة البحثية"	٣
٢-١	أطفال يستخدمون الطرائق التشاركية لتقدير الاحتياجات المحلية	١٨
٣-١	أطفال مشاركون في تحليل السياق في غرب إفريقيا	٢٠
١-٢	أطفال يعملون في الشوارع في مدينة كراتشي، باكستان – دراسة حالة	٣١
٢-٢	الهيكل والعناوين الممكنة لبروتوكول الدراسة	٣٢
٣-٢	أمثلة على كيفية صياغة سؤال البحث النوعي	٣٦
١-٣	أمثلة على أسئلة البحث لدراسات المقابلة أو مجموعة التركيز	٦٢
٢-٣	العينة في دراسة نوعية واسعة النطاق عن العنف الأسري	٦٤
٣-٣	دليل موجز لموضوع مجموعة تركيز تستكشف الوضع فيما يتعلق بالعنف الأسري في المجتمع	٦٨
١-٤	مثال على بيانات المُلاحَظة بالمُشارَكةِ	٧٧
٢-٤	المواضيع التي يتعين تناولها في قسم الطرائق	٨٣
٣-٤	ثلاثة استخدامات مختلفة لبيانات المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في دراسة	٨٤
٤-٤	ثلاثة أدوار مختلفة للمراقب المشارك	٨٥
٥-٤	نموذج الملاحظات الميدانية	٩٠
١-٥	الموارد المختارة المتاحة مجانًا على الإنترنت	١٠٣
١-٦	مثال على المساءلة والشفافية في مشروع الصور التشاركية	١٤١
١-٧	مثال على كيف يمكن لشبكة موضوعية أن توجه هيكل عرضك للاستنتاجات	١٧١
١-٨	تقرير عن الاستنتاجات حول الوصمة المحيطة بالمصابين بفيروس نقص المناعة البشرية (HIV) في الخرطوم	١٩٣
٢-٨	الطرائق البديلة لإطلاع الجمهور العام على الأبحاث	١٩٦
٣-٨	هل بحثي مناسب للنشر في المجلات العلمية المُحكمة؟	١٩٧
٤-٨	"الإضافات التي تقدمها هذه الدراسة"	١٩٨

الأنشطة

١-٢	التخطيط للمفاجآت والاستجابة لها	٢٩
٢-٢	العوامل المُحفِّزة على إجراء الدراسة	٣٣
٣-٢	البحث عن الأدبيات	٣٥
٤-٢	اتخاذ قرار بشأن سؤال البحث	٣٦
٥-٢	الربط بين اهتمامات الدراسة ومقارباتها	٣٨
٦-٢	التشاور مع أصحاب النفوذ	٤٠
٧-٢	اختيار طرائق البحث النوعي	٤٣
٨-٢	تضارب المصالح المحتمل	٥١
١-٣	كتابة أسئلة البحث	٦٢
٢-٣	تحسين أسئلة دليل الموضوع	٦٩
٣-٣	إنشاء ديناميكية جيدة لإجراء المقابلات	٧٠
١-٤	تصميم دراسة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ	٨٩

٤-٢	التدريب على كتابة الملاحظات الميدانية	٩٢
٤-٣	التمييز بين الملاحظة والتفسير والانعكاسية	٩٢
٥-١	التفكير في تنوع المجتمعات	١٢٣
٥-٢	ما مقومات الميسر الجيد؟	١٢٧
٦-١	المشكلات الأخلاقية في مشروع الصور التشاركية	١٤٢
٧-١	ترميز بياناتك	١٦٥
٨-١	كتابة ملخص تنفيذي	١٨٨
٨-٢	"الإضافات التي تقدمها هذه الدراسة"	١٩٨

نبذة عن المؤلفين

مورتن سكوفدال (درجة الدكتوراه من كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية) هو أستاذ مشارك في قسم الصحة العامة في جامعة كوبنهاغن، حيث يدرّس طرائق البحث النوعي. ويتمتع بخبرة تمتد إلى ١٠ سنوات في إجراء الأبحاث النوعية في مجال التنمية والصحة العالمية. قبل الانضمام إلى جامعة كوبنهاغن، عمل مورتن كبيرًا للمستشارين في مجال الأثر والدليل لدى منظمة Save the Children UK (أنقذوا الأطفال، المملكة المتحدة). بالإضافة إلى أنه عضو مجلس أمناء مؤسس لصندوق ائتماني في المملكة المتحدة يدعم برامج رعاية الأطفال في كينيا.

فلورا كورنيش (درجة الدكتوراه من كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية) هي أستاذة مشاركة في قسم المنهجية في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، حيث تدرّس طرائق البحث النوعي. وراكمت، على مدى ١٥ عامًا، خبرات في إجراء الأبحاث النوعية بالتعاون مع المنظمات غير الحكومية المحلية الصغيرة والخدمات الصحية الحكومية والمؤسسات الخيرية الدولية الكبرى.

يمتلك **مورتن وفلورا** معًا خبرة ٢٥ عامًا في إجراء الأبحاث النوعية مع مؤسسات التنمية. وقد نشرا ما يزيد عن ١٤٠ مقالاً أكاديميًا، باستخدام الطرائق النوعية، في محاولة لاكتساب فهم أفضل للصحة والتنمية.

استهلال

هذا الكتاب هو ثمرة جهدنا الجماعي في مجال الأبحاث النوعية والذي كرّسناه للتخصص في التنمية والصحة العالمية خلال آخر ١٥ عامًا. خلال هذا الوقت، كان لدينا تواجد في كل من الأوساط الأكاديمية ومؤسسات التنمية الدولية وعملنا مع العديد من المنظمات غير الحكومية المحلية. ونرى أننا محظوظين بأن واتتنا الفرصة للجمع بين تدريبنا كباحثين وكوننا أكاديميين في مجال الأبحاث النوعية والتنمية التي *محورها الإنسان*. تركز أبحاثنا على إسماع صوت بعض أكثر أفراد المجتمع تهميشًا، مع تسليط الضوء على صور الظلم وفرص صنع القرار بالمشاركة في مجالات التنمية والعمل الاجتماعي والصحة العامة العالمية. ولكن في بعض الأوقات، شكلت مشاركتنا مع الممارسين في مجال التنمية تحديًا صعبًا. هذا الكتاب هو نتاج بعض المناقشات الثرية والصعبة التي أجريناها مع الزملاء العاملين في وكالات التنمية. لقد شحذوا همتنا ودفعوا بنا إلى الاستمرار في إعادة التفكير في ممارساتنا البحثية الأكاديمية، وتعديلها، حتى تتناسب مع واقع ومصالح وكالات التنمية. ومع ذلك، أسفرت مشاركتنا ومناقشاتنا عن إبراز حالة من الارتباك وعدم الوضوح داخل مؤسسات التنمية فيما يتعلق بدواعي إجراء الاستعلامات النوعية والتي تجعل من "الجيد" القيام بذلك في سياق التنمية ومتى تكون "جيدة بما فيه الكفاية" لتشكل دليلاً نوعيًا. إننا نرى عدم الوضوح ذلك كعقبة رئيسية أمام تطبيق أوسع نطاقًا لطرائق البحث النوعي في سياق الاستجابات الإنسانية وبرامج التنمية.

لقد كافحنا لوقت طويل لشرح دواعي إجراء الأبحاث النوعية والتي تجعل من "الجيد" القيام بذلك في سياق أعمال التنمية الدولية. وربما يبدو ذلك غريبًا نوعًا ما بالنظر إلى الخبرة الطويلة التي راكمناها في مجال الأبحاث النوعية. ومع ذلك، سرعان ما تعلمنا أنها لم تكن مجرد مسألة شرح لما تتمحور حوله الأبحاث النوعية واستخداماتها. فضلاً عن أننا تعلمنا أنها لم تكن مسألة متعلقة بإقناع موظفي المتابعة والتقييم المدربين على إجراء الأبحاث الكميّة على ما يمكن للأبحاث النوعية تقديمه. في الواقع، يعلم معظمهم أن الأبحاث النوعية تعني منح الأشخاص فرصة التعبير عن وجهات نظرهم من أجل اكتساب فهم أعمق للمسألة. بدلاً من ذلك، تحولت إلى مسألة إبراز وتحديد كيف يتسنى للأبحاث النوعية إثراء ممارسات العمل اليومية للممارسين في مجال التنمية ودعم جهودهم لتطوير برامج تنمية مؤثرة قادرة على تقديم خدمات عالية الجودة لعدد أكبر من الأشخاص. بعبارة أخرى، أصبحت مسألة معنية بإظهار كيف يمكن للأبحاث النوعية أن تسهم بطريقة ملموسة في تحقيق الأهداف التنظيمية والاستجابات الإنسانية وبرامج التنمية. وبفضل مساندة عدد كبير من الزملاء العاملين في مجال التنمية، نأمل أن ينجح هذا الكتاب في تقديم بعض المؤشرات عما يمكن أن تقدمه الأبحاث النوعية بطريقة ملموسة لممارسات التنمية.

يفتقر السؤال المطروح حول متى يكون الاستعلام النوعي "جيدًا بما فيه الكفاية" ليشكل دليلاً إلى الوضوح الكافي. منذ أمد بعيد، استخدم الممارسون في مجال التنمية التحريات النوعية في عملهم، دون النظر إلى هذه الأنشطة بالضرورة على أنها تأتي بأدلة أو تمثل بحثًا. ومع ذلك، مع زيادة الضغط على الممارسين في مجال التنمية لتصميم برامج مدعومة بالأدلة وتنفيذها وتوسيع نطاقها، يتم حثهم بشكل متزايد على تبني ممارسات أكثر منهجية عند إجراء تحرياتهم النوعية ويأتي ذلك من الرغبة في تطبيق المعايير الأكثر صرامة التي تطبقها الأبحاث النوعية الأكاديمية. وتأتي الضغوط من الخارج (بواسطة وكالات التمويل) والداخل (مدفوعة برغبة وكالات التنمية في القيام بعمل أفضل) وتكشف عن احتياجات المؤسسات إلى التوفر على قدرات في الأبحاث النوعية. وقد تسببت تلك الضغوط في الكشف عن مشكلات وفرص جديدة للمتخصصين في المتابعة والتقييم ولا سيما فيما يتعلق بمهاراتهم البحثية النوعية وأثارت تساؤلات حول مستوى المنهجية الذي يجب أن يكونوا عليه في استعلاماتهم النوعية لتوليد معلومات تستحق أن يُطلق عليها "أدلة".

صرّح توم لينغ، الرئيس السابق لفريق الأثر والابتكار والأدلة في منظمة "أنقذوا الأطفال" في المملكة المتحدة، ذات مرة لنا قائلاً إننا حتى نتمكن من الاقتراب من الإجابة عن سؤال "جيد بما فيه الكفاية"، يجب أن نفكر في "جيد بما فيه الكفاية" لمَن ونتأمل في الغرض من التحريّات النوعية وجمهورها المستهدف. ويشجعنا ذلك على التمييز بين شكلين من الأدلة النوعية. *البحث النوعي* ضروري لبناء قاعدة أدلة يمكن مشاركتها على نطاق واسع وتعول على ما هو أبعد من البرنامج قيد الدراسة. بعبارة أخرى، تكمن جدواه في تقديم رؤى يمكن الاستفادة منها بغض النظر عن الإطار الزماني والمكاني الذي يُجرى فيه. يستدعي إجراء بحث نوعي دقيق درجة من المهارات المتخصصة وتطبيق مقاربة منهجية، صارمة للغاية في الغالب، بما يتماشى مع المعايير الدولية للأبحاث النوعية القوية، ما يزيد من تكلفة الاستعلام والوقت اللازم لإجرائه. على الجانب الآخر، تتسم *التقديرات النوعية* السريعة بأنها أرخص وأكثر مرونة وأقل منهجية (وأقل صرامة فعليًا) وتخدم الغرض من توفير معلومات في الوقت الفعلي من المجتمعات المحلية والمستفيدين وذلك لإتاحة الفرصة لتصميم برامج مراعية للسياق، أو للمساعدة على إصدار أحكام مستنيرة بشأن كيفية تغيير برنامج ما وتحسينه. بعبارة أخرى، يتمثل نفعها في تقديم أدلة محددة ومحلية لدعم صنع القرار في الوقت الفعلي.

يساعد التمييز بين البحث النوعي والتقدير على توضيح الأغراض المختلفة التي توجّه التحريّات النوعية؛ ما يتيح الإدارة المناسبة للتوقعات والموارد. لتحديد ما إذا كان التحريّ النوعي "جيدًا بما فيه الكفاية" من منظور منهجي، يعتمد جزئيًا على نوع الدليل المستخلص: ١) دليل التقدير النوعي للتعقيب وصنع القرار في الوقت الفعلي، أو ٢) دليل البحث النوعي الذي يمكن نقله إلى سياقات أخرى.

ليس من المستغرب أن يشعر العديد من الممارسين في مجال التنمية بالتردد حيال إجراء بحث نوعي والحرص على معرفة دواعي إجراءه والتي تجعل من "الجيد" القيام بذلك وما إذا كان ما يفعلونه "جيدًا بما فيه الكفاية" ليشكل دليلاً للبحث النوعي. نأمل أن يكون هذا الكتاب مصدر إلهام للممارسين في مجال التنمية حول أفضل سبل دمج التحريّات النوعية في برمجة ما هو ("جيد") ويوضح لهم الإجراءات المرتبطة بكيفية تقديم أدلة بحث نوعي جيدة (نحو "جيد ما فيه الكفاية"). بعبارة أخرى، نأمل أن يزود الكتاب الممارسين في مجال التنمية بالزخم والمهارات والثقة اللازمة لاستخدام الأبحاث النوعية بمزيد من الفعالية في أعمالهم المهمة.

على الرغم من استهداف الممارسين في مجال التنمية الدولية ووضعهم نصب الأعين عند تأليف الكتاب، إلا أننا نعتقد أنه ملائم لقطاع جماهيري أوسع بكثير. لا تقتصر معظم التحديات المذكورة أعلاه على سياق التنمية الدولية فقط، وإنما يواجهها الممارسون في العديد من المجالات الأخرى. باستخدام التنمية الدولية كمثال، يقدّم الكتاب إرشادات حول الأبحاث النوعية للممارسين مهما كانت البيئة التي يتم فيها التدخل، سواءٌ أكان في التنمية الاجتماعية أم الصحة العامة، أو مع البالغين أم الأطفال، أو في الدول منخفضة أم متوسطة أم مرتفعة الدخل. علاوة على ذلك، سيجد الطلاب والباحثون الطموحين المهتمين بدراسات التدخل الكتاب مفيدًا.

يتكون الكتاب من ثمانية فصول ويصحب القراء في رحلة عبر أجزاء عملية البحث كاملةً. يتناول أول فصلين *كيفية البدء*، حيث يقدّم الفصل الأول معلومات أساسية عن البحث النوعي وإطار عمل دمج الطرائق النوعية في برامج التنمية. ويقدّم الفصل الثاني تفاصيل حول كيفية التخطيط لإجراء دراسة وتصميمها، مع إرشادات تفصيلية عن كيفية وضع بروتوكول إجراء دراسة نوعية. تقدّم الفصول الأربعة اللاحقة *طرائق توليد البيانات النوعية* المختلفة. ويتناول الفصل الثالث فهم دور المقابلات ومناقشات مجموعة التركيز ومعرفة كل خطوة سيتم اتخاذها في تصميم وتنفيذ دراسة من خلال إجراء المقابلات أو مجموعات التركيز. ويزود الفصل الرابع القراء بفهم لدور "المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ" في أبحاث التنمية ومعرفة المصطلحات الرئيسية واعتبارات التصميم والمهارات اللازمة لإجراء بحث عن طريق المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ. ويقدّم الفصل الخامس طرائق جمع البيانات التشاركية ويناقش بعض التحديات والعقبات العديدة الماثلة أمام استخدام الطرائق التشاركية. ويقدّم الفصل السادس الصور التشاركية (Photovoice) كإحدى طرائق البحث ويقدّم إرشادات مكونة من ١٠ خطوات حول كيفية التخطيط لمشروع صور تشاركية وتصميمه. يتطرّق الفصلان الباقيان إلى عملية *تحديد الاستنتاجات وتقديم تقارير عنها*. ويقدّم الفصل السابع مبادئ توجيهية عن التحليل النوعي وإرشادات تفصيلية حول اثنتين من الإستراتيجيات الملموسة وشائعة الاستخدام لإجراء تحليل للبيانات النوعية. تندرج إحدى الإستراتيجيتين تحت فئة "التحليل المواضيعي" وترتبط الأخرى بتحليل وتقديم "دراسات الحالة". أخيرًا، يبرز الفصل الثامن الشواغل الرئيسية المتعلقة بكتابة بحث في مجال التنمية لجمهور متنوع ويقدّم نصائح عملية لكتابته. ويوضح الفصل أيضًا هيكل تقرير البحث ويناقش المواد التي تندرج تحت كل قسم في التقرير.

نأمل أن يجد القراء الكتاب ميسورًا من حيث التنظيم والتكلفة واللغة والأسلوب.

مورتن سكوفدال وفلورا كورنيش
أكتوبر ٢٠١٥

شكر وتقدير

نتقدّم بجزيل الشكر والامتنان للكثيرين الذين غمرونا بالدعم خلال رحلتنا لإتمام هذا الكتاب، لقد ساعدنا الكثير من الزملاء في بلورة أفكارنا التي قام عليها الكتاب. أولاً، نودّ أن نتقدّم بالشكر لفريق الأثر والابتكار والأدلة في فرع منظمة "أنقذوا الأطفال" بالمملكة المتحدة على ما لقيناه من تشجيع ودعم مالي لهذا الكتاب. نودّ أن نتقدم بشكر خاص لتوم لينغ وراشيل إيجر ومافيس أوسو جيامفي على تَحَمُّسهم لدعم هذا المشروع وعلى الإسهامات القيّمة طوال الوقت. ثانيًا، نودّ أن نشكر جميع المراجعين على ملاحظاتهم وتعقيباتهم التي لا تُقدر بثمن والتي ساهمت في إنجاز فصول معينة ومن بينهم توم لينغ وراشيل إيجر واحتشام الحسن وسارة ليلي وإيزابيل ريسو جيل ونيتيكا تولاني براون وجولي نيوتن وزوي دافيدسون من منظمة Save the Children (أنقذوا الأطفال). ونودُّ أن ننوه بالتعليقات القيّمة التي تلقيناها من كيلي بنكرز ونيميش دونجانا. ونتقدّم بالشكر إلى جاك شيلينغز من منظمة "أنقذوا الأطفال" على تسهيل عملية المراجعة. كما نودّ أن نشكر دييجو ألبوريز جوتيريز على البحث المتخصص والمتعمق عن الأدبيات غير الرسمية لإيجاد أمثلة مناسبة.

تعرب فلورا كورنيش عن امتنانها الخاص لزملائها في قسم المنهجية في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، على تهيئة البيئة المثالية لتعلّم طرائق البحث وتدريسها وإنشائها ونقدها. على وجه الخصوص، يعد تدريس الطرائق النوعية، جنبًا إلى جنب مع مارتن باور وأودي بيكويليت وإيلينا جونزاليس بوليدو وألسدير جونز وجين تار عملية تعليم مستمرة على أعلى مستوى تهدف إلى شرح الطرائق النوعية بوضوح وتصميم تمارين بناء المهارات الفعالة.

يودّ مورتن سكوفدال الإعراب عن امتنانه للزملاء السابقين في قسم سياسة البرامج والجودة، فرع منظمة "أنقذوا الأطفال" بالمملكة المتحدة، على المناقشات التي لا حصر لها حول كيفية استخدام الأبحاث النوعية ودمجها في عمل منظمة "أنقذوا الأطفال". كما يودّ أن يشكر الزملاء والطلاب في قسم الصحة العامة، جامعة كوبنهاغن، على استمرارهم في جعل هذا المكان مثمرًا وممتعًا للعمل.

ندين نحن الاثنين بالفضل لكاثرين كامبل التي لعبت دورًا محوريًا في تدريبنا البحثي.

أخيرًا، فيما يخص مؤسسة Practical Action Publishing، نودّ أن نتقدّم بالشكر إلى كلير تاوني وهيلين ويشارت على سرعتهما ومهنيتهما في تجهيز الكتاب وإخراجه إلى النور. بالإضافة إلى كل هؤلاء، نتقدّم بالشكر إلى كاسبر نيلسن من مركز التعلّم عبر الإنترنت والمختلط في جامعة كوبنهاغن على إنتاج الرسومات التوضيحية الواردة في الكتاب بكل مهارة.

الفصل الأول

تحسين أثر البرامج والمساءلة من خلال البحث النوعي

الخلاصة

يستطيع البحث النوعي أن يقدم الكثير لأعمال مؤسسات المساعدات الإنسانية والتنمية على أرض الواقع. ويضع الإدراك المتزايد لقدرة البحث النوعي على تعزيز أثر البرامج مزيدًا من الضغط على الممارسين في مجال التنمية لتكييف "المقاربة البحثية" في أعمال المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم التي يقومون بها. يستهل هذا الفصل التمهيدي بتحديد بعض طرائق استخدام البحث النوعي في تحسين أثر مشاريع وبرامج التنمية وجودتها والمساءلة عنها. ومن ثمّ، سيستعرض بعض المبادئ الرئيسية للبحث النوعي ويسلّط الضوء على بعض الطرائق التي يمكن من خلالها دمج البحث النوعي في مراحل مختلفة في دورة البرنامج.

الكلمات المفتاحية: البحث النوعي، البحث من أجل التنمية، المتابعة والتقييم، أثر البرنامج، المساءلة عن البرنامج، الأدلة

أهداف التعلُّم

بعد قراءة هذا الفصل، ستصبح قادرًا على:

- تحديد الطرائق التي يمكن أن يعمل من خلالها البحث النوعي على تحسين برامج التنمية وأثرها
- وصف العلاقة بين البحث النوعي والمساءلة
- شرح معنى البحث النوعي، بما في ذلك مواطن قوته وضعفه
- تحديد طرائق دمج البحث النوعي في دورة البرنامج

المصطلحات الرئيسية (التعريفات)

- *المساءلة:* الوسائل التي يتحمل بموجبها الأشخاص والمؤسسات المسؤولية عن أفعالهم؛ حيث يضطرون إلى تبريرها أمام أشخاص آخرين.
- *الدليل:* مجموعة الحقائق أو المعلومات المتاحة التي تشير إلى ما إذا كان الاعتقاد أو الاقتراح صحيحًا أو حقيقيًا.
- *الاستنتاجات:* الملخصات، أو الانطباعات، أو الخلاصات التي يتم التوصل إليها بعد فحص البيانات أو التحقق منها.
- *التقييم التكوينيّ:* فحص مبكر لبرنامج فعال بهدف تحديد المجالات التي تحتاج إلى تحسين في تصميمه وأدائه.
- *قابلية التعميم:* القدرة على الإدلاء ببيانات واستنباط خلاصات يمكن تطبيقها بشكل عام.
- *دورة البرنامج:* الإجراءات والتسلسل الذي يتطور البرنامج وفقًا لهما من البداية إلى النهاية.
- *البحث النوعي:* طريقة استقصائية تتخذ الاعتقاد بأن هناك فوائد ناتجة عن استكشاف المعاني الاجتماعية والتصورات الخاصة بمسألة أو برنامج وتحليل معناها ووصفها نقطة انطلاق له.

- *البحث:* دراسة شيء ما منهجيًا وجمع معلومات تفصيلية ودقيقة وتقديم تقارير عنها.

استخدام "مقاربة بحثية" في المتابعة والتقييم

مع تزايد التركيز على البرامج المعززة بالأدلة، يواجه الممارسون في مجال التنمية ضغطًا لتحسين جودة أنشطتهم في المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم (MEAL). بالنسبة إلى العديد من الممارسين في مجال التنمية، لا يزال الدليل مرتبطًا بالتقييمات الكميّة لمبادرات التنمية. في الواقع، حتى وقت قريب، كان العديد من العاملين في المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم متشككين في الطرائق النوعية ولم يكن لديهم حافز يذكر لتطوير القدرات الكفيلة بالتوصل إلى الأدلة النوعية (Bamberger et al., 2010). في حين أن الأدلة الكميّة ضرورية لصنع القرار ولا تزال تؤدي دورًا رئيسيًا يُمَكِّنُ من الاستدلال بها عن جدارة، إلا أن هناك إدراكًا متزايدًا للحاجة إلى الأدلة النوعية.

يتفتق هذا الإدراك عن حقيقة أن برامج التنمية غالبًا ما يجري تصميمها وتنفيذها دون توفر أدلة نوعية كافية لفهم احتياجات المجتمع الإحصائي المستهدف ورغباته وسياقه. في كثير من الأحيان، لم يتم الالتفات إلى وجهات النظر المحلية عند تصميم البرامج وتنفيذها وتقييمها، على الرغم من الآراء المحلية التي تتضمن معلومات مهمة من شأنها مساعدة الممارسين في مجال التنمية على فهم سبل نجاح البرامج وفشلها (Chambers, 1983, 1997).

يستطيع البحث النوعي منهجة عملية التوصل إلى الأدلة النوعية وإضفاء الطابع الرسمي عليها. ويمكن استخدام البحث النوعي لاكتساب فهم أفضل لسياق البرنامج ويمكن أن يزودنا برؤى حول المسائل الجديدة ويساعدنا على إدراك مدى صعوبة الروابط والعلاقات بين الناس والبرامج والمؤسسات. ويمكن أن يتيح للمستفيدين فرصة مشاركة وجهات نظرهم حول مسألة أو برنامج معين والذي يمكن بدوره أن يساعدنا على فهم الفروق الدقيقة المتعلقة بتجربة الأشخاص المختلفين للبرنامج. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى إمكانية استخدام البحث النوعي لضمان اتساق برامج التنمية مع الحقائق والتوقعات المحلية.

ومع ذلك، بالنظر إلى هيمنة جهود المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم (MEAL) الكميّة، يفتقر العديد من الممارسين في مجال التنمية إلى المهارات والثقة المطلوبين للتوصل إلى أدلة نوعية يمكن استخدامها كمرجع معتمد. وخصوصًا، لا يزال هناك ارتباك وعدم وضوح داخل مؤسسات التنمية بخصوص شكل الأدلة النوعية وأفضل السبل لإجراء دراسات نوعية دقيقة.

على الرغم من أننا نرحب بالتحفيز لإجراء المزيد من الأبحاث النوعية الدقيقة، فإننا ندرك أيضًا أنه في سياق "مؤسسة التنمية"، هناك تعارض بين تحقيق الدقة وما هو ممكن وما يعتبر مفيدًا.

إننا نتقبل حقيقة أن بعض الممارسين في مجال التنمية من المحتمل أن يواجهوا معوقات كبيرة في تكييف بعض الممارسات التي نصِفها في هذا الكتاب. ومن ثمّ، فإننا لا نتطلع إلى تحويلك إلى "باحث أكاديمي" وإنما نهدف إلى تعريفك على "قواعد اللعبة" لإجراء أبحاث نوعية دقيقة في جميع مراحل دورة مشروع التنمية. ونريد أن نشجعك ونزودك بالمعارف والمهارات اللازمة لاعتماد "مقاربة بحثية" (انظر المربع ١-١) في أنشطة المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم (MEAL) والتنمية (Laws et al., 2013).

ونعتقد أنه من المهم للممارسين في مجال التنمية الانخراط في الأبحاث النوعية وتبنّي "مقاربة بحثية" للتوصّل إلى الأدلة النوعية، ويُعزى ذلك لأربعة أسباب رئيسية:

- يقف الممارسون في مجال التنمية في الصفوف الأمامية ويستجيبون لاحتياجات المساعدات الإنسانية والتنمية؛ ما يجعلهم الأنسب في **تحديد المسائل** التي تستدعي إجراء البحث ويقومون بدور فعال في تسهيل البحث.
- يمكن للممارسين في مجال التنمية تسريع **استخدام استنتاجات البحث** وتطبيقها على البرامج وجهود المناصرة.
- مع التحول إلى السياسات والممارسات المعززة بالأدلة، **يجب أن تستند التدخلات إلى بحث نوعي منهجي** يتم إجراؤه على أرض الواقع، بالإضافة إلى أدلة مستقاة من التقييمات في أماكن أخرى. لا يمكن أن يعتمد تقدير القيمة مقابل المال وتوسيع نطاق البرامج على الحكايات أو النوادر والانطباعات.
- يساعد البحث النوعي المنهجي الممارسين في مجال التنمية على **تحسين جودة البرامج والمساءلة عنها وأثرها.**

المربع ١-١ الجوانب الرئيسية في "المقاربة البحثية"

تتضمن ما يلي:

- الشعور بالفضول والاهتمام بمعرفة أسباب الأشياء؛
- الاستعداد للتعلّم من البيانات وتغيير رأيك بشأن المعتقدات السابقة؛
- الاهتمام بفهم ما يقوله الناس والمعاني الكامنة وراء عباراتهم؛
- معرفة كيف يتسنى لك، كباحث، صياغة ما يُقال وتحديد اتجاه البحث؛
- السعي لتحقيق التطور التحليلي وتحديد الأنماط التي قد لا تتضح على الفور؛
- التصرف بأسلوب منهجي والاحتفاظ بسجلات لجميع البيانات؛
- الاهتمام بمناقشة الاستنتاجات في سياق أوسع نطاقًا، على سبيل المثال، من حيث الخبرات السابقة أو خبرات الآخرين.

المصدر: Laws et al. (2013: 14).

يهدف هذا الكتاب إلى توجيه الممارسين في مجال التنمية خلال عملية التخطيط لبحث نوعي وإجرائه وتقديم تقارير عنه، بينما يوضح في الوقت ذاته كيف يمكن للطرائق النوعية أن تدعم هؤلاء الممارسين. بعبارة أخرى، نركز على الاستخدامات المحددة للبحث النوعي في دورة البرنامج ونسلّط الضوء على دور الدليل النوعي في تحسين أثر برامج التنمية وجودتها والمساءلة عنها.

هدفنا الحقيقي هو إزالة الغموض عن عملية البحث النوعي، وتوضيح الإجراءات للممارسين في مجال التنمية وتزويدهم بالمهارات ومنحهم الثقة اللازمة لاستخدام الطرائق النوعية كمرجع معتمد، والدعوة إلى ضرورة تضمين البحث النوعي في دورة البرنامج (إما بمفرده أو إلى جانب الدراسات الكميّة).

البحث النوعي

ما المقصود بالبحث النوعي؟ وكيف يختلف عن البحث الكميّ؟

يشمل البحث جمع المعلومات والتي يشار إليها أيضًا باسم البيانات، بطريقة منهجية للإجابة عن سؤال ما. ومع ذلك، من المرجح أن يعكس سؤال البحث والطرائق المستخدمة لتوفير بيانات قادرة على الإجابة عن ذلك السؤال، إحدى مقاربتي البحث، أو مزيجًا من الاثنين.

تشير إحدى هاتين المقاربتين إلى البحث الكميّ. يعمد البحث الكميّ في العادة إلى استكشاف الأسئلة التي تدرس العلاقة بين الأحداث أو الوقائع المختلفة. في سياق التقييم، قد يشمل ذلك التمعن في كيفية ربط التغيير أو عزوه إلى تدخل معين. قد يكون هذا السؤال: "ما أثر الأماكن الملائمة للأطفال على الصحة النفسية والاجتماعية للأطفال اللاجئين؟" لاختبار السببية أو العلاقة بين "الأماكن الملائمة للأطفال" (التدخل) و"الصحة النفسية والاجتماعية" للأطفال (النتيجة)، سيتعين على الباحثين محاولة الحفاظ على مستوى من التحكم في العوامل المختلفة، التي تسمى أيضًا المتغيرات والتي قد تؤثر في العلاقة بين الأحداث. وسيحتاجون أيضًا إلى تعيين مشاركين في البحث بشكل عشوائي. غالبًا ما يتم جمع البيانات الكميّة عبر المسوحات والاستبيانات التي يتم وضعها وتنظيمها وإجراؤها بعناية لتزويدك ببيانات رقمية يمكن تفسيرها إحصائيًا وتسفر عن نتيجة يمكن تعميمها على بعض المجتمعات الإحصائية الأكبر (Bauer et al., 2000).

ثمة مقاربة أخرى وهي محط تركيز هذا الكتاب؛ أي البحث النوعي. يسعى البحث النوعي إلى استكشاف التجارب الشخصية والاجتماعية والمعاني والممارسات، فضلاً عن دور السياق في تشكيلها. ومن ثمّ، يتخذ البحث النوعي الاعتقاد بأن هناك فوائد ناتجة عن استكشاف المعاني الاجتماعية والتصورات الخاصة بظاهرة أو برنامج وتحليل معناها ووصفها نقطة انطلاق له (Flick, 2002). ليس بمقدور البحث النوعي إسماع صوت الأشخاص الصامتين عادةً أو الذين نادرًا ما يتم الالتفات إلى تصوراتهم فقط، بل يمكن أن يساعد على شرح "كيف" و"لماذا" و"تحت أي ظروف" تعمل ظاهرة أو برنامج معين على هذا النحو.

ومن ثمّ، يمكنك استخدام البحث النوعي في الحصول على معلومات عن:

- **المعرفة** المحلية وفهم مسألة أو برنامج بعينه
- **تصورات** الأشخاص **وخبراتهم** بشأن مسألة، أو احتياجاتهم، أو برنامج معين
- كيفية **تصرف** الناس **وانخراطهم** في برنامج، مع بعضهم البعض، وفي المؤسسات
- **الاستجابات** المحلية ومدى **مقبولية** البرنامج **وإمكانية** تنفيذه
- **المعاني** التي يربطها الناس بتجارب، أو علاقات، أو أحداث حياتية معينة
- **العمليات الاجتماعية والعوامل السياقية** (على سبيل المثال، الأعراف الاجتماعية والقيم والسلوكيات والممارسات الثقافية) التي تهمش مجموعة من الأفراد أو تؤثر في البرنامج
- **الوكالة** المحلية والاستجابات للتخفيف من حدة الفقر وتهميش فئات المجتمع المعرضة للخطر.

كما توحي هذه الأمثلة ذات الصلة بمجالات البحث، يمكنك استخدام البحث النوعي لاكتساب فهم أفضل لمسألة أو برنامج معين أو تدخل. ويمكن أن يساعدك البحث المركز على مسألة معينة على التوصّل إلى فهم أفضل لمسألة، أو ظاهرة ومدى تأثيرها على مجموعة من الناس. وقد يتضمن ذلك، على سبيل المثال، المخاطر الصحية التي تواجه الأطفال في مكان معين، أو العقبات التي تواجه الحوامل في الحصول على الرعاية الصحية للأمهات. ويتميز البحث النوعي بأنه جيد خصوصًا عندما يتعلق الأمر بالتحقيق في المواضيع الحساسة، سواءٌ أكانت إساءة جنسية أم عنف الشريك الحميم. ويمكن أن يشمل أيضًا دراسة ترتيبات الرعاية أو المعيشة للمجموعات التي يصعب الوصول إليها، مثل الأطفال الذين يعيشون أو يعملون في الشوارع. ويمكن أن يزودك البحث المركز على مسألة معينة بمعلومات تؤهلك بشكل أفضل لمناصرة قضية ما أو وضع برنامج، يعالج بعض المشكلات التي يحددها البحث، والتخطيط له.

تعمد دراسات التدخل، والبحث المركز على البرنامج، إلى دراسة تفاعلات الأطراف المعنيّة مع البرنامج. وقد يشمل ذلك إلقاء نظرة على بعض الطرائق المختلفة التي يكون للبرنامج تأثير من خلالها، أو مدى مقبولية البرنامج على مستوى المجتمع المحلي، أو العوامل التي تمكّن من إنجاح البرنامج أو تعيقه. يمكن أن يشمل البحث المركز على البرنامج أيضًا دراسة تجربة المستفيدين مع البرنامج. على سبيل المثال، يمكن أن يكون سؤال البحث: "ما تجربة الأطفال مع قضاء الوقت في أماكن ملائمة للأطفال؟" لاستكشاف آراء الأطفال في "الأماكن الملائمة للأطفال"، يمكن للباحثين استخدام طرائق مبتكرة ومرنة وشبه أو غير مُنظَّمة تتيح للأطفال التعبير عن آرائهم وتتيح لهم استخلاصها. قد تتضمن مثل هذه الطرائق إجراء مقابلات فردية أو جماعية (انظر الفصل الثالث)، أو المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ (انظر الفصل الرابع)، أو الطرائق التشاركية (انظر الفصل الخامس)، أو الصور التشاركية (انظر الفصل السادس). ويمكن استخدام المعلومات المستقاة من هذه الطرائق في التخطيط بدقة لتجارب الأطفال الاجتماعية ووضعها في سياقها، أو تحديد مجموعة من تجارب أو تصورات الأقلية، أو الأغلبية، أو التجارب أو التصورات المتناقضة عن الأماكن الملائمة للأطفال.

يلخص الجدول ١-١ الاختلافات الرئيسية بين البحث النوعي والكميّ. ومع أن المقاربتين تطرحان أسئلة مختلفة ولهما مواطن قوة مختلفة، إلا أن تقديمهما على أنهما منفصلتان ومتناقضتان ليس مفيدًا للغاية.

الجدول ١-١ ملخص الاختلافات الرئيسية بين البحث النوعي والكميّ

	مقاربة البحث النوعي	مقاربة البحث الكميّ
أمثلة على أسئلة البحث	كيف تدعم التحويلات النقدية تعليم الأطفال؟ ما السبل التي يمكن أن يؤثر من خلالها برنامج تعزيز محو الأمية في تعليم الأطفال؟ ما العوامل الاجتماعية التي تؤثر في حصول النساء على الرعاية الصحية؟	ما أثر التحويلات النقدية على أداء الأطفال في المدارس؟ هل يسهم برنامج تعزيز محو الأمية في تحسين مهارات القراءة لدى الأطفال؟ هل ترتبط الحالة الاجتماعية والاقتصادية بصحة المرأة؟
نوع المعرفة	ذاتية	موضوعية
الهدف	استكشافي ورصدي	القابلية للتعميم واختبار الفرضية
السمات	مرن	ثابت ومُتَحكَّم فيه
	تصوير سياقي	متغيرات مستقلة وتابعة
	ديناميكية، متابعة مستمرة للتغيير	قياس التغيير قبل البرنامج وبعده
أخذ العينات	هادف	عشوائي
جمع البيانات	شبه مُنظَّم أو غير مُنظَّم	مُنظَّم
طبيعة البيانات	سردية، اقتباسات وأوصاف	رقمية، إحصاءات
	تفرد القيمة، الخصوصية	تكرار
التحليل	مواضيعي وتفسيري	إحصائي

في الواقع العملي، غالبًا ما يتم دمجهما أو يعتمدان على عناصر أحدهما الآخر (Bauer et al., 2000). على سبيل المثال، كثيرًا ما تتضمن المسوحات الكميّة أسئلة مفتوحة. وبالمثل، يمكن تحديد الإجابات النوعية كميًّا.

يمكن أن تدعم الطرائق النوعية والكميّة بعضها البعض أيضًا، عن طريق تثليث الاستنتاجات ومن خلال الاعتماد على بعضها. التثليث هو عندما تستخدم مصادر بيانات وطرائق مختلفة لتسليط الضوء على قضية أو برنامج. ويمكنك التثليث إما عن طريق جمع بيانات من مشاركين مختلفين في البحث أو دراسة المسألة باستخدام طرائق جمع بيانات مختلفة. على سبيل المثال، تستطيع المقارنة بين وجهات نظر المعلمين والطلاب وأولياء الأمور حول مستوى جودة التعليم في المدارس أو اكتساب فهم لوجهات نظر الطلاب من خلال إجراء استبيان ومقابلات والمُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ. لماذا من المهم تجميع وجهات نظر الأطراف المعنيّة المختلفة و/أو استخدام طرائق مختلفة؟ يمكن أن يسفر التثليث إما عن الوثوق في مصداقية استنتاجاتك أو تسليط الضوء على مزيد من التعقيد (Denzin, 1989 وGaskell and Bauer, 2000). على سبيل المثال، إذا كانت الأطراف المعنيّة المختلفة تتشارك جميعًا نفس الشواغل، أو إذا كانت طرائق جمع البيانات التي تستخدمها تؤدي جميعًا إلى نفس الملاحظات، فقد اقتربت خطوة من التغلب على التحيز (الميل إلى تبني وجهة نظر معينة) إما نتيجة استخدام طريقة معينة وإما بسبب دراسة آراء مجموعة واحدة من المشاركين في البحث. ومع ذلك، بتثليث الطرائق والبيانات، يمكنك أيضًا الكشف عن تباينات أو تناقضات وهو ما يستدعي منك مزيدًا من الفهم لأصل هذه التعقيدات (Gaskell and Bauer, 2000). في كلتا الحالتين، يمكن أن يعزز التثليث الخلاصات التي تم التوصل إليها ويحدد الجوانب التي تتطلب مزيدًا من العمل.

يمكن أيضًا استخدام الطرائق النوعية والكميّة بحيث تعتمد على بعضها البعض على نحو متكرر. تعتمد أنشطة المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم (MEAL) في العادة على مزيج من الطرائق النوعية والكميّة. ويرجع ذلك إلى أنه نادرًا ما تنجح مقاربة بحثية واحدة (نوعية أو كميّة) في تقديم إجابات وافية عن أسئلة البحث المطروحة أو توفر المعلومات اللازمة للإطار المنطقيّ. ويُشار إلى المقاربة التي تعتمد على كل من الطرائق النوعية والكميّة باسم الطرائق المختلطة.

قد تتباين الأهمية التي تولى إلى الطرائق النوعية أو الكميّة، مثلما يمكن أن يتباين تسلسل جمع البيانات النوعية والكميّة (Creswell, 2002). على سبيل المثال، يمكن استخدام البحث النوعي لوضع أسئلة المسح وتوجيهها والتأكد من أنها تتضمن مؤشرات ذات صلة وتطرح الاستفسارات المناسبة. وبالمثل، قد يحدد التحليل الإحصائي للمسح التباينات والاتجاهات والأنماط، التي يمكن التعمق في شرحها واستكشافها بعد ذلك عن طريق البحث النوعي (انظر الشكل ١-١).

تقدّم العملية المتكررة الموضحة في الشكل ١-١ مثالاً نموذجيًا. تشمل التسلسلات الأخرى جمع كل من البيانات الكميّة والنوعية في الوقت ذاته، أو البدء في جمع إما البيانات النوعية أو الكميّة والذي يتبعه استخدام طريقة بديلة. بناءً على السؤال الذي يتمحور حوله بحثك، يمكن أن تكون إحدى الطرائق أكثر أهمية من غيرها. على سبيل المثال، يمكن أن تُجري دراسة نوعية ولكن تجمع أيضًا بعض الإحصاءات الوصفية من سياقك. في هذه الحالة، يتم إيلاء الأهمية إلى منهجية البحث النوعي. وتجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد صواب أو خطأ عند التعامل مع التسلسل أو الأهمية. الأهم هو أن تختار إستراتيجية قادرة على تقديم أفضل إجابة عن السؤال الذي يتمحور حوله بحثك.

ما بعض أوجه القصور في البحث النوعي؟

يعاني البحث النوعي من بعض أوجه القصور. في حين أنه الأنسب لفهم المعرفة ووجهات النظر المحلية، فلا يمكن تعميم المعرفة المستقاة من هذه الدراسات على أشخاص آخرين أو بيئات أخرى. وبناءً عليه، ينبغي الحذر بشأن إطلاق تعميمات شاملة حول الاستنتاجات المستقاة من البحث النوعي. يتضمن البحث النوعي آراء ووجهات نظر مختلفة ومن المرجح أن يكشف عن مجموعة متنوعة من الخبرات والتصورات المختلفة وبالتالي، نادرًا ما يكون مناسبًا لاختبار الفرضيات باستخدام طرائق نوعية. بدلاً من ذلك، يمكن استخدام البحث النوعي لتعميم الفرضيات التي يمكن اختبارها لاحقًا باستخدام الطرائق الكميّة.

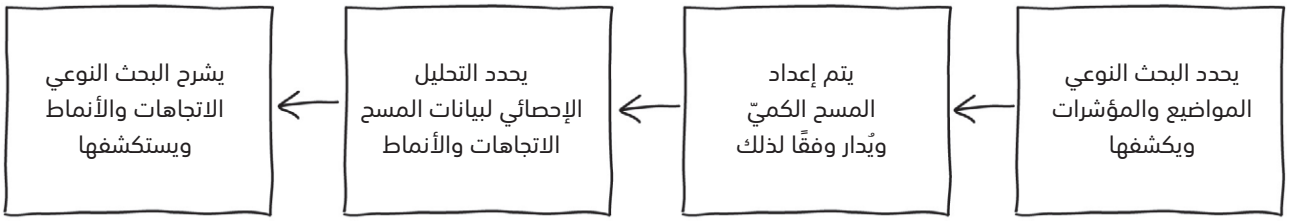

الشكل ١-١ العملية المتكررة للجمع بين الطرائق النوعية والكميّة في البحث
المصدر: مقتبس من Bamberger et al. (2010).

جميع الأبحاث عُرضة للتحيز وهذا يشمل البحث الكميّ. ومع ذلك، يعكس البحث النوعي رؤى ذاتية بشكل واضح؛ ما يعني أن التجارب والتصورات والأحكام الشخصية قيّمة، سواءٌ أكان مصدرها المشاركين في البحث أم الطريقة التي يختار بها الباحثون المشاركين في الدراسة عن قصد. يقوم الباحثون النوعيون أيضًا بإبداء ملاحظات وتفسير البيانات بناءً على أفكار مسبقة عن الموضوع. ومن ثمّ، حتمًا ستؤثر خلفية هؤلاء الباحثين وخبراتهم وقيمهم في استنباط الأدلة النوعية. وفقًا لمادن (Madden, 2010)، يجعل ذلك الباحث عنصرًا أساسيًا وأداة مهمة لاستنباط الأدلة النوعية. ويعني أيضًا أن الاستنتاجات النوعية لا يمكن أن تكون حقائق موضوعية مطلقًا وإنما يصيغها الباحث ويبلورها بعناية. وفيما يتعلق بالمتشككين في البحث النوعي، فهذا يثير تساؤلات حول مدى دقة البحث وقيمته العلمية. ومع ذلك وتحديدًا بسبب الطابع الذاتي الذي يحمله البحث النوعي، من المهم استخدام مجموعة من معايير الجودة المختلفة عن تلك المستخدمة مع البحث الكميّ: وهي الموثوقية والصلاحية وقابلية التعميم (Gaskell and Bauer, 2000). في الفصل الثاني، سنصف معايير جودة البحث النوعي المختلفة والتي تساعد على تعزيز دقته وقيمته العلمية.

نتيجة لأوجه القصور تلك، غالبًا ما يربط الأشخاص في المناصب ذات النفوذ البحث النوعي بمحدودية الاستخدام والمصداقية. ومع ذلك، فهذا سوء فهم جسيم لما يمكن أن يقدمه البحث النوعي المنهجي. وتترتب عن سوء الفهم هذا انعكاسات تُلقي بظِلالِها على تمويل ودعم تطوير قدرات البحث النوعي. وبناءً عليه، يفتقر قطاع التنمية إلى الوضوح الإجرائي أو التوجيه بشأن كيفية إجراء بحث نوعي جيد. ومع تغيّر هذا الواقع ببطء، فإنه يذكرنا بأن علينا جميعًا مسؤولية الحفاظ على جودة ونزاهة البحث النوعي وتعزيزهما.

الآن، من المحتمل أن تكون قد اكتسبت فهمًا جيدًا لما يمثله البحث النوعي وما لا يمثله. وللتعمق في شرح الاستخدام الحالي والمحتمل لمثل هذا البحث في عمل الممارسين في مجال التنمية، سنناقش الآن عددًا من الطرائق المختلفة التي يمكن أن يحسن من خلالها البحث النوعي عمليات التنمية ويعززها.

الأبحاث النوعية من أجل التنمية

تهدف وكالات التنمية باستمرار إلى وضع البرامج المثلى من حيث الملاءمة والأثر والتكلفة والوصول والتغيير الاجتماعي. ويمكن أن يساعد البحث النوعي الممارسين في مجال التنمية على تحقيق كل واحدة من هذه الغايات على نحو أكمل. في هذا القسم، سنقدّم ستة عناصر للتنمية ونناقش مشاركة البحث النوعي في تحقيق كل واحد منها. كما يتضح في الشكل ١-٢، فإن العناصر التي سنناقشها هي: ١) مشاركة المستفيد والملاءمة والتمكين، ٢) المساءلة، ٣) الأثر والابتكار والأدلة، ٤) القيمة مقابل المال، ٥) قابلية التوسع وإمكانية التكرار، و٦) المناصرة وتنظيم الحملات والتغيير الاجتماعي.

مشاركة المستفيد والملاءمة والتمكين

تضع العديد من مؤسسات التنمية والمساعدات الإنسانية ضمن نطاق تخصصها مهمة تمكين الأشخاص الذين تعمل على مساعدتهم وغالبًا ما تتعامل مع المشاركة على أنها إستراتيجية أساسية لتحقيق ذلك. ويمكن للبحث النوعي تسهيل المشاركة. من منطلق كونه مقاربةً بحثية، فإنه يشجع بقوة على استخدام وتطوير الطرائق المبتكرة والمرنة التي تتيح سماع الآراء المختلفة (O'Kane, 2008). في الواقع، جرى تطوير بعض طرائق البحث النوعي لغرض محدد؛ وهو تمكين الأشخاص الذين تتطلع وكالات التنمية إلى مساعدتهم من المشاركة في عملية التخطيط لبرامج التنمية (Chambers, 1983 وRifkin and Pridmore, 2001). راجع الفصلين الخامس والسادس لمزيد من التفاصيل والأمثلة على تلك الطرائق البحثية النوعية والتشاركية. ويعد استخدام البحث النوعي لتسهيل المشاركة أمرًا مهمًا لعدد من الأسباب:

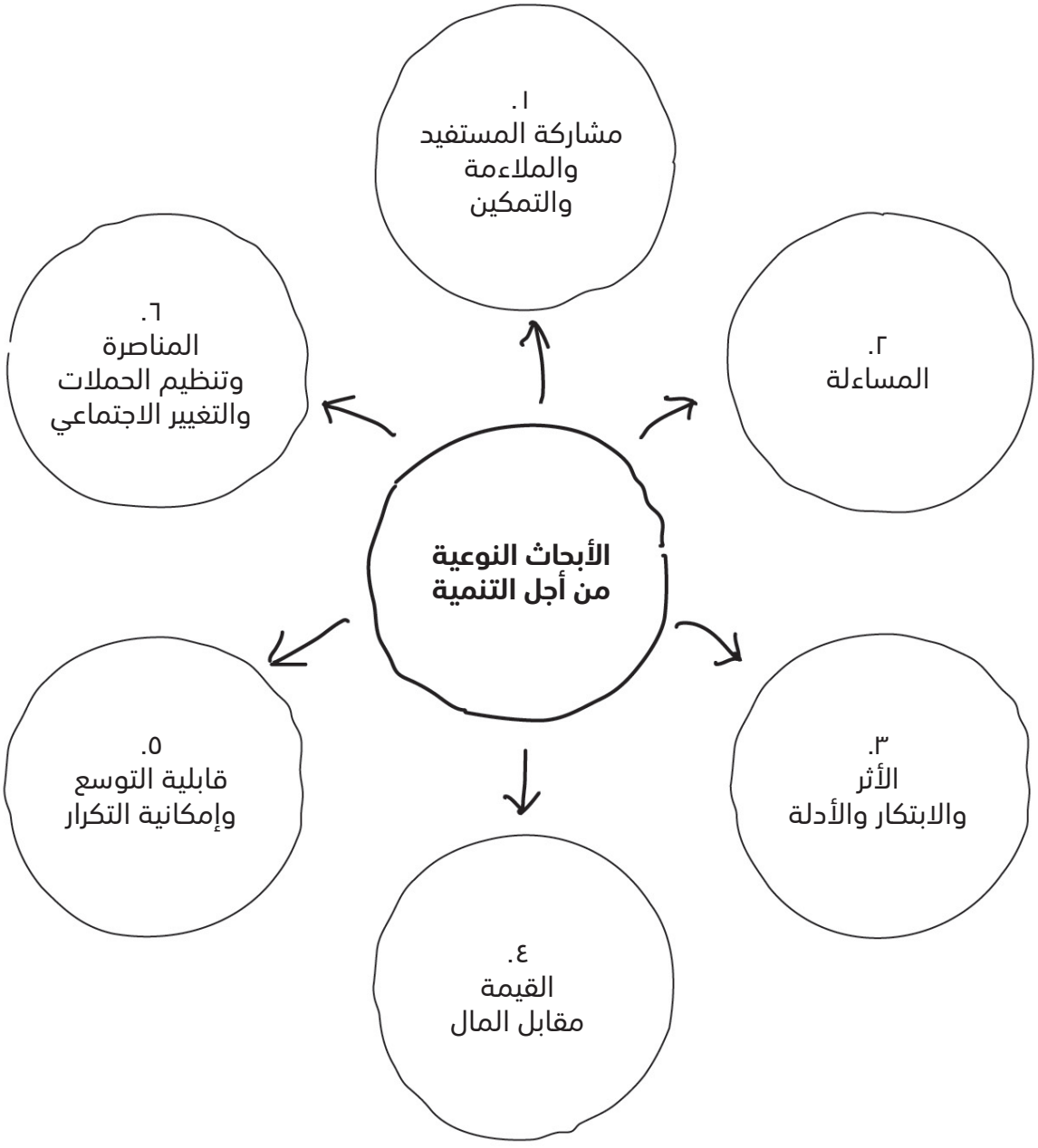

الشكل ١-٢ البحث النوعي من أجل التنمية

- يمكن استخدام البحث النوعي **لاستشارة** مجموعة متنوعة من الأطراف المعنيّة المحلية. غالبًا ما يكافح أفراد المجتمع الأقل قوةً ومن لا يتم تسليط الأضواء عليهم، مثل الأطفال، لكي يكون لهم صوت مسموع في منتديات التوعية المجتمعية والبرنامجية. ومن ثمّ، يمكن أن يضمن البحث النوعي منح تلك المجموعات المختلفة من الناس فرصة التعبير عن وجهات نظرها إزاء مسألة أو برنامج.
- في المقابل ولضمان **الملاءمة**، يمكن للممارسين في مجال التنمية استخدام وجهات النظر تلك في تصميم التدخل حتى يكون أكثر اتساقًا مع مجموعة الآراء والتوقعات والاحتياجات الموجودة في سياق البرنامج.
- إذا شعر أفراد المجتمع أن التجارب التي شاركوها والآراء التي عبّروا عنها من خلال البحث النوعي قد وُضعت في الحسبان وأثرت في القرارات، فمن المرجح أن يظلوا مشاركين بإيجابية في البرنامج ولديهم إحساس **بالملكية**.
- يمكن لبعض طرائق البحث النوعي (مثل الصور التشاركية، انظر الفصل السادس) تيسير **النقاش** ورفع الوعي وإعمال التفكير النقدي (Freire, 1973). ولا غنى عن مثل هذه المهارات التحليلية في الإدارة الجيدة للبرنامج على مستوى المجتمع وإقامة علاقات مع وكلاء تغيير خارجيين.
- وفي هذا الإطار، يمكن أن يكون نوع المشاركة الذي ييسره البحث النوعي تمكينيًا. تتسم المشاركة **والتمكين** بأنهما مترابطان بشدة ويعزز أحدهما الآخر، كوسائل وغايات. من ناحية، يمكن أن تؤدي المشاركة إلى تطوير مهارات جديدة والإحساس بالسيطرة والتحكم في حياة المشاركين. من ناحية أخرى، يمكن أن تسهم المشاركة في الأنشطة، وفي ظل ظروف لا تتيح التغيير، في الشعور بانعدام الحيلة وتزيد من التثبيط عن المشاركة (Campbell and Jovchelovitch, 2000).

مثلما توحي هذه الأمثلة الخمسة، فإن البحث النوعي قادر على تيسير مشاركة المستفيدين. والجدير بالذكر أن هذا البحث النوعي لا يضمن فقط ملاءمة البرامج ولكن يمكن، كما جادل كيلبي (Kilby ,2006)، أن يساعد مؤسسات التنمية على أن تصبح عوامل تمكين فعالة.

المساءلة

تشير المساءلة عمومًا إلى الآلية التي يجري تطبيقها داخل مؤسسة التنمية والمساعدات الإنسانية للتأكد من استخدامها لسلطتها ونفوذها بشكل مسؤول. وتتضمن عادةً "تقديم تفسير" لشخص لديه مصلحة في برنامج التنمية (Cornwall et al., 2000). في كثير من الأحيان، ينطوي ذلك على تقديم إثبات لوكالة التمويل أن البرنامج كان جديرًا بالتمويل. وجميع الممارسين في مجال التنمية على معرفة تامة بأهمية عملية توفير بيانات ومعلومات لكي يثبتوا للجهات المانحة أن برامجهم مُجدية. في حين أن الخضوع للمساءلة أمام الجهات المانحة لا يزال جزءًا أساسيًا من إنجاز برامج المساعدات والتنمية، فقد شهدت العقود القليلة الماضية حركة قوية لضمان ألا تقتصر المساءلة على وكالات التمويل والجهات المانحة ولكن تضع في الاعتبار أيضًا تحمل مؤسسات التنمية مسؤولية الخضوع للمساءلة أمام الأشخاص الذين تسعى إلى مساعدتهم.

أسهمت هيئة شراكة المساءلة الإنسانية (HAP) بدور فعال في تعزيز المساءلة أمام المستفيدين من مؤسسات المساعدات الإنسانية والتنمية. وقد وضعت هيئة شراكة المساءلة الإنسانية بعض المعايير، أو أسس المقارنة، للمساءلة (Darcy et al., 2013). وتتضمن ما يلي:

- *تحديد الالتزامات والوفاء بها:* تضع المؤسسة خطة تحدد التزامها بالمساءلة.
- *كفاءة الموظفين:* تتأكد المؤسسة من امتلاك موظفيها للكفاءات اللازمة لتنفيذ خطة عمل خاصة بالمساءلة.
- *تبادل المعلومات:* تضمن المؤسسة تمتع جميع الأطراف المعنيّة، بما في ذلك المستفيدون منها، بإمكانية الوصول إلى المعلومات ذات الصلة وفي الوقت المناسب عن المؤسسة وأنشطتها.
- *المشاركة:* تستمع المؤسسة إلى الأشخاص الذين تهدف إلى مساعدتهم وتأخذ آراءهم في عين الاعتبار عند وضع خطة البرنامج.
- *التعامل مع الشكاوى:* تطبّق المؤسسة آليات تمكّن جميع الأطراف المعنيّة، بما في ذلك المستفيدين، من تقديم شكاويهم بأمان وتلقي رد يورد تفاصيل عن كيفية تجاوب المؤسسة مع الشكوى.
- *التعلّم والتحسين المستمر:* تتعلم المؤسسة من تجاربها وتطبّق ما تعلمته لتحسين أدائها.

تشجعنا أسس المقارنة الستة هذه المتعلقة بالمساءلة على التفكير بشمولية أكبر في موضوع المساءلة وتحويل التركيز بعيدًا عن التدقيق، الذي يفيد الجهات المانحة، إلى مسؤولية الوكالات المنفذة التي تخضع بموجبها للمساءلة أمام المستفيدين منها.

تشير نظرة سريعة على أسس المقارنة الستة إلى ملاءمة البحث النوعي للمساءلة. حسبما ذُكر آنفًا، فإن البحث النوعي جزء لا يتجزأ من تطبيق أساسيْ المقارنة المتمثلين في المشاركة والتعلّم. ومع ذلك، يمكن أيضًا تطبيق أساس المقارنة "التعامل مع الشكاوى" من خلال البحث النوعي إلى حدٍ ما. البحث النوعي ليس إجراءً يصلح للتعامل مع الشكاوى وينبغي ألا يكون بديلاً عن آليات الشكاوى الأكثر رسوخًا التي تستهدف التعامل مع مجموعة متنوعة من المشكلات وإيجاد حل لها. ومع ذلك، يمكن أن يكشف التعقيب الناتج عن البحث النوعي عن تظلمات وانتقادات لأحد البرامج؛ ما يتيح للممارسين في مجال التنمية إجراء التغييرات اللازمة.

في حين أن البحث النوعي يمكن أن يؤدي إلى تعلُّم أشياء ما بخصوص حصائل البرنامج ثم تصبُّ تلك الحصائل المستخلصة في تقارير الجهات المانحة، فإنه يقدم فرصة عظيمة أيضًا للتعقيب في الوقت الفعلي الذي يتسنى للممارسين في مجال التنمية التصرف بناءً عليه لتحسين أداء البرنامج (Featherstone, 2013). غير أن البحث النوعي ليس عصا سحرية للمساءلة، كما أنه في حد ذاته لا يضمن المساءلة. في حقيقة الأمر، لا يسعى البحث النوعي سوى إلى استنباط التعلّم من العديد من الأطراف المعنيّة في البرنامج. تحدث المساءلة عندما يستخدم الممارسون في مجال التنمية هذا التعلّم، بالتعاون مع المستفيدين في أمثل الأحوال، لتحسين "طرائق عملهم" مع المجتمعات المحلية والنهوض بمستوى أداء برامجهم. علاوة على ذلك، هناك العديد من الطرائق الأخرى الأكثر رسوخًا حتى تتمكن من تعزيز المساءلة والتي لا يستطيع البحث النوعي أن يحل محلها ولا ينبغي له ذلك.

أعـدَّت مؤسسـة "أنقـذوا الأطفـال" مجموعـة إرشـادات المسـاءلة عـن البرامـج تحـت عنـوان *"Programme Accountability Guidance Pack"* (Munyas Ghadially, 2013). وتقـدم تلـك المجموعـة الإرشـادية عـددًا مـن الإرشـادات والأدوات اللازمـة فـي بعـض المجـالات، مثـل تبـادل المعلومـات والمشـاركة والتعامـل مـع الشـكاوى وبنـاء قـدرات الموظفيـن وتدابيـر متابعـة المسـاءلة. يمكنـك تنزيـل مجموعـة الإرشـادات ومشـاهدة الفيديوهـات لتحسـين الفهـم وتيسـير المناقشـات حـول المسـاءلة عـن البرامـج عبـر <www.savethechildren.org.uk/resources/online-library/programme-accountability-guidance-pack>.

الأثر والابتكار والأدلة

يهتـم الممارسـون فـي مجـال التنميـة بتنفيـذ برامـج ذات أثـر: ١) يمكـن قياسـها باسـتخدام أطـر المتابعـة والتقييـم و٢) تحظـى بتقديـر كبيـر مـن قِبَـلِ الأشـخاص الذيـن تسـعى إلـى مسـاعدتهم و٣) تقـدم قيمـة جيـدة مقابـل الوقـت والمـوارد المسـتثمرة فيهـا. غالبًـا مـا يسـتند قـرار تنفيـذ نـوع مـن التدخـل بـدلاً مـن آخـر إلـى خبـرة الممارسـين فـي مجـال التنميـة وقلـة توافـر الأدلـة ومـا يمكـن قياسـه لإثبـات الأثـر. فـي حيـن أن المعرفـة الضمنيـة أو الشـائعة، مهمـا كانـت محـدودة، يمكـن أن تسـهم فـي تطويـر برامـج رائعـة، يظـل سـؤال مـا إذا كان هنـاك تدخـل آخـر قـادر علـى تقديـم حصائـل أفضـل مطروحًـا علـى الـدوام.

هـذا الفضـول حيـال مـا إذا كان مـن الممكـن تنفيـذ برامـج أفضـل وأكثـر تأثيـرًا باسـتخدام نفـس القـدر مـن المـال والجهـد هـو مـا يؤدي إلـى الابتـكار وإقامـة الأدلـة. فضـلاً عـن أن هـذا النـوع مـن الفضـول هـو مـا يشـجع الممارسـين فـي مجـال التنميـة علـى تجـاوز محاولـة إثبـات الأثـر للجهـات المانحـة والابتـكار وإيجـاد الأدلـة التـي تسـاعدهم علـى إنشـاء برامـج مثاليـة مـن حيـث الملاءمـة والأثـر والتكلفـة ونطـاق الوصـول والتغييـر الاجتماعـي.

تعـد الاسـتعلامات الكميّـة عنصـرًا أساسـيًا لإيجـاد مثـل هـذه الأدلـة، مـن أجـل تحديـد حصائـل البرامـج وللمقارنـة بيـن مقاربـات التنميـة المختلفـة. ومـع ذلـك، لا يقـل البحـث النوعـي أهميـة ويمكـن اسـتخدامه لتوليـد المعرفـة وتسـهيل التعلّـم بعـدد مـن الطرائـق المختلفـة التـي يمكـن أن تسـاعد الممارسـين علـى وضـع برامـج مبتكـرة ومدعومـة بالأدلـة. والآن، سـنصف ثـلاث طرائـق يمكـن اسـتخدام البحـث النوعـي مـن خلالهـا لزيـادة الأثـر والابتـكار والأدلـة.

أولاً، يمكـن أن يسـاعد البحـث النوعـي علـى إضفـاء الطابـع المحلـي علـى برامـج التنميـة. وتكـون برامـج التنميـة أكثـر نجاحًـا عندمـا يتـم وضـع السـياق المحلـي فـي عيـن الاعتبـار، لتعكـس احتياجـات المجتمـع المحلـي وتسـتند إلـى الأصـول المحليـة (Moser, 1998). هـذا أمـر معتـرف بـه علـى نطـاق واسـع وليـس مـن غيـر المألـوف أن تطلـب الـوكالات المانحـة، فـي مقترحاتهـا، توضيحًـا لكيفيـة مشـاركة أفـراد المجتمـع المحلـي فـي إعـداد المقتـرح وكيـف يمكـن توقـع مشـاركتهم فـي التخطيـط للبرنامـج وتنفيـذه. وتلعـب الأبحـاث التشـاركية والنوعيـة دورًا رئيسـيًا فـي تقديـم المعلومـات والأدلـة لتوجيـه البرامـج المسـتقبلية حتـى يجـري تصميمهـا بمـا يتناسـب مـع الواقـع المحلـي.

يمكن أن تشمل عملية إضفاء الطابع المحلي على برامج التنمية خطوتين. تتمثل الخطوة الأولى في تقدير الاحتياجات، حيث يمكن استخدام البحث النوعي لتحديد آراء السكان المحليين حول الاحتياجات التي يرغبون في تلبيتها، ولدراسة طبيعتها والأسباب الكامنة وراءها، ولتحديد أولويات العمل المستقبلي. بينما يمكن أن تنطوي الخطوة الثانية على استخدام البحث النوعي لرسم مخطط السياق الثقافي والأصول المحلية وموارد المجتمع. ويمكن أن تشكل هذه العوامل السياقية جزءًا من الإستراتيجيات المحلية لمواجهة الصعوبات وسيكون من المهم وضعها في الاعتبار، للتوفيق بين الاستجابات البرنامجية والمحلية وتحسين استخدام الموارد المحلية والخارجية. ويمكن أن يساعد البحث النوعي على اكتساب فهم أفضل للمشكلات التي تؤثر في أعضاء المجتمع المحلي ويمكنه تحديد الحلول الواقعية التي تعكس المعرفة والأصول المحلية.

ثانيًا، يمكن استخدام البحث النوعي لاستكشاف التجارب المحلية للبرنامج، ليس باعتباره أداة تقييم تكوينيّ فحسب ولكن كجزء من تقييم نهاية البرنامج أيضًا. سنصبح في وضع يخولنا إجراء تغييرات برنامجية قادرة على تعزيز البرامج القائمة والنشطة أو توجيه البرامج المستقبلية فقط عندما نمنح السكان المحليين ومقدمي الخدمات فرصة التعبير عما يرونها مواطن قوة وضعف في البرنامج. ومن ثمّ، يمثل البحث النوعي جزءًا رئيسيًا من التقييم التكوينيّ، إذ يسمح للمستفيدين بالتعبير عن ردود أفعالهم تجاه برنامج نشط حتى يتسنى للممارسين في مجال التنمية إجراء التغييرات اللازمة على البرنامج للتقدم في اتجاه يحقق قيمة أكبر (بما يتماشى مع المساءلة، كما ذُكر أعلاه). من منظور تقييم نهاية البرنامج، يمكن استخدام البحث النوعي للكشف عن الفهم المحلي للأثر. في حين يتم تطوير الإطارات المنطقية عادةً لقياس الأثر المفترض للبرامج، بشكل أساسي حتى تثبت للجهات المانحة أن البرامج حققت ما تصبو إليه، غالبًا ما تكون هذه الآثار محدودة ومقتصرة عن عمد على ما نراه نحن والجهات المانحة "ذي صلة". يمكن أن يقدم البحث النوعي، على سبيل المثال من خلال التحريّ عن "أهم التغييرات" (الموصوفة بشكل كامل أدناه)، تفاصيل حول ما يراه المستفيدون من البرنامج أثرًا للبرنامج.

ثالثًا، يمكن أن يساعد البحث النوعي على تحديد سياق "لما حدث". لا يتم تنفيذ برامج التنمية بمعزل عن عوامل أخرى، ولكنها تتفاعل مع مجموعة من العوامل الاجتماعية والسياقية. ويمكن أن تشمل هذه العوامل برامج تنموية أخرى ومعايير اجتماعية وثقافية وتغييرات في البيئة المادية، فضلاً عن المهارات الشخصية والحساسيات وسمات الأشخاص الذين ينفذون البرنامج. ومن الممكن استخدام البحث النوعي للكشف عن العوامل والعمليات السياقية التي أسهمت في نجاح البرنامج أو فشله. ويمكن لمثل هذه المعرفة أن تساعد الممارسين في مجال التنمية على تخفيف المخاطر المحتملة التي تهدد نجاح البرنامج وزيادة فرص النجاح وإحداث أثر.

خلاصة القول، يستطيع البحث النوعي أن يقدم أدلة يمكن استخدامها في وضع برامج مصممة بما يناسب السياقات المحلية. فضلاً عن أنه يمكن استخدام البحث النوعي في تحديد التحسينات والتغييرات اللازمة لإنجاح البرنامج. عند التصرف بناءً على ما يرد من أدلة، يصبح بالإمكان تحسين أثر البرنامج وزيادة مستوى رضا الأشخاص الذين تسعى برامج التنمية إلى مساعدتهم.

القيمة مقابل المال

تتطلع وكالات التنمية بشكل متزايد إلى تقديم برامج تمثل قيمة مقابل المال. ولا يتعلق ذلك بوضع برامج منخفضة التكلفة وتنفيذها وإنما بتعظيم أثر الأموال التي تُنفق لتحسين حياة الفقراء. بعبارة أخرى، يتمحور مبدأ "القيمة مقابل المال" حول التأكد من تحقيق برامج التنمية أعظم أثر بأقل تكلفة. ولا يرتبط البحث النوعي عادةً بجدول أعمال "القيمة مقابل المال". ولكن، كما ألمحنا إليه أعلاه، فإن البحث النوعي بالغ الأهمية لأي عملية تتطلع إلى جعل برامج التنمية أكثر كفاءة وفعالية وعدالة وهو ما يؤدي بدوره إلى جعل البرامج أكثر توفيرًا. ويستطيع البحث النوعي أن يستكشف طرائق لتعزيز أثر البرنامج والتغلب على العواقب غير المقصودة، مثل الاعتماد على الموارد والقدرات المحلية، أو إشراك الأطراف المعنيّة المحلية لمواجهة العوائق التي قد تعترض تحقيق أثر البرنامج (على سبيل المثال، معتقد ثقافي أو المفاهيم السلبية المتعلقة بالنوع الاجتماعي) والتي من المرجح أن تتسبب جميعًا في زيادة القيمة مقابل المال. علاوة على ذلك، من المعروف أنه صعب توثيق القيمة مقابل المال. في حين أن تصميمات الأبحاث الكميّة المُحكمة والدقيقة ذات أهمية محورية لتحليل "القيمة مقابل المال"، هناك تسليم متزايد بأن التحليل الجيد يشتمل على مصادر معلومات مختلفة، بما في ذلك الأدلة النوعية، لتكوين صورة كاملة عن أثر البرنامج وقيمته. ويمكن أن يتضمن ذلك، على سبيل المثال وضع مخطط للتصورات المحلية عن الأثر، إلى جانب المنصوص عليها في الإطار المنطقيّ الذي يوجّه عملية متابعة وتقييم البرنامج.

قابلية التوسع وإمكانية التكرار

ذكرنا ذلك من قبل: الهدف الأسمى لوكالة التنمية هو ترك أثر إيجابي في المناطق التي تعمل فيها. حتى الآن، تمحورت مناقشة الأثر بشكل أساسي حول وضع برامج ناجحة وإحداث تغيير إيجابي في حياة الأشخاص الذين تطمح في مساعدتهم. ومع ذلك، يشير الأثر أيضًا إلى القدرة على الوصول. يمكن أن يكون البرنامج ناجحًا للغاية ولكنه لا يستطيع الوصول إلا إلى عدد قليل من الناس. والأفضل هو برنامج قادر على النجاح والوصول إلى عدد أكبر من الأشخاص بنفس القدر. ومن ثمّ، تهتم وكالات التنمية بـ "توسيع نطاق" البرامج المؤثرة. وقد يتضمن ذلك توسيع نطاق برنامج قائم بذاته، أو ربما يعني ذلك العمل من خلال الأطراف المعنيّة المحلية، مثل الإدارات الحكومية المحلية، التي تستطيع توسيع نطاق أنشطتها لتشمل عددًا أكبر من الناس. وغالبًا ما يكون مزيجًا من الاثنين. يتضمن توسيع النطاق حتمًا تكرار الأنشطة في مواقع أخرى وتعميم عناصر معينة بحيث يمكن تنفيذها على نحو واقعي بواسطة ميسرين يتمتعون بمهارات وخبرات متنوعة.

ولا يمكن افتراض أنه لمجرد نجاح برنامج في أحد السياقات، فيمكن تكراره في سياق آخر وتحقيق نجاح مماثل. ينفذ البرامج أشخاص ذوو معارف ومهارات وتوجّهات وسلوكيات متنوعة في سياقات تحددها عوامل اجتماعية. ويؤدي البحث النوعي دورًا جوهريًا في التأكد من فهم وكالات التنمية لجميع العوامل المساهمة في أثر البرنامج فهمًا كاملاً. على سبيل المثال، يمكن استخدام البحث النوعي للكشف عن مُختَلَفِ العوامل المعوِّقة والمُيَسِّرة لأثر البرنامج وتحديد عناصر البرنامج التي تحتاج إلى زيادة تعزيز أو أين ينبغي إجراء تغييرات للتأكد من تمتع البرنامج بالمرونة اللازمة ليناسب مختلف السياقات الاجتماعية والاقتصادية أو الثقافية.

المناصرة وتنظيم الحملات والتغيير الاجتماعي

يستدعي تحقيق التغيير الاجتماعي تنفيذ الإجراءات على نطاق العديد من المستويات المختلفة. بينما يمكن أن توفر برامج التنمية للفقراء فرصة الهروب من الفقر وعيش حياة صحية أفضل، غالبًا ما تكون هناك حدود لنطاق قدرتها على تغيير السياسة والتشريعات والعمليات الجيوسياسية والتي إما تترك الناس على فقرهم وضعفهم من الأساس أو تفشل في حماية هؤلاء الأكثر ضعفًا. ولهذا السبب، تعيّن العديد من وكالات التنمية الكبرى موظفين وأحيانًا قسمًا كاملاً، لتولي مهام المناصرة. تعرّف منظمة "أنقذوا الأطفال" المناصرة على أنها "مجموعة من الأنشطة المنظمة والمُصممة للتأثير في سياسات وأفعال الآخرين لتحقيق تغييرات إيجابية في حياة الأطفال استنادًا إلى الخبرة والمعرفة المستمدة من العمل بشكل مباشر مع الأطفال وأسرهم والمجتمعات المحلية" (Gosling and Cohen, 2007: 12).

بموجب منح الأشخاص المهمشين فرصة إسماع أصواتهم، يستطيع البحث النوعي مساعدة الممارسين في مجال التنمية على تنمية المعرفة المتعلقة بتجارب الفئات الأكثر ضعفًا. ويمكن أن يستفيد الممارسون في مجال التنمية من هذه الأصوات والمعرفة التي تمثلها في إعادة صياغة مسألة ما وفتح نوافذ جديدة لرؤية الأمور من منظور مختلف (Laws et al., 2013). هذا فضلاً عن إمكانية استخدام وجهات النظر التي تم جمعها من خلال البحث النوعي في إعداد مواد الحملة؛ ما يتيح فرصة إسماع أصوات السكان المحليين إلى جمهور عالمي. وقد جرى إستحداث بعض طرائق البحث النوعي، مثل الصور التشاركية (انظر الفصل السادس) لغرض واضح؛ ألا وهو جمع الأصوات لمناصرة التغيير الهيكلي.

استعرضنا الآن ستة أسباب تجعل البحث النوعي جوهريًا في مجال التنمية. ولا يعد البحث النوعي عنصرًا أساسيًا في تطوير المشاريع وتنفيذها فحسب ولكنه ضروري أيضًا لفهم أثر برامج التنمية ونطاق وصولها. ننتقل الآن إلى مناقشة بعض المراحل المختلفة في دورة برنامج التنمية، حيث يمكن توظيف الطرائق النوعية في تعزيز أثر البرنامج وجودته والمساءلة عنه.

تضمين البحث النوعي في دورة المشروع والبرنامج

يمكن تضمين البحث النوعي في برنامج التنمية على مستوى العديد من المراحل المختلفة في دورة تنفيذه وذلك لخدمة أغراض تعليمية مختلفة. وللتدليل على ذلك، سنصف في هذا القسم خمسة تحليلات نوعية محددة في دورة البرنامج، كما سنسلط الضوء على بعض فرص البحث والمناصرة والمساءلة الأشمل التي يمكن أن تظهر بغتة في مراحل مختلفة في الدورة (انظر الشكل ١-٣). وهذه التحليلات ليست شاملة بأي حال من الأحوال ولكنها تقدّم أمثلة ملموسة على كيفية تضمين البحث النوعي في دورة البرنامج بهدف تعزيز أثر البرنامج وجودته والمساءلة عنه. وسنناقش كل واحدة منها على حدة.

تحليل الوضع وتقدير الاحتياجات

قبل وضع تصور لبرنامج التنمية وكتابة مقترح التمويل، ثمة حاجة إلى إجراء تحليل للوضع وتقدير للاحتياجات. هذه عملية معنية بتحديد وفهم الخصائص المميزة للمشكلة والسياق الأوسع نطاقًا الذي يجري تنفيذ البرنامج فيه، ومن ثَمَّ استخدام هذه المعلومات في وضع خطة عمل لمعالجة المشكلة.

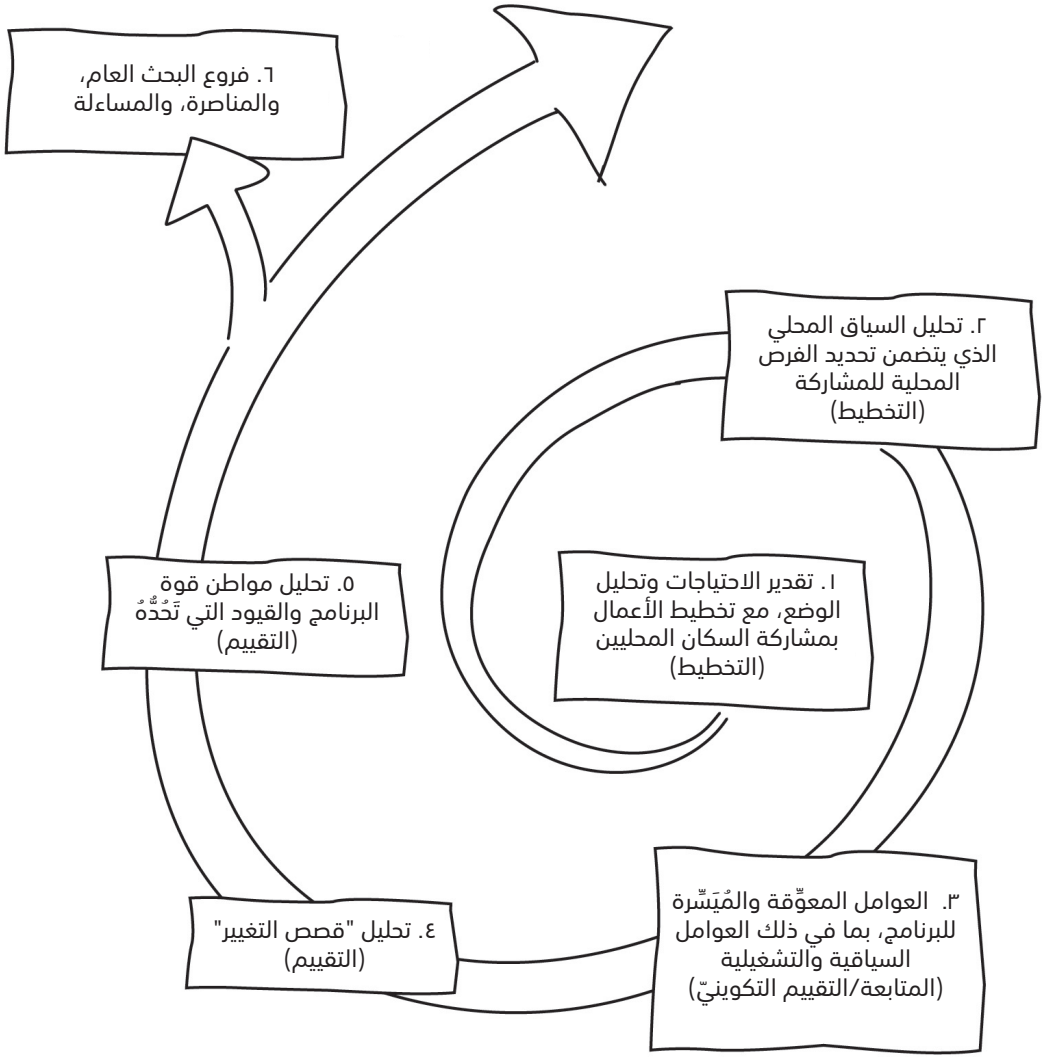

الشكل ١-٣ فرص إجراء بحث نوعي في إطار دورة البرنامج

يُمَكِّن تحليل الوضع الممارسين في مجال التنمية من فهم البيئة الداخلية والخارجية التي سيُنفذ فيها البرنامج. على الصعيد الداخلي، يمكن أن يتضمن ذلك تحليل القدرات التنظيمية، بينما على الصعيد الخارجي، إذا كانت المؤسسة تعمل مع الأطفال ولصالحهم، فيمكن أن يتضمن تحليل وضع حقوق الأطفال على المستوى القطري (CRSA). وبالنسبة إلى المؤسسات التي تعمل في دول هشة، يمكن أن يشمل تحليل الوضع أيضًا تقديرًا للأمن. بينما تعتمد تحليلات الوضع غالبًا وبدرجة كبيرة على مراجعات الأدبيات، فإنها تستند غالبًا إلى المقابلات التي تُجرى مع الأطراف المعنيّة الرئيسية. بمجرد انتهاء تحليل الوضع من تحديد العوامل البيئية الكلية التي قد تؤثر في العمليات التنظيمية أو توجّهها، يمكن البدء في عملية تحديد وفهم السمات المميزة للمشكلة ووضع خطة عمل لمعالجتها. ويُسمى ذلك أيضًا تقدير الاحتياجات.

ينطوي تحديد المشكلة وتقدير الحاجة في الغالب على عملية متكررة تتناول قدرات مؤسسة التنمية ومبادئها وقيمها والإستراتيجيات الوطنية في البلاد ووجهات نظر الأشخاص الذين تهدف البرامج إلى مساعدتهم. وبمجرد تحديد إشكالية عامة، في مجال التعليم، أو الصحة، أو الجوع والمعيشة، على سبيل المثال، يمكن لعملية منهجية تضع المستفيدين المقصودين في بؤرة الاهتمام أن تبدأ في تحديد الاحتياجات المحددة للناس.

في حين يمكن الاستفادة من المسوحات في تحديد حجم المشكلة، فإن عملية إيجاد أدلة نوعية ذات صلة بآراء ووجهات نظر المستفيدين على مستوى المجتمع المحلي أساسية لتحديد التدخلات الأكثر ملاءمة ونجاحًا في تخفيف المخاطر والصعوبات (Rossi and Lipsey, 2004). تعد المقابلات الفردية والجماعية (انظر الفصل الثالث)، بالإضافة إلى طرائق التعلم والعمل التشاركية (PLA) (انظر الفصلين الخامس والسادس) مناسبة بشكل خاص لتقديرات الاحتياجات. يمكن أن تقوم تقديرات الاحتياجات التي يتم إجراؤها بموجب شراكة بين الممارسين في مجال التنمية والسكان المحليين (Rifkin and Pridmore, 2001) بما يلي:

- تقديم **أفكار نقدية** ورفع مستوى وعي أعضاء المجتمع المحلي حول الظروف التي تهدد سلامتهم.
- تمكين **المجموعات المتنوعة من الأشخاص من المشاركة**، بما في ذلك الأطفال والمجموعات المهمشة الأخرى التي تتغيب في العادة عن المنتديات المجتمعية (انظر المربع ٢-١ للاطلاع على مثال).
- تحديد **العوائق الرئيسية أمام التغيير** والمخاطر والأخطار التي تواجهها المجتمعات المحلية.
- تحديد **الأصول والقدرات والموارد المحلية** التي يمكن استخدامها في تلبية الاحتياجات.
- مساعدة أعضاء المجتمع المحلي على **منح الأولوية** لخطط العمل وإعدادها من أجل أنشطة التنمية.
- دعم **اختيار المؤشرات** التي يمكن استخدامها في تحديد وقياس جوانب التغيير التي من المتوقع أن يسفر عنها برنامج التنمية.

يتوفر عدد من مجموعات الأدوات والملاحظات الإرشادية عبر الإنترنت لدعم تطبيق الممارسين في مجال التنمية لطرائق البحث النوعي في تقديرات الاحتياجات. تتضمن الأمثلة ما يلي:

- مجموعة أدوات تقدير مواطن الضعف والقدرات (VCA) من الصليب الأحمر (IFRC, 2007)، متاحة باللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية على <www.ifrc.org>
- "الدليل المختصر لتقدير احتياجات التعليم المشترك السريع" من مجموعة التعليم العالمي، المتاح باللغتَين الإنجليزية والفرنسية على <www.savethechildren.org.uk/resources/online-library>
- "دليل الصور التشاركية: ١٠ خطوات بسيطة لإشراك الأطفال في تقديرات الاحتياجات من منظمة "أنقذوا الأطفال"، متاح باللغة الإنجليزية على <http:// resourcecentre.savethechildren.se/>.

تحليل السياق المحلي

بمجرد إجراء تقدير الاحتياجات وتبيّن المشكلات أو "الفجوات" بين الظروف الحالية والمرجوة التي يتطلع برنامج التنمية إلى معالجتها، يمكن إجراء تحليل أكثر عمقًا للسياق المحلي. تضطلع تحليلات السياق المحلي بدور مهم في عمليات التخطيط للبرامج وتسعى إلى تحديد الظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والبيئية والسياسية والتشريعية التي يمكن أن تؤثر في البرنامج (انظر المربع ١-٣ للاطلاع على مثال). على سبيل المثال، يمكن أن يقدم تحليل السياق المحلي معلومات بشأن العوامل المذكورة أدناه:

المربع ١-٢ أطفال يستخدمون الطرائق التشاركية لتقدير الاحتياجات المحلية

استخدمت منظمة "أنقذوا الأطفال" أدوات التعلم والعمل التشاركية، بما في ذلك الصور التشاركية (انظر الفصل السادس) لإشراك الأطفال في تقدير الاحتياجات لبرنامج معني بمعالجة سوء التغذية المزمن في جنوب غرب بنغلاديش. وقد كان الهدف منح الأطفال فرصة التعبير عن شواغلهم والتحديات التي يواجهونها فيما يتعلق بالطعام والتغذية، ثم الاستفادة من هذه المعلومات في التخطيط للبرنامج.

الشكل ١-٤ أطفال يتدربون على التقاط الصور
المصدر: Julie Newton/Save the Children.

- متى يكون الوقت مناسبًا **لبدء تنفيذ** البرنامج؟ قد تتسبب الأعياد الدينية، أو الانتخابات المحلية، أو الفصول التي يكون الجفاف فيها محتملاً أو الحيوانات المعرضة للإصابة بالأمراض في تأخير البرنامج، أو في أسوأ سيناريو، توقف تنفيذه.
- ما **الخبرات والتصورات** المحلية عن الظاهرة التي تترك بعض الناس ضعفاء أو عُرضة للخطر؟ سيساعدك ذلك على تكوين صورة واضحة عن الظروف التي تهدد سلامة الناس، فضلاً عن فهم هؤلاء الذين سيؤثر فيهم البرنامج.
- ما **الأعراف والممارسات** المحلية التي تلعب دورًا في الاستجابة للظروف الاجتماعية التي تهدد سلامة الناس أو تؤدي إلى تفاقمها؟
- يمكن أن تتعارض **التمثيلات والتفاهمات** المحلية مع قيم مؤسسات التنمية ومبادئها، ما يستدعي استخدام مقاربة تراعي ذلك. على سبيل المثال، تسترشد أعمال منظمة "أنقذوا الأطفال" باتفاقية حقوق الطفل، ومع ذلك، يمكن أن تركز المجتمعات المحلية، التي غالبًا ما يحكمها الفقر، بدرجة أكبر على مسؤوليات الأطفال في الحفاظ على سبل عيش الأسرة.
- هل يمكن الاعتماد على **الأصول والقدرات** المحلية في تنفيذ البرنامج بما يتماشى مع الاستجابات والموارد المحلية؟ قد يتضمن ذلك خبرة بعض السكان المحليين ومعرفتهم والبنى التحتية التي يمكن أن تستضيف دورات تدريبية وفعاليات أخرى والأراضي المشاع لحفر بئر فيها وما إلى ذلك.
- ما **الخدمات الموجودة والمتاحة**، وما دورها ومسؤوليتها في معالجة المسائل ذات الصلة بهدف البرنامج؟

باستخدام طرائق البحث النوعي، يكمل تحليل السياق المحلي تقدير الاحتياجات وتحليل الوضع من خلال جمع المزيد من المعلومات المتعمقة والسياقية عن المشكلة المحددة التي يتطلع برنامج التنمية إلى معالجتها. فضلاً عن أنه يستكشف الفرص التي ربما تكون متاحة للمشاركة المحلية في التخطيط للبرنامج وتنفيذه، في سبيل التغلب على الصراعات المحتملة وإدراك القدرات الحالية والاستفادة منها. في بعض الأحيان، قد تجري المؤسسات تقديرات احتياجات وتحليلات للوضع شاملة جدًا والتي تتضمن العديد من عناصر تحليل السياق.

المربع ١-٣ أطفال مشاركون في تحليل السياق في غرب إفريقيا

في الفترة بين عامي ٢٠١٣-٢٠١٤، أجرت مبادرة حماية الطفل التابعة لمنظمة "أنقذوا الأطفال" تحليلات للسياق المحلي عن الرعاية التي يقدمها الأقرباء في المجتمعات المحلية على مستوى ست دول في غرب وشرق إفريقيا. وقد كان البحث نوعي وتشاركي واستكشافي في المقام الأول وجرى تصميمه لتعميق فهم منظمة "أنقذوا الأطفال" للعوامل التي تؤثر في تجربة الأطفال مع الرعاية التي يقدمها الأقرباء، مثل ترتيبات هذا النوع من الرعاية والتجارب الإيجابية والسلبية مع الأقرباء. وتم تجميع الأعراف والممارسات والتفاهمات من أطراف معنيّة مختلفة، بما في ذلك الأطفال ومقدمو الرعاية والقادة المحليون. وقدمت تحليلات السياق المحلي تلك أساسًا لتعزيز البرامج في المنطقة التي تشجع على مكافحة الانفصال الأسري وتدعيم الأسرة داخل نظام الرعاية والحماية الشاملة (Chukwudozie et al, 2015).

بالنظر إلى احتمال أن تحظى برامج التنمية بالتأييد وتتوافق مع الاحتياجات والموارد المحلية إذا تم وضعها بالشراكة مع أعضاء من المجتمع المحلي (Skovdal et al., 2013)، يتزايد النظر إليها على أنها ممارسة جيدة لاستخدام طرائق البحث النوعي في إشراك المستفيدين المحتملين في تقديرات الاحتياجات وتحليلات السياق المحلي. ويتجلى ذلك من واقع أن العديد من الوكالات المانحة تطلب في مقترحاتها تفسيرًا لكيفية مشاركة أعضاء المجتمع المحلي في التخطيط للبرنامج ووضعه.

عوائق وميسّرات تحليل تقدم البرنامج

تتفاعل برامج التنمية مع مجموعة من العوامل التي يمكن إما أن تيسر التقدم والأثر وإما أن تعرقلهما.

ومن ثمّ، بمجرد تطبيق برنامج التنمية على أرض الواقع، من المهم مراقبة التقدم وإجراء تقييمات تكوينيّة. تتضمن المتابعة عملية تقدير مستمرة لمدى تقدم البرنامج وتحديد مواطن القوة والضعف، بهدف تعديل البرنامج وتحسينه (Gosling and Edwards, 2003). في سياق متابعة البرنامج، حدّد جوسلينج وإدواردز (Gosling and Edwards, 2003) ستة أنواع من المتابعة:

- *مدخَلات المشروع*: متابعة ما إذا كان المطلوب لتنفيذ البرنامج متاحًا بسهولة والالتزام بالجداول الزمنية للميزانية وخطة العمل.
- *مُخرَجات المشروع*: متابعة ما تم الانتهاء منه والمشكلات التي تمت مواجهتها والتغييرات التي طرأت على البيئة أو الظروف التي يعمل فيها البرنامج.
- *تحقيق الأهداف*: متابعة إمكانية تطبيق أهداف البرنامج وما إذا كان البرنامج يعمل على تحقيقها.
- *الأثر*: تحديد نطاق العواقب المقصودة وغير المقصودة للبرنامج، مع إبراز الآثار الإيجابية والسلبية.
- *الإدارة*: متابعة الطريقة المستخدمة في تنفيذ البرنامج، مثل أسلوب إدارة الوكالة المنفذة، بالإضافة إلى مشاركة السكان المحليين.
- *السياق*: متابعة السياق المحلي وإدراك التطورات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية التي قد تؤثر في البرنامج.

ما تلك إلا بعض الأمثلة على جوانب البرنامج التي يمكن أن تخضع للمتابعة. يركز بعضها على العمليات، بينما تتطلع أخرى إلى الأثر أو السياق. ومن المهم التفكير في متابعة العملية والأثر والسياق؛ حيث إنها مترابطة ويمكن أن تساعدنا على فهم المسارات التي تقود إلى التغيير. وتعد طرائق البحث النوعي، مثل المقابلات الفردية ومناقشات مجموعة التركيز، (انظر الفصل الثالث)، مثالية لإجراء تقييم تكوينيّ ودراسة عوائق تقدم البرنامج وميسراته. ويمكن إجراء مقابلات مع الأطراف المعنيّة المحلية، بما في ذلك مجموعة مختارة من المستفيدين وأعضاء المجتمع المحلي وموظفي البرنامج، في أي مرحلة خلال تنفيذ البرنامج. ويمكن أن تتبع المقابلات دليل الموضوع الذي يبحث عوائق جوانب المتابعة الستة المذكورة أعلاه وميسراتها. وتكشف مثل هذه المقابلات عما تم إنجازه حتى الآن، بالإضافة إلى بعض العمليات التشغيلية والعوامل السياقية التي إما تسببت في تيسير أثر البرنامج وإما في إعاقته. وبعد ذلك، يمكن للممارسين في مجال التنمية استخدام هذا التعقيب لتعديل البرنامج والاستفادة من مواطن قوته.

يمكنك تجميع المعلومات من مجموعة متنوعة من المصادر بغرض المتابعة وإجراء التقييمات التكوينيّة (الزيارات الميدانية والاجتماعات المجتمعية والتقارير الميدانية وسجلات الأنشطة وما إلى ذلك). وربما يكون ذلك جزءًا من مهامك الوظيفية بالفعل. إذن، لماذا يجب عليك إضفاء الطابع الرسمي على العمليات واستخدام طرائق البحث النوعي؟ يمكن أن يكون اعتماد مقاربة بحثية، وجمع التعقيب بشكل منهجي، أداة لمراقبة الجودة والتأكد من اكتساب التعلّم القيّم وحفظه واستيعابه وتطبيقه بشكل صحيح على برامج التنمية في مجالات أو قطاعات أخرى.

تحليل "قصص التغيير"

ثمة العديد من السُبُل التي يمكنك استخدام الطرائق النوعية من خلالها لتقييم أثر البرنامج. يتيح لك تحليل "قصص التغيير" التحري عن أهم التغييرات التي نتجت عن البرنامج (Dart and Davies, 2003). ومن المهم أن يتم جمع "قصص التغيير" هذه بطريقة تشاركية واستقرائية ("من الأسفل إلى الأعلى") وألا تسترشد بمؤشرات دالة على ما تعتقد أنت، كممارس، أنه مهم ويشكل تغييرًا كبيرًا. يجب إجراء تحليل "قصص التغيير" النوعي بشكل فعال على نحو مستقل عن البحث الكميّ. ومع ذلك، إذا توافقت "قصص التغيير" النوعية مع المؤشرات الكميّة، فإنها ستعزز وتكمل بعضها البعض بشكل جيد.

نأمل أن تسهب "قصص التغيير" في الشرح وتقدّم تفاصيل عن العمليات الاجتماعية والعوامل السياقية التي أسهمت في إحداث أهم التغييرات. إذا كانت هذه القصص محدودة وكان الوقت والموارد يسمحان، فيمكنك محاولة الترتيب لإجراء مقابلات متابعة موجزة مع المشاركين الأفراد وسؤالهم عن المعلومات الأساسية المتعلقة بهذه التغييرات المهمة الملحوظة. ومن المرجح أن يسلّط تحليل "قصص التغيير" الضوء على الحصائل المتوقعة وغير المتوقعة. وهذه الميزة هي ما يضفي على المقاربة جاذبية باعتبارها طريقة لاستكمال التقييم التحصيليّ الكميّ والتوسّع فيه ولتحديد نطاق أثر البرنامج (وهو أمر مفيد من ناحية "القيمة مقابل المال"). يمكن تنفيذ تحليلات "قصص التغيير" مع أي من الأطراف المعنيّة، ما يسمح بإجراء مقارنات. ويتسنى للبالغين والأطفال الذين استفادوا من البرنامج التحدث من منطلق تجربة شخصية، بينما يمكن لأعضاء المجتمع المحلي الذين لم يستفيدوا منه التحدث عن التغييرات التي لاحظوها. علاوة على ذلك، قد يكون لدى موظفي البرنامج والأطراف المعنيّة الرئيسية وجهة نظر حول التغييرات التي تسبب فيها البرنامج.

يمكن جمع "قصص التغيير" بعدة طرائق مختلفة، تتباين ما بين المقابلات (انظر الفصل الثالث) وأدوات التعلم والعمل التشاركية (انظر الفصل الخامس) والصور التشاركية (انظر الفصل السادس). بينما من المفيد تحديد نطاق التغييرات الإيجابية والسلبية التي أحدثها البرنامج، فمن المفيد أيضًا مطالبة أعضاء المجتمع بإمعان النظر في التغييرات التي لاحظوها والتوصل إلى توافق في الآراء حول أهميتها، على سبيل المثال من خلال ترتيبها حسب أهميتها. بهذه الطريقة، يمكن لمجتمعات بأكملها أن تخبرك بما تعتبره "أهم التغييرات" التي سيحدثها البرنامج. ومع ذلك، يجب أن تدرك أن شرائح المجتمع المختلفة قد يكون لها تصورات مختلفة عن "أهم تغيير"، لذا من المستحسن أن تجمع قصص "أهم تغيير" من كل واحدة من هذه المجموعات (على سبيل المثال وفقًا لعمر المجموعة، أو النوع الاجتماعي، أو المجموعة العِرقية أو اللغوية، أو مستوى الفقر، أو الحالة الصحية).

وضع دافيس ودارت (Davies and Dart, 2005) إرشادات حول كيفية تسهيل تحليل "قصص التغيير" في سياق تقييم برنامج التنمية.[1]

تحليل مواطن قوة البرنامج وقيوده

بالإضافة إلى استكشاف التصورات المحلية حول التغيير والأثر، يمكن تعلّم الكثير من التصورات المحلية حول مواطن قوة البرنامج أو قيوده. ويكتسي هذا أهمية خاصة بالنسبة إلى الممارسين في مجال التنمية الذين يحتاجون إلى الاعتماد على الخبرات السابقة لوضع برامج جديدة وأفضل وقابلة للتوسع. ويستند هذا النوع من الاستعلام إلى ما يُشار إليه غالبًا على أنه تحليل مواطن القوة والضعف والفرص والمخاطر (SWOT). ينتشر استخدام تحليلات SWOT عادةً في إدارة الأداء، غير أنها تستطيع تزويد المجتمعات المحلية التي يستهدفها برنامج التنمية بمنصة مفيدة تتيح مناقشة مواطن قوة البرنامج وقيوده بالتفصيل. علاوة على أنه يمكن استكشاف مواطن قوة البرنامج وقيوده عن طريق إجراء مقابلات مع تشكيلة من الأطراف المعنيّة. وينبغي إجراء هذا النوع من التحليل لتلخيص مواطن القوة والقيود الرئيسية، إلى جانب استكشاف الدروس المستفادة والتوصيات من أجل البرامج في المستقبل.

خيارات أخرى للتحليل

تستفيد أشكال التحليل الخمسة المختلفة من الطرائق النوعية في إطار دورة برنامج التنمية. وهذه القائمة ليست شاملة بأي حال من الأحوال. ويمكن تسهيل العديد من أنشطة البحث والمناصرة والمساءلة العامة الأخرى. كما يمكن إجراء الأبحاث، سواءٌ أكانت تشغيلية أم تركز على مسألة معينة، في أي مرحلة من مراحل دورة البرنامج، بغض النظر عن إطار المتابعة والتقييم الذي تم تصميمه. ويمكن أن يعتمد التحليل على البيانات المجمّعة في فترة زمنية محددة (يُشار إليها أيضًا باسم دراسة مقطعية)، أو على المعلومات المجمّعة عن طريق متابعة مجموعة صغيرة من الأفراد طوال دورة البرنامج وإجراء مقابلات معهم في مراحل مختلفة (يُشار إليها أيضًا باسم دراسات الحالة الطولية). من المهم أيضًا الإشارة إلى أن الفرص الخمس لا تناسب جميع البرامج وأنه قد لا يكون من الواقعي إجراء جميع أنواع الدراسات الخمسة، بالنظر إلى التكاليف والتوقيت وقدرة الموظفين.

إذا تم جمع المعلومات من عدد من المجتمعات المختلفة، فيمكن استخدام المراجعة لاستخلاص الأدلة والدروس الرئيسية من أجل البرامج وأنشطة المناصرة في المستقبل. ويمكن لهذه المراجعة أن تُظهر الفرق بين نتائج الدراسات المختلفة التي أُجريت خلال البرنامج وتجمع بينها (أو بين البرامج المماثلة في سياقات أخرى).

الملخص

يقدّم البحث النوعي للممارسين في مجال التنمية فرصة استيعاب وجهات النظر والاحتياجات والسياقات المحلية. ومن خلال اعتماد "مقاربة بحثية" ومنهجية استخدام طرائق البحث النوعي وإضفاء الطابع الرسمي عليها، يمكن للممارسين في مجال التنمية تقديم إسهامات كبيرة في إنشاء قاعدة أدلة. وتمثل الأدلة النوعية المستقاة بصورة منهجية جزءًا أساسيًا من أهداف الممارسين في مجال التنمية. يمكن استخدام البحث النوعي في: ١) إشراك المستفيدين من البرنامج و٢) تعزيز المساءلة و٣) المساهمة في الأثر والابتكار والأدلة و٤) دعم جدول أعمال "القيمة مقابل المال" و٥) تسهيل قابلية توسيع نطاق البرامج وإمكانية تكرارها و٦) توفير المواد وإتاحة الفرص للمناصرة وتنظيم الحملات.

يمكن دمج البحث النوعي في دورة البرنامج بعدة طرائق مختلفة، بدءًا من إجراء تحليلات الوضع وتقديرات الاحتياجات ووصولاً إلى متابعة البرامج وتقييمها. ويمكن استخدام المعلومات المجمّعة في خطوات دورة البرنامج المختلفة لاستكشاف إمكانية تنفيذ البرنامج ومقبوليته، بالإضافة إلى تحديد المجالات التي تحتاج إلى تحسين. إذا تم النظر في الدروس والتوصيات التي تنبثق عن البحث النوعي المنهجي وتسهم في تغييرات البرنامج، فقد يكون لذلك منافع فورية على المستفيدين من البرنامج. في الفصول السبعة التالية، سنقدّم إرشادات حول كيفية استخلاص الأدلة النوعية وتقديم تقارير عنها، لتزويدك بالمعارف والمهارات اللازمة لاعتماد "مقاربة بحثية".

ملاحظة ختامية

١. يتوفر النص كاملاً على <www.mande.co.uk/docs/MSCGuide.pdf> [تم الوصول في٢٧ يوليو ٢٠١٥].

المراجع

Bamberger, M., Rao, V. and Woolcock, M. (2010) *Using Mixed Methods in Monitoring and Evaluation,* pp. 1–30, Research Working Papers, Washington DC: World Bank.

Bauer, M. W., Gaskell, G. and Allum, N. C. (2000) 'Quality, quantity and knowledge interests: avoiding confusions', in M. W. Bauer and G. Gaskell(eds), *Qualitative Researching with Text, Image and Sound,* pp. 3–17, London: SAGE Publications.

Campbell, C. and Jovchelovitch, S. (2000) 'Health, community and develop- ment: towards a social psychology of participation', *Journal of Community and Applied Social Psychology* 10 (4): 255–70.

Chambers, R. (1983) *Rural Development: Putting the Last First,* London: Longman.

Chambers, R. (1997) *Whose Reality Counts?: Putting the First Last,* London: Inter- mediate Technology.

Chukwudozie, O. Feinstein, C. Jensen, C. O'kane, C. Pina, S. Skovdal, M & Smith, R. (2015) 'Applying community-based participatory research to better understand and improve kinship care practices: insights from DRC, Nigeria and Sierra Leone' *Family and Community Health,* vol 38, no. 1, pp. 108-119.

Cornwall, A., Lucas, H. and Pasteur, K. (2000) 'Introduction: accountability through participation: developing workable partnership models in the health sector', *IDS Bulletin* 31 (1): 1–13, doi: 10.1111/j.1759-5436.2000. mp31001001.x.

Creswell, J. W. (2002) *Educational Research: Planning, Conducting and Evaluating Quantitative and Qualitative Research,* Boston MA: Pearson Education.

Darcy, J., Alexander, J. and Kiani, M. (2013) *2013 Humanitarian Accountability Report,* Geneva: Humanitarian Accountability Partnership.

Dart, J. and Davies, R. (2003) 'A dialogical, story-based evaluation tool: the most significant change technique', *American Journal of Evaluation* 24 (2): 137–55, doi: 10.1177/109821400302400202.

Davies, R. and Dart, J. (2005) *The Most Significant Change (MSC) Technique: A Guide to its Use,* self-published, <www.mande.co.uk/docs/MSCGuide.pdf> [accessed 27 July 2015].

Denzin, N. K. (1989) *The Research Act,* 3rd edn, Englewood Cliffs NJ: Prentice Hall.

Featherstone, A. (2013) *Improving Impact: Do Accountability Mechanisms Deliver Results?,* London: Christian Aid, HAP International, and Save the Children.

Flick, U. (2002) *An Introduction to Qualitative Research,* 2nd edn, London: SAGE Publications.

Freire, P. (1973) *Education for Critical Consciousness,* New York NY: Seabury Press.

Gaskell, G. and Bauer, M. W. (2000) 'Towards public accountability: beyond sampling, reliability and validity', in M. W. Bauer and G. Gaskell (eds), *Qualitative Researching with Text, Image and Sound,* London: SAGE Publications.

Gosling, L. and Cohen, D. (2007) *Advocacy Matters: Helping Children Change Their World,* London: Save the Children, <www.savethechildren.org. uk/sites/default/files/docs/ Advocacy-Matters-Participants-Manual.pdf> [accessed 27 July 2015].

Gosling, L. and Edwards, M. (2003) *Toolkits: A Practical Guide to Planning, Monitoring, Evaluation and Impact Assessment,* Volume 5, London: Save the Children.

IFRC (2007) VCA *Toolbox: With Reference Sheets,* Geneva: International Federation of Red Cross and Red Crescent Societies, <www.ifrc.org/Global/ Publications/disasters/vca/vca-toolbox-en.pdf> [accessed 27 July 2015].

Kilby, P. (2006) 'Accountability for empowerment: dilemmas facing non- governmental organizations', *World Development* 34 (6): 951–63, doi: http:// dx.doi.org/10.1016/j. worlddev.2005.11.009.

Laws, S., Harper, C., Jones, N. and Marcus, R. (2013) *Research for Development: A Practical Guide,* 2nd edn, London: SAGE Publications.

Madden, R. (2010) *Being Ethnographic: A Guide to the Theory and Practice of Ethnography,* London: SAGE Publications.

Moser, C. (1998) 'The asset vulnerability framework: reassessing urban poverty reduction strategies', *World Development* 26 (1): 1–19.

Munyas Ghadially, B. (2013) *Programme Accountability Guidance Pack: A Save the Children Resource,* London: Save the Children, <www.savethechildren. org.uk/resources/online-library/programme-accountability-guidance- pack> [accessed 27 July 2015].

O'Kane, C. (2008) 'The development of participatory techniques: facilitating children's views about decisions which affect them', in P. Christensen and A. James (eds), *Research With Children: Perspectives and Practice,* pp. 125–55, London: Routledge.

Rifkin, S. and Pridmore, P. (2001) *Partners in Planning: Information, Participation and Empowerment,* London: TALC and Macmillan Education.

Rossi, P. H. and Lipsey, M. W. (2004) *Evaluation: A Systematic Approach,* London: SAGE Publications.

Skovdal, M., Robertson, L., Mushati, P., Dumba, L., Sherr, L., Nyamukapa, C. and Gregson, S. (2013) 'Acceptability of conditions in a community-led cash transfer programme for orphaned and vulnerable children in Zimbabwe', *Health Policy and Planning* 29 (7): 809–17, doi: 10.1093/heapol/czt060.

الفصل الثاني

تصميم دراسة نوعية والتخطيط لها

الخلاصة

تحقق الدراسة النوعية منافع كبيرة نتيجة التخطيط مبكرًا وبتأنٍ. وفي خضم التخطيط، يتكشف أمامك تصميم دراستك. تتعرف، تدريجيًا، خلال هذا الفصل على بعض الاعتبارات العديدة التي يجب أن تكون ملمًا بها من أجل تصميم بحث نوعي فعّال والتخطيط له، ومن بينها أن البحث النوعي يجب أن يتسم بكونه قابلاً للتحقيق وأخلاقيًا وعالي الجودة. وبينما نقوم بذلك، يقدّم لك الفصل إرشادات ملموسة حول كيفية إعداد بروتوكول دراسة نوعية ويحتج بأن هذا التمرين يتيح لك فرصة تحديد الغرض من بحثك بوضوح ووضع أسئلة البحث وتصميم دراسة مناسب. ويختتم الفصل بنقاش عن معايير الجودة في البحث النوعي ويبرز كيف يعد التخطيط المبكر أساسيًا لإجراء بحث نوعي جيد ومنهجي.

الكلمات المفتاحية: بحث نوعي، بروتوكول الدراسة، تصميم البحث، الأخلاقيات، معايير الجودة

أهداف التعلُّم

بعد قراءة هذا الفصل، ستصبح قادرًا على:

- تحويل أفكار البحث إلى أهداف وغايات للبحث
- الدفاع عن مقاربة الدراسة وإستراتيجية التعيين
- تحديد خطط لتخفيف أي معضلات أخلاقية محتملة في الدراسة وتطويرها
- إعداد بروتوكول دراسة نوعية
- شرح معايير الجودة لإجراء بحث نوعي دقيق

المصطلحات الرئيسية (التعريفات)

- *تصميم الدراسة:* المقاربة والإجراء المنهجي المعتمد لمحاولة الإجابة عن سؤال البحث.
- *بروتوكول الدراسة:* مستند يصف تصميم الدراسة والخصائص التنفيذية للدراسة.
- *سؤال البحث:* السؤال الذي سيجيب عنه البحث.

ما سبب التخطيط للدراسة النوعية؟

هل تفكّر في إجراء دراسة نوعية؟ وهل تشعر بشيء من عدم اليقين حول كيفية المضي قدمًا وكيفية البدء؟ هذا أمر طبيعي تمامًا. يوجد بالفعل العديد من الأمور التي يجب مراعاتها والتفكير فيها قبل أن تبدأ. حتى أكثر الباحثين خبرة يشعرون بالضغط الشديد بسبب كل الأمور التي يحتاجون إلى مراعاتها من أجل التخطيط للدراسة وإعدادها. يقدّم هذا الفصل إرشادات حول بعض الجوانب العديدة في البحث النوعي التي يلزمك مراعاتها والتخطيط لها قبل البدء. وتشمل، على سبيل المثال لا الحصر:

- اتخاذ قرار بشأن محور تركيز البحث وتنقيح أسئلته؛
- اختيار تصميم الدراسة المناسب الذي سيُمكِّنُكَ من الإجابة عن أسئلة بحثك؛
- التفكير في إستراتيجية التحليل النوعي التي تستطيع إلقاء الضوء على موضوع الدراسة؛
- تشكيل فريق دراسة، بما في ذلك باحثين وأعضاء فريق استشاري؛
- تحديد طرائق البحث المناسبة؛
- الاتفاق على مَن سيشاركون في الدراسة، بالإضافة إلى كيفية اختيارهم؛
- التفكير في الانعكاسات الأخلاقية للمشاركين في الدراسة؛
- وضع خطة عن أفضل طريقة للإبلاغ عن استنتاجات الدراسة من أجل توجيه البرامج المستقبلية؛
- تأمل ما هو ممكن في حدود الجدارة التي يتمتع بها الموظفون وما يتاح من وقت ومالٍ.

سواءٌ أكنت ستجري البحث بنفسك، أم ستكتب "الشروط المرجعيّة" لخبير استشاري، أم ستتولى إدارة دراسة نوعية كجزء من مهام عملك، هناك بعض الأمور التي يلزمك التفكير فيها قبل أن تبدأ. وغالبًا ما يتم إجراء مثل هذا التخطيط عبر إعداد بروتوكول الدراسة. بروتوكول الدراسة هو مستند يصف التصميم العام لدراستك النوعية وخصائصها التنفيذية. بعبارة أخرى، يبيّن بروتوكول الدراسة بوضوح خططك واعتباراتك بشأن استخدام طرائق البحث النوعي. ومع ذلك، فإن بروتوكول الدراسة ليس مجرد مستند يصف أنشطتك البحثية المقررة وإنما هو أداة مفيدة في إعداد الدراسة؛ حيث يحثك على التفكير مليًا في كيفية توافق جميع عناصر دراستك معًا. إنه عملية تمكّنك من القيام بما يلي:

- *وضع تصميم متماسك للدراسة*: استفد من عملية كتابة بروتوكول الدراسة كفرصة لإعداد تصميم دراستك وتوضيحه. يربط تصميم الدراسة بين حوافزك، سواءٌ أكانت شخصية أم ثغرات في المراجع والأدبيات التي تستند إليها، وأسئلة البحث، واختيار طرائق البحث، والإستراتيجية التحليلية. ويساعدك بروتوكول الدراسة على التخطيط لأنشطة تعتمد على بعضها البعض وتمكّنك في النهاية من الإجابة عن أسئلة بحثك بطريقة منهجية ومقنعة.
- *تجنب المفاجآت*: في حين أنه لا يمكنك توقع جميع الأحداث التي قد تؤثر في عملية البحث، يمكنك الاستناد إلى خبرتك وخبرات الآخرين لتوقع الأحداث المحتملة. ويجمع بروتوكول الدراسة الجيد بين التنبؤ بالتطورات المحتملة وإعداد سيناريوهات لكيفية التعامل معها. وكلما خطّطت مسبقًا، أصبحت أكثر قدرة على تجنب المفاجآت.

- *تخفيف القيود المفروضة على الموارد*: يجب ألا تستخف أبدًا بتكلفة البحث النوعي. ومن خلال إعداد بروتوكول الدراسة، ستتضح تمامًا الموارد اللازمة لإجراء الدراسة، من حيث الوقت والمال والموظفين. ويمكن أن يؤدي ذلك إلى إدراك أنك ستحتاج إلى تقديم طلب للحصول على تمويل أو التفاوض على تخصيص المزيد من الموارد لك من داخل مؤسستك.
- *ضمان الجودة*: تسهم جميع العوامل سالفة الذكر في إجراء بحث نوعي جيد. ولكن يمكن أن يساعدك إدراك معايير الجودة في البحث النوعي أيضًا على التخطيط لأنشطة تساعدك على ضمان الجودة وتنفيذها (ستتم مناقشة ذلك لاحقًا في هذا الفصل).

ينطوي البحث على تنفيذ الأنشطة بطريقة منهجية للتوصّل إلى معرفة وفهم جديدين. غير أن البحث وخصوصًا البحث النوعي، لا يحدث بمعزل عن عوامل أخرى. يتم إجراء البحث النوعي في بيئات واقعية، ويحدث هناك تفاعل مع أشخاص آخرين في كل خطوة من خطوات العملية، ويتطلب مشاركة عدد من الأطراف المعنيّة المختلفة، غير أن كل هذا التفاعل عادة ما يجعل التنبؤ بخطوات العملية ونتائجها أمرًا صعبًا، كما أن التخطيط والتنفيذ المنهجي للعملية ينطوي على تحدٍّ كبيرٍ، ولا سيما إذا كنت تعمل في سياقات متعددة الثقافات. ومن ثمّ، من الجدير تكرار القول بأنك لا تستطيع التخطيط لجميع جوانب البحث النوعي وخصيصًا بسبب اهتمامه بالتفاعل مع أفراد المجتمع في سياقهم المحلي. ستكون هناك عوامل مفاجئة وثمة أوقات ستجد نفسك فيها مضطرًا للتخلي عن خطتك والارتجال. هذا أمر طبيعي ومتوقع إلى حدٍ ما. لا يمكنك بأية حال التخطيط لاستجابة لكل مفاجأة لا يمكن تصورها. ولكن ما يمكنك فعله هو تقبّل حقيقة وقوع أحداث غير متوقعة. قد تجبرك بعض الأحداث، مثل نزاع أو كوارث طبيعية، على التخلي عن دراستك برمتها. بينما هناك أحداث أخرى أقل وضوحًا قادرة على أن تحيد ببحثك إلى اتجاه مختلف قليلاً، مثل المعرفة والاتجاهات والسلوكيات غير المتوقعة، أو دخول جهات فاعلة أو تقنيات جديدة في السياق. كما أبرز ويسكر (Wisker, 2007)، فمن المهم ألا يصبح بروتوكول الدراسة "قيدًا" ولكن ينبغي أن تتقبل هذه الاتجاهات الجديدة وتكيف بروتوكول دراستك وفقًا لها، على سبيل المثال، عن طريق تغيير سؤال بحثك، أو اختيار مشاركين إضافيين أو آخرين في البحث، أو استخدام طرائق بحث مختلفة. وقد يكون من الصعب تطبيق ذلك "على عُجالة" ويستدعي مشاركة باحثين أكثر خبرة، مثلاً، في فُرَق استشارية.

النشاط ٢-١ التخطيط للمفاجآت والاستجابة لها

فكّر في برنامج أو مشروع بحث شاركت فيه مؤخرًا. وتأمل برنامجًا شجعتك فيه الظروف على أن تحيد عن خططك الأصلية. خصّص خمس دقائق لتدوين أفكارك حول الأسئلة التالية:

١. ما الظروف التي أدت إلى إحداث تغييرات في البرنامج؟ وهل كان من الممكن التحايل عليها؟

٢. هل كان تنفيذ البرنامج أو الدراسة بنجاح أكبر ممكنًا لو تم تخصيص مزيد من الوقت لأنشطة التخطيط؟ وما الذي كان ينبغي مراعاته قبل تنفيذ البرنامج؟

إن حقيقة أنك قد تضطر في بعض الأحيان إلى تكييف وتغيير بروتوكول دراستك في منتصف الدراسة لا تنفي أهمية التخطيط مسبقًا. على العكس، إنها تسلّط الضوء على أهمية التنبؤ بالاحتمالات المختلفة في إطار تصميم دراسة شامل والتفكير فيها.

يمكن أن يتخذ بروتوكول الدراسة النوعية العديد من الأشكال والصور ويشتمل على كميات متباينة من التفاصيل. وكلما أدرجت المزيد من التفاصيل، أصبحت أحسن استعدادًا. ومن المرجح أن يوفر عليك الوقت الذي تقضيه في التفكير مبكرًا وبتأنٍ تضييع الوقت ومواجهة المشكلات خلال عملية التنفيذ. ومن ثمّ، يوصى بأن تتعامل معها باعتبارها مرحلة رئيسية في عملية البحث وتستخدمها كأساس لتطوير أفكارك وتتشاور مع الأطراف المعنيّة المختلفة وتتفاعل معها. وسيساعدك ذلك على تنقيح تصميم الدراسة، وكسب التأييد اللازم من الأطراف المعنية الرئيسية وضمان شعورها بالملكية.

يرشدك هذا الفصل خلال عملية التخطيط لدراسة نوعية فعالة تربط أسئلة البحث وأهداف الدراسة بتصميم الدراسة المناسب. بالإشارة أحيانًا إلى دراسة حالة (انظر المربع ٢-١)، ستعرّفك التمارين على بعض عمليات التفكير العديدة التي يمكن أن تساعدك على التخطيط. في حين أن وضع بروتوكول الدراسة ليس إلزاميًا، يتمحور الفصل حول الاعتبارات المختلفة التي يمكنك تضمينها في بروتوكول واحد. راجع المربع ٢-٢ لمعرفة العناوين المحتملة في بروتوكول الدراسة.

وضع سياق للحاجة إلى الدراسة

من المحتمل أن تكون الخبرة التي راكمتها في أعمال التنمية قد أثارت العديد من الأفكار حول المسائل التي تحتاج إلى بحثها. كما ورد في الفصل الأول، يعد هذا الفضول للتساؤل والتعلّم جزءًا أساسيًا لإنجاز برامج عالية الجودة. ولكن، كيف يتسنى لك التحوّل من الاهتمام بمعرفة المزيد عن مجال معين إلى وضع سؤال (أسئلة) البحث وتحديد تصميم الدراسة الصحيح؟ الخطوة الأولى ومحور تركيز هذا القسم، هي وضع سياق للحاجة إلى الدراسة وتحديد الغرض منها ونطاقها المحدد.

إن البحث النوعي ليس مجانيًا، فهو يستغرق وقتًا ثمينًا منك ومن زملائك، ناهيك عن المشاركين في الدراسة. علاوة على أنه يكلف المال ويمكن أن يحوّل الموارد بعيدًا عن الأنشطة الأخرى. لذلك، من المهم أن تبرر الحاجة إلى إجراء دراسة. يمكنك البدء بوضع سياق للحاجة إلى الدراسة من خلال التفكير مليًا في الأسئلة التالية (مقتبسة من Wisker, 2007):

- ما المشكلات التي تحظى باهتمامك؟
- ما الذي تريد التقصي عنه؟
- ما الأدلة الأخرى المتاحة عن الموضوع؟
- كيف ستسهم دراستك في إثراء قاعدة الأدلة الحالية؟
- ما الذي تأمل في تغييره من خلال البحث؟
- ما الاختلاف الذي سيُحدثه بحثك؟ ما الذي يجعله "مهمًا"؟

يتسنى لك الإجابة عن بعض هذه الأسئلة بسهولة تامة، استنادًا إلى خبرتك وملاحظاتك وبالتفكير فيما يدفعك لإجراء دراسة نوعية في المقام الأول. وتتطلب منك الإجابة عن أسئلة أخرى القيام ببعض الأعمال الاستقصائية ومراجعة الأدبيات الخارجية من قواعد البيانات على الإنترنت، فضلاً عن المستندات الداخلية المتاحة داخل مؤسستك.

المربع ٢-١ أطفال يعملون في الشوارع في مدينة كراتشي، باكستان – دراسة حالة

يجبر الفقر عددًا متزايدًا من الأطفال على البحث عن عمل في شوارع مدينة كراتشي، حتى يتمكنوا من القيام بدور فعال في إعالة أنفسهم وأسرهم. في حين يقيم معظم الأطفال مع الأسرة أو الأقرباء، يتخذ بعضهم من الشوارع مأوى له دون إشراف أو رعاية من البالغين.

عادةً ما يتم استغلال الأطفال للعمل في البيع بالتجوال وغسيل السيارات ومسح الأحذية، أو التسول وجمع القمامة. علاوة على ذلك، يتم اصطحاب أعداد كبيرة من الأطفال من الشوارع للقيام بأعمال منزلية معينة ولا سيما الفتيات وغالبًا ما يؤدون مهام تتطلب جهدًا بدنيًا في ظروف يواجهون فيها مخاطر سوء المعاملة والاستغلال داخل جدران المنازل ووراء الأبواب المغلقة.

بغض النظر عن نوع العمل، غالبًا ما يُحرم الأطفال الذين يعملون في الشوارع من التعليم المدرسي النظامي ومن الفرص التي ستمكّنهم من التمتع بحقهم في عيش طفولة "طبيعية" وحلم الهرب من الفقر. وغالبًا ما يُطالبون بالانخراط في أعمال محفوفة بالمخاطر وشاقة وغير مناسبة لعمرهم والتي، من بين أمور أخرى، يمكن أن يكون لها عواقب وخيمة على صحتهم الجسدية والعاطفية.

تخيّل أن مؤسستك تتطلع إلى إنشاء برنامج لدعم الأطفال الذين يعملون في شوارع مدينة كراتشي. وتقرر أن الخطوة الأولى هي إجراء دراسة تتقصى كُلًا من الصعوبات التي تعترض هذه المجموعة من الأطفال والإستراتيجيات التي تم وضعها للتغلب عليها.

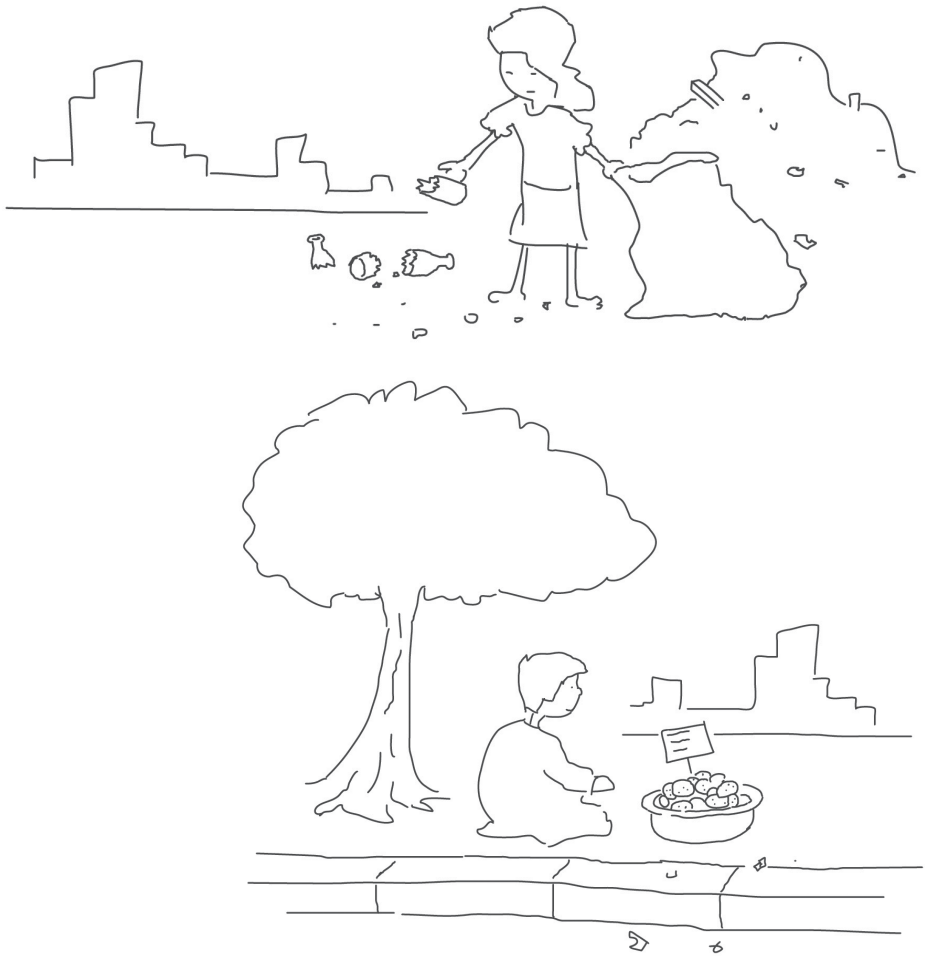

الشكل ٢-١ أطفال يعملون في الشوارع

المربع ٢-٢ الهيكل والعناوين الممكنة لبروتوكول الدراسة

١. صفحة الغلاف
١-١. عنوان دلالي للدراسة
١-٢. أسماء الباحثين
١-٣. تفاصيل الاتصال بالباحث الرئيسي (PI)
٢. وضع سياق للحاجة إلى الدراسة
٢-١. دوافع البحث
٢-٢. مراجعة الأدبيات
٢-٣. سؤال البحث وأهداف الدراسة
٣. تصميم الدراسة النوعية
٣-١. مقاربة الدراسة
٣-٢. فريق الدراسة
٣-٢-١. المساعدون
٣-٢-٢. اللجنة الاستشارية
٣-٣. مكان الدراسة والمشاركون
٣-٣-١. مبرر اختيار مكان الدراسة
٣-٣-٢. الوصول إلى الموقع
٣-٣-٣. اختيار المشاركين وتعيينهم
٣-٤. جمع البيانات
٣-٤-١. الطرائق
٣-٤-٢. الإجراء
٣-٥. الاعتبارات الاجتماعية والأخلاقية
٣-٥-١. الاعتبارات الثقافية واللغوية
٣-٥-٢. الموافقة المستنيرة
٣-٥-٣. المخاطر والمنافع
٣-٥-٤. السرية وتخزين البيانات
٣-٥-٥. التعويض
٣-٦. تحليل البيانات
٣-٦-١. إعداد البيانات
٣-٦-٢. إجراء التحليل
٣-٧. التكلفة والجدول الزمني
٣-٧-١. الجدول الزمني
٣-٧-٢. الميزانية
٣-٨. تضارب المصالح
٣-٩. الملحقات
٣-٩-١. أدوات البحث (مثل أدلة المواضيع ودليل الملاحظة والمسح)
٣-٩-٢. أوراق المعلومات
٣-٩-٣. نماذج الموافقة المستنيرة
٣-٩-٤. رسائل الإذن والتعاون

التزام الوضوح بشأن دوافع بحثك

يجسد البحث النوعي فرصة لمعرفة المزيد عن مسألة أو عملية ذات صلة بأحد برامج التنمية. وبالنظر إلى حجم العمل الذي ينطوي عليه إعداد دراسة نوعية، فمن المرجح أن يكون هناك حافزًا ما يقف وراءها، وهو ما من شأنه أن يدفع عجلة التخطيط والتنفيذ إلى الأمام. ويمكن أن يساعدك الوعي الذاتي وتوضيح ماهية هذه الحوافز بالضبط على البقاء مركزًا وتكون حافزًا لك في حال واجهت صعوبات أو تحديات في عملية البحث.

النشاط ٢-٢ العوامل المُحفِّزة على إجراء الدراسة

تخطط لإجراء دراسة مع الأطفال الذين يعملون في شوارع مدينة كراتشي (انظر المربع ٢-١). دوّن ما تعتقد أنها قد تكون بعض العوامل المُحفِّزة على إجراء الدراسة من منظور:

١. ممارس محلي في مجال التنمية يعمل مع الأطفال المستضعفين في مدينة كراتشي.

٢. ممارس دولي في مجال التنمية يعمل في مكتب رئيسي.

لكل عامل، سجّل أيضًا كيف يمكن أن يؤثر سلبًا أو إيجابًا في الدراسة.

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

من المهم أن يتضمن بروتوكول الدراسة فقرة تبيّن بالتفصيل الأسباب التي أدت إلى إجراء هذه الدراسة، بالإضافة إلى كيف يمكن لهذه العوامل المُحفِّزة أن تؤثر في الدراسة المقررة وتوجّهها. وعند توضيح العوامل التي دفعتك إلى إنجاز البحث، فإنك تعلن أيضًا عن اهتماماتك ومشاركتك في الدراسة. وبصفتك ممارسًا في مجال التنمية تجري بحثًا، ربما في برنامج ساعدت على تطويره، فإنك تؤدي دورًا مزدوجًا ومن المهم أن تدرك ذلك وتفكّر فيه. هذا ضروري لأغراض الشفافية ويساعدك على إدراك كيف توجِّهُ اهتماماتُكَ البحث في اتجاه محدد. وعلى وجه الخصوص، يمكن أن يشجعك على التفكير في كيفية تأثير العوامل المُحفِّزة لك في طريقة إجراء الدراسة، بالإضافة إلى النتائج (سواءٌ أكانت جيدة أم سيئة).

إجراء مراجعة الأدبيات

يحدد البروتوكول الجيد بإيجاز الأدلة المتوفرة حول الموضوع، ما يتطلب منك القيام ببعض الأعمال الاستقصائية. وقد يشمل ذلك التحدث إلى الزملاء والاستعلام عن أعمال البحث والمتابعة والتقييم الجارية التي ربما تكون متاحة داخل مؤسستك وملائمة لاهتمامات دراستك. وقد يكون لدى مؤسستك موقع شبكة داخلية وقاعدة بيانات مركزية حيث يمكن العثور على التقارير والمنشورات والاطلاع عليها. ومن المهم أيضًا أن تطلع على الأدلة الأوسع نطاقًا المتاحة؛ تحديدًا خبرات المؤسسات الأخرى، فضلاً عن الأبحاث المنشورة رسميًا. وهناك عدد من قواعد بيانات الأبحاث على الإنترنت التي يمكنك استخدامها للعثور على الأدلة الحالية التي تتطرق إلى موضوع بحثك (انظر الجدول ٢-١ للاطلاع على أمثلة).

بعض محركات البحث متخصصة وتركز على مبادئ ومجالات مواضيعية معينة، في حين هناك أخرى متعددة التخصصات. وتتضمن بعض قواعد البيانات معلومات عن الأبحاث الرسمية والأكاديمية فقط، بينما تشمل أخرى معلومات عن المنشورات غير الرسمية وهي المواد المكتوبة المنشورة بشكل غير رسمي (مثل التقارير). وغالبًا ما تتيح قواعد البيانات التي تتضمن منشورات غير رسمية النصوص الكاملة (على سبيل المثال، "مركز موارد منظمة أنقذوا الأطفال" (Save the Children Resource Centre) و"البحث من أجل التنمية" (Research for Development)). ولا توفر قواعد بيانات الأبحاث الأكثر رسمية دائمًا إمكانية الوصول إلى النصوص الكاملة وإنما ملخصات أو موجزات فقط. وبالنسبة إلى العديد من المقالات، يتسنى فقط للأفراد والمؤسسات الذين يشتركون في الدوريات التي تُنشر فيها الوصول إلى النصوص الكاملة. والاستثناء على ذلك هو دليل المجلات ذات الوصول المفتوح (Directory of Open Access Journals)، الذي يتيح لك البحث في المقالات البحثية المتاحة مجانًا. ونادرًا ما تكون الكتب متاحة مجانًا على الإنترنت. إذا كان يُسمح لك بدخول مكتبة، فربما تجد فيها من يساعدك على الوصول إلى الكتب أو الدوريات.

الجدول ٢-١ محركات البحث الإلكترونية للعثور على الأوراق البحثية

قاعدة بيانات الأبحاث	محور التركيز	الموقع الإلكتروني	الوصول
الباحث العلمي من Google (Google Scholar)	متعدد التخصصات	<www.scholar.google.com>	مجاني
بوبلاين (POPLINE)	تنظيم الأسرة والصحة الإنجابية	<www.popline.org/>	مجاني
بيميد (Pubmed)	الصحة العامة والطب	<www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed>	مجاني
بابسايك (PubPsych)	علم النفس	<www.pubpsych.eu/>	مجاني
إيريك (ERIC)	التعليم	<http://eric.ed.gov/>	مجاني
البحث من أجل التنمية (Research for Development)	التنمية	<http://r4d.dfid.gov.uk/>	مجاني
بوابة الأبحاث (ResearchGate)	متعدد التخصصات	<www.researchgate.com>	مجاني
مركز موارد منظمة أنقذوا الأطفال (Save the Children Resource Centre)	حماية الأطفال	<http://resourcecentre.savethechildren.se>	مجاني
دليل المجلات ذات الوصول المفتوح (Directory of Open Access Journals)	متعدد التخصصات	<https://doaj.org/>	مجاني
شبكة علوم	متعدد التخصصات	<http://wokinfo.com/>	اشتراك
سكوبوس (Scopus)	متعدد التخصصات	<www.elsevier.com/online-tools/scopus>	اشتراك

ومع ذلك، هناك اتجاه متزايد لإتاحة الوصول إلى الأبحاث الأكاديمية مجانًا. ويتزايد إقدام الأكاديميين على أرشفة أبحاثهم بأنفسهم. لذلك، إذا أسفر بحث في قاعدة بيانات الأبحاث عن تفاصيل دراسات تحظى باهتمامك ولكن لا يمكنك الوصول إليها، فلا تستسلم. أدخل عنوان المقال في محرك بحث على الإنترنت وتصفح النتائج. من المحتمل أن يكون المؤلف قد حمّل المقال على أحد مستودعات الجامعات أو مواقع التواصل الاجتماعي، مثل ResearchGate أو Academia.edu. فضلاً عن أنك تستطيع التواصل مع المؤلف عبر البريد الإلكتروني والذي من المحتمل جدًا أن يرد عليك بنسخة من المقال الذي تطلبه.

مراجعة الأدبيات هي مهمة لا تنتهي ويمكن أن تستهلك وقتك بأكمله. وبينما لا يمكنك مراجعة جميع الأدبيات المتاحة بأية حال، يمكنك الانخراط في قراءة بعض الأعمال ذات الصلة التي صدرت والسماح لها بتوجيه خطواتك القادمة. يمكنك العثور على مجال دراسة ذي صلة واستقاء الإلهام والأفكار من الدراسات المتاحة أمامك لإنجاز تصميم بحثك الخاص.

النشاط ٢-٣ البحث عن الأدبيات

يمنحك هذا التمرين فرصة محاولة البحث عن الأدبيات والوصول إليها. تخيّل أنك تريد إجراء بحث يتقصى عن صحة أطفال الشوارع وتهتم بمعرفة الأبحاث الموجودة بالفعل.

١. أذهب إلى قاعدة بيانات الأبحاث بميد (PubMed): <www.ncbi.nlm.nih.gov/pubmed>.
٢. قم بإجراء بحث باستخدام المصطلحين "health" (صحة) و"street children" (أطفال الشوارع).
٣. في قائمة النتائج، ستجد مجموعة مختارة من المقالات التي ربما تكون أكثر أو أقل صلة بموضوع دراستك المقترح. وستجد بعض المقالات مدرجة على أنها مقالات مجانية. وهذا يعني أنك تستطيع الوصول إلى النص الكامل لهذه المقالات.
٤. إذا كنت مهتمًا بالمقالات المتاحة مجانًا فحسب، فيمكنك الضغط على "Free full text" (نص كامل مجاني) أسفل "Text availability" (توفّر النص) في الجهة العُليا من القائمة اليسرى.
٥. جرّب البحث في قاعدة بيانات الأبحاث باستخدام مصطلحات أخرى.

علاوة على ذلك، تساعد مراجعة الأدبيات الحالية، سواءٌ أكانت داخلية أم خارجية، على التأكد من عدم تكرار الأعمال والأبحاث التي سبقك إليها أحد بالفعل. إذا كانت مراجعة الأدبيات الحالية تمنحك رؤية واضحة وإجابات عن المسائل التي تريد دراستها، فربما لم تعد هناك حاجة إلى إجراء الدراسة التي تدور في ذهنك. ومع ذلك، إذا جعلتك المراجعة تطرح المزيد من الأسئلة المحددة مقارنةً بالإجابات التي تم التوصل إليها عن المسألة، فيمكنك الاستفادة من المراجعة في تعزيز الحاجة إلى إجراء دراستك.

نظرًا لأنه يمكن استخدام مراجعة الأدبيات في تعريف الاستقصاء ووضع الحدود وتقديم مستوى معين من التوجيه، فهي خطوة أولى مهمة في تجميع أفكارك وآرائك وجعلها محط تركيز الدراسة ووضع سؤال البحث.

في الواقع العملي، حاول تضمين عنوان فرعي في بروتوكول الدراسة باسم "مراجعة الأدبيات". اكتب نظرة عامة موجزة، بناءً على قراءتك، عن الأدلة الحالية ذات الصلة بدراستك وخلال ذلك، حدّد بوضوح الأدلة المتاحة وبيّن الثغرات المعرفية الرئيسية. وبعد "النظرة العامة" التي استهللت بها بروتوكول الدراسة، قدِّم بيان المشكلة وسلِّط من خلاله الضوء على المشكلة التي تنطوي عليها الممارسة الراهنة أو الثغرات الموجودة في الأدلة. اختتم النظرة العامة على الأدبيات بتوضيح كيف ستستفيد دراستك من الأدلة الراهنة وتسدُّ الثغرات في الأدلة، سعيًا في النهاية إلى حل المشكلة التي وصفتها أعلاه.

تحديد سؤال البحث ووضع أهداف الدراسة

يعرّف سؤال البحث الجيد الاستقصاء ويضع الحدود ويقدّم التوجيه (O'Leary, 2004). وتخضع صياغة السؤال للإعادة عدة مرات، حيث تضع في الاعتبار ملاحظات عملك ودوافعه والأدبيات التي قرأتها (كما هو موضح أعلاه) وما هو قابل للتنفيذ بالنظر إلى مهاراتك البحثية أو الإشراف المتاح والوقت المخصص والموارد المتوفرة. فقط عندما يصبح لديك فهم واضح لما هو مطلوب وقابل للتنفيذ، تستطيع حينها البدء في صياغة سؤال قادر على توجيه بحثك.

يحدّد سؤال البحث النوعي الجيد ما سيدرسه الباحث وأين ومع مَن. ومن ثمّ، يتضمن سؤال البحث النوعي الجيد تفاصيل عن المسألة قيد الدراسة وموقعها، فضلاً عن المشاركين في البحث. ويجب أن يحدد سؤال البحث أيضًا الأمور التي لديك اهتمام بدراستها والتقصي عنها. ربما تكون مهتمًا **بتصورات** العاملين في المنظمات غير الحكومية حول الأطفال الذين يعملون في الشوارع، أو **العوامل** التي تجعل الأطفال مستضعفين ومعرضين للخطر، أو **وظائف** متغيرات معينة، مثل دعم الأقران أو المنظمات غير الحكومية، في الحد من المخاطر التي يتعرض لها الأطفال الذين يعملون أو يعيشون في الشوارع، أو **العلاقات** التي تربط بين الأطفال الذين يعملون في الشوارع وغير ذلك. يسرد المربع ٢-٣ بعض الأمثلة على كيفية البدء في صياغة سؤال بحث نوعي بناءً على اهتماماتك.

المربع ٢-٣ أمثلة على كيفية صياغة سؤال البحث النوعي

ما طبيعة...؟	كيف يؤثر...في...؟
كيف يختلف...عن...؟	ما تأثيرات...؟
ما مهام...؟	كيف يتم تعريف...؟
كيف ينظر...إلى...؟	تحت أي ظروف يقوم...؟
ما العوامل التي تؤثر في...؟	ما العلاقة بين...؟
ما الإستراتيجيات المتبعة...؟	ما الآليات التي يتم بموجبها...؟
كيف يستجيب...لـ...؟	

النشاط ٢-٤ اتخاذ قرار بشأن سؤال البحث

تأمل أسئلة البحث النوعي الثلاثة أدناه وقرر أيها تعتقد أنها الأفضل صياغة للدراسة الموضحة في المربع ٢-١.

١. كيف تبدو حياة الأطفال الذين يعملون في الشوارع؟
٢. ما العوامل التي تؤثر في الصعوبات التي تعترض الأطفال الذين يعملون في شوارع مدينة كراتشي، وما الإستراتيجيات المتبعة لمواجهة تلك الصعوبات؟
٣. كيف يمكن لمنظمة "أنقذوا الأطفال" تقديم أفضل دعم للأطفال الذين يعملون في شوارع كراتشي؟

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

خلال وضع سؤال البحث، من المحتمل أن تفكّر في عدد من أسئلة البحث ذات الصلة. ومن المفيد أن تقيّم هذه الأسئلة باستمرار، حيث سيساعدك ذلك على تنقيحها وحسم قرارك بشأن سؤالك النهائي. على سبيل المثال، يمكنك أن تطرح الأسئلة التالية:

- هل هناك توافق جيد بين اهتماماتك (دوافعك الشخصية والتنظيمية)، ومراجعة الأدبيات، وسؤال البحث؟
- هل سؤال البحث محدد وواضح ومحكم الصياغة؟
- هل يمكن الإجابة عن سؤال البحث؟ هل ثمة جدوى من طرح السؤال، بالنظر إلى معوقات الوقت والموارد والموظفين؟

إذا وجدت نفسك مع قائمة من أسئلة البحث، فحاول تحديد سؤال شامل وإعادة كتابة الأسئلة الأخرى كأهداف للدراسة. يجب أن تكون هذه الأهداف بيانات محددة تعكس الخطوات التي ستتخذها للإجابة عن سؤال بحثك. بالنسبة إلى سؤال البحث رقم ٢ في النشاط ٢-٤، قد تكون الأهداف التالية مفيدة:

- استكشف طبيعة عملهم وكيف تبدو حياة "الشارع".
- حدّد العوامل التي تجعل الأطفال الذين يعملون في شوارع مدينة كراتشي مستضعفين وعُرضة للخطر.
- حدّد الإستراتيجيات التي يستخدمها الأطفال العاملون في شوارع مدينة كراتشي للتأقلم مع الصعوبات.
- حدّد الاختلافات بين الفتيان والفتيات، بالإضافة إلى التفسيرات المحتملة لهذه الاختلافات.

من خلال معالجة أهداف الدراسة الأربعة هذه، ستبدأ تلقائيًا في "رسم صورة" تجيب عن سؤال البحث الشامل: "ما العوامل التي تؤثر في الصعوبات التي تعترض الأطفال الذين يعملون في شوارع مدينة كراتشي، وما الإستراتيجيات المتبعة لمواجهة تلك الصعوبات؟"

في الواقع العملي، حاول تضمين عنوان فرعي في بروتوكول الدراسة باسم "سؤال البحث وأهداف الدراسة". استند إلى دوافعك الشخصية ومراجعة الأدبيات لكتابة بيان مشكلة موجز ومختصر، وهو ما من شأنه أن يبيّن الثغرات الموجودة في الأدلة. ومن ثمّ، قدّم سؤال (أسئلة) بحثك وأهداف الدراسة، مع توضيح أن محاولتك للإجابة عن سؤال (أسئلة) البحث ستساعدك على سدّ الثغرة المعرفية.

تصميم الدراسة النوعية

متى أصبحت راضيًا عن سؤال البحث وأهداف الدراسة، يمكنك البدء في تحديد تصميم الدراسة الأنسب للإجابة عن سؤال بحثك. وأول شيء يجب أن تكون واضحًا بشأنه هي المقاربة التي ستطبّقها.

اختيار مقاربة الدراسة

يتضمن البحث النوعي العديد من مقاربات الدراسة المختلفة. يمكنك اختيار اتباع مقاربة واحدة، من البداية إلى النهاية، أو يمكن أن تسترشد بمقاربات مختلفة وتختر عناصر من مجموعة مختارة. في كلتا الحالتين، من المهم أن يحدد بروتوكول الدراسة بوضوح المقاربة التي ستتبعها. قد تتبع دراستك إحدى مقاربات الدراسة الأربع التالية ذات الصلة بأبحاث التنمية.

البحث التشاركي المجتمعي: يعرف اختصارًا بـ (CBPR) ويُقصد به "مقاربة شراكة للأبحاث التي تشمل بصورة منصفة أفرادًا من المجتمع المحلي وممثلين عن المؤسسات وباحثين في جميع جوانب عملية البحث" (Israel et al., 2005). وفيما يتعلق ببحث العمل التشاركي، يمثل البحث التشاركي المجتمعي (CBPR) مقاربة دراسية تنطوي على منح السكان المحليين إمكانية التعبير عن آرائهم حتى يتسنى لهم تحديد الاحتياجات المحلية والإبلاغ عنها بصورة جماعية وتلبيتها. ويدرك أن المجتمعات المحلية تمتلك ثروة من المعرفة والمهارات المحددة التي يمكن أن تسهم في عملية البحث. إذا قررت اتباع مقاربة CBPR، فيجب أن تقيم شراكة مع مجتمع، أو جماعة، أو مؤسسة محلية وتحدد، من خلال الحوار معهم، سؤال البحث وتتفق عليه. وستتضمن أيضًا بناء قدرتهم البحثية حتى يصبحوا في وضع يتيح لهم المساهمة بشكل فعال في إجراء البحث، من جمع البيانات إلى تحليل الاستنتاجات وتعميمها. قد يكون ذلك عن طريق استخدام الصور التشاركية (Photovoice) (انظر الفصل السادس).

بحث التنفيذ: بحث التنفيذ هو مقاربة عملية للبحث في مجال التنمية وتقديم الخدمات. ويتناسب بشكل جيد مع أنشطة المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم (MEAL)، حيث يراعي "أي جانب من جوانب التنفيذ، بما في ذلك العوامل المؤثرة في التنفيذ وعمليات التنفيذ ونتائجه" (Peters et al., 2013). يمثل بحث التنفيذ استعلامًا يستند إلى الاهتمام التحليلي لاتخاذ قرارات أفضل بشأن البرنامج. وعادةً ما يشمل إجراء تحقيق حول العوامل التي تؤثر في تنفيذ البرنامج، مع تركيز خاص على توجيه إستراتيجيات التنفيذ في المستقبل. وينطوي هذا البحث على إجراء تقييمات تكوينية.

بحث دراسة الحالة: بحث دراسة الحالة هو مقاربة من المقاربات التي تتبعها الأبحاث النوعية. وَسُمِّيَ ببحث دراسة الحالة، لأنه تتم فيه دراسة إحدى المسائل عبر حالة واحدة أو أكثر (Creswell, 2012). ويمكن أن تكون الحالة فردًا، أو مجتمعًا محليًا، أو مدرسة، أو مستشفى، أو برنامج تنمية. وغالبًا ما تنطوي أبحاث دراسة الحالة على عدة طرائق (مثل تلك المطروحة في هذا الكتاب) وفحصًا دقيقًا للحالة من خلال الاستعانة بعدة مصادر معلومات مختلفة. ومن ثمّ، يمكّنك بحث دراسة الحالة من رسم صورة شاملة للغاية عن كيفية إظهار المسألة قيد الدراسة نفسها داخل الحالة أو الحالات. إذا تابعت حالة مع مرور الوقت، فيمكن أن تلاحظ تغييرات، فضلاً عن العوامل التي تؤثر في التغيير.

بحث الظواهر: يسعى بحث الظواهر إلى دراسة التجربة الإنسانية لمسألة أو ظاهرة معينة. في بحث الظواهر، تجمع المعلومات من الأشخاص الذين تعرضوا لتجربة معينة وتصف كل من "ما" تعرضوا له و"كيف" حدث ذلك (Moustakas, 1994). ويعد بحث الظواهر مقاربة مناسبة إذا كنت تتطلع إلى: ١) فهم سياق المسألة و٢) وصف تجارب المشاركين في الدراسة و٣) استكشاف المعاني التي يربطها المشاركون بهذه التجارب.

هذه أربع مقاربات من عدد لا يُحصى من مقاربات الدراسة النوعية. وتتداخل مقاربات الدراسة في البحث النوعي إلى حدٍ كبير. وتشترك جميعًا في حقيقة أنها استكشافية وتستند إلى الملاحظات؛ ما يعني أنها تحاول استكشاف وملاحظة ما يحدث في سياق محدد. ومع ذلك، يساعدك التزام الوضوح بشأن مقاربة دراستك، مثلما يساعد جمهورك، على فهم ما تحاول تحقيقه من خلال دراستك.

النشاط ٢-٥ الربط بين اهتمامات الدراسة ومقارباتها

ضع حدًا فاصلاً بين اهتمام الدراسة والمقاربة التي تعتقد أنها ستكون الأنسب لدراسة الموضوع.

اهتمام أو موضوع الدراسة	مقاربات الدراسة
عوائق وميسّرات تنفيذ البرنامج	بحث الظواهر
تمكين الأطفال الذين يعملون في الشوارع من الإفصاح عن تجاربهم	بحث دراسة الحالة
تجارب الأطفال الذين يعملون في الشوارع مع العيش في الشوارع	البحث التشاركي المجتمعي
الحالة الصحية للأطفال الذين يعيشون ويعملون في الشوارع	بحث التنفيذ

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

أيًا كانت مقاربة الدراسة أو المقاربتان اللتان تختار أن تستمد الإلهام منهما، فمن المهم أن تحاول الالتزام بهما طوال فترة إجراء البحث. وستؤثر مقاربة الدراسة في تصميمك وكيفية المضي قدمًا في وضع بروتوكول الدراسة. في الواقع العملي، يعني ذلك تشجيعك على تضمين عنوان فرعي في بروتوكول الدراسة باسم "مقاربة الدراسة". تحت هذا القسم، يجب أن تشرح أنك ستعتمد مقاربة دراسة محددة للإجابة عن سؤال بحثك. اشرح بإيجاز سمات مقاربة الدراسة التي تعتمدها وبرّر السبب في أنها ذات صلة خاصة بسؤال بحثك.

تشكيل فريق الدراسة

مَن سيقوم بإجراء الدراسة؟ لإجراء دراستك المقررة، كم عدد الأشخاص أو المؤسسات المطلوب مشاركتهم؟ ماذا سيقدم كل منهم للدراسة؟ سيساعدك التحلي بالوضوح إزاء هذه الأسئلة على إشراك الأشخاص والمؤسسات المناسبة في وقت مبكر من عملية التخطيط. إذا كنت تخطط لإجراء مقابلات مع ١٠ أفراد إلى ١٥ فردًا في مكان واحد، فقد لا تكون هناك حاجة لمشاركة الكثيرين. في الحقيقة، قد يكفي شخص واحد أو اثنان. ومع ذلك، إذا كنت تتطلع إلى إشراك عدد كبير من المشاركين في الدراسة، في سياقات مختلفة، فستكون هناك حاجة إلى فريق دراسة أكبر بكثير. ويلزمك أيضًا التفكير فيما إذا كان ينبغي أن يكون أعضاء من المجتمع المحلي جزءًا من فريق الدراسة.

بالاستناد إلى حجم دراستك المقترحة، غالبًا ما يكون للمشروع البحثي باحث رئيسي (PI) واحد أو اثنين. يتوليان قيادة البحث وإدارته، غالبًا بمساعدة الباحثين المساعدين (COs). ويمكن أن يتضمن فريق الدراسة أيضًا مساعدي أبحاث يساعدون في جمع البيانات وكتابة نص المقابلة وما إلى ذلك. ويعتمد ما إذا كان الباحثون موظفين داخليين أو تم تكليفهم لأداء المهمة على مدى توفّر الموظفين الداخليين ومهاراتهم. ويُستحسن أن يصدر التكليف بإجراء الدراسات النوعية التي تركز على التقييم إلى خبراء استشاريين أو باحثين أكاديميين، في المقام الأول للحفاظ على موضوعية التقييم ونزاهته المتصورة.

يمكن أن تنشئ بعض مشاريع الأبحاث النوعية الأكبر حجمًا لجانًا مرجعية، تُعرف أيضًا باسم المجالس الاستشارية، التي تتألف عادةً من باحثين مخضرمين و/أو أعضاء من المجتمع المحلي، بما في ذلك الأطفال. ويمكن أن تستشير المجموعة الرئيسية من الباحثين هذه اللجنة وتتلقى المشورة منها. وإذا كانت الدراسة تتطلب التأييد والتعاون من عدد من المؤسسات المختلفة، فيمكن أن يشكل ممثلون من هذه المؤسسات جزءًا من اللجنة المرجعية.

ومن الناحية العملية، حاول تضمين عنوان فرعي في بروتوكول الدراسة باسم "فريق الدراسة". اذكر الباحثين الرئيسيين والباحثين المساعدين، بما في ذلك أسماؤهم وألقابهم وتفاصيل الاتصال بهم وخبراتهم في مجال البحث. واذكر تفاصيل أي لجنة مرجعية يمكن أن تقوم بإنشائها لدعم المشروع، بما في ذلك مَن هم الأعضاء، بالإضافة إلى أدوارهم وإسهاماتهم المحتملة في الدراسة. وضّح الطبيعة التعاونية للمشروع وتشمل المؤسسات المشاركة في البحث وأدوارها ومسؤولياتها.

تحديد مكان الدراسة واختيار المشاركين

عندما تشرع في التخطيط لدراسة نوعية، غالبًا ما يكون في ذهنك مكان معين ومجموعة من المشاركين في الدراسة. ومن الأمثل أن يبرر حافز البحث ومراجعة الأدبيات مكان الدراسة الأوسع نطاقًا. ومع ذلك، غالبًا ما تظل تفاصيل المكان المحدد أو المشاركين في الدراسة غير محسومة. وتعتمد أي دراسة نوعية على إمكانية الوصول إلى "الموقع الميداني"؛ أي الوصول إلى المكان التي ستجري فيه دراستك، بالإضافة إلى الأشخاص الذين تودّ إشراكهم. وبناءً عليه، من المهم أن تبدأ، في وقت مبكر من مرحلة التخطيط، التفاوض حول إمكانية الوصول إلى "الموقع الميداني" والحصول على الأذونات اللازمة لإجراء الدراسة.

بالنسبة إلى الممارسين في مجال التنمية، غالبًا ما لا يكون التفاوض بشأن الوصول مهمة رئيسية ولا سيما إذا كانوا قد عملوا في المكان ويعرفون "أصحاب النفوذ" على الصعيد المهني. يُستخدم مصطلح "أصحاب النفوذ" لوصف هؤلاء الذين يمكنهم إجازة وتيسير الوصول إلى مكان معين وأشخاص معينين. وقد يكون صاحب النفوذ زعيمًا محليًا، أو رئيس مؤسسة محلية، أو مسؤولاً حكوميًا.

بينما يوصى بأن تتخذ الترتيبات اللازمة للوصول إلى الموقع الميداني مبكرًا، فقد يتم تأجيل تعيين المشاركين في الدراسة إلى حين بدء إجرائها. ومع ذلك، من المهم أن تخطط لكيفية المضي قدمًا في تعيين المشاركين. هناك عدد من الإستراتيجيات المختلفة التي يمكنك اعتمادها. أول ما ينبغي أن تكون واضحًا بشأنه هو ما الذي يؤهل شخصًا ليكون جزءًا من دراستك وما الذي يجعله غير مؤهل. ويمكن توضيح ذلك من خلال وضع معايير الدمج والإقصاء. تعتمد المعايير على دراستك والأدلة التي تسعى إلى التوصل إليها ولكن يمكن أن ترتبط بالعمر، أو النوع الاجتماعي، أو العِرق، أو ربما تريد تضمين وجود أو غياب مرض ما أو المشاركة في أحد البرامج.

يلزمك أن تكون واضحًا أيضًا بشأن التقسيم الطبقي أو شرائح الخصائص (على سبيل المثال، النوع الاجتماعي والعمر والمواقع والطبقة الاجتماعية والاقتصادية والعِرق) التي تريد أن يمثلها المشاركون في دراستك. إذا كنت تتطلع إلى المقارنة بين استجابات الإناث والذكور، مثلاً، فمن المستحسن أن تبقي شرائح التقسيم الطبقي عند الحد الأدنى. كلما زاد التقسيم الطبقي في عينتك، زادت صعوبة المقارنة بين الاستجابات وإسنادها إلى خاصية معينة، مثل النوع الاجتماعي.

النشاط ٢-٦ التشاور مع أصحاب النفوذ

إذا كنت ستجري دراسة عن الأطفال الذين يعملون في شوارع مدينة كراتشي، فمَن أصحاب النفوذ الذين من المستحسن أن تتشاور معهم؟ دوّن اسم صاحب نفوذ واحد من المحتمل أن يستطيع منحك الإذن بإجراء الدراسة وآخر يستطيع تسهيل وصولك إلى الأطفال الذين يعملون في الشوارع.

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

بمجرد أن تنتهي من تحديد العوامل التي ينبغي أن تؤهل شخص ما للمشاركة في دراستك أو تستبعده، تحتاج إلى حسم قرارك بشأن كيفية تحديد المشاركين واختيارهم. إليك سبع إستراتيجيات شائعة الاستخدام لاختيار المشاركين في الدراسة عمدًا (انظر Patton, 1990 لمزيد من إستراتيجيات الاختيار):

- *تأثير "كرة الثلج"* : يمكنك اختيار المشاركين بناءً على توصيات من آخرين على دراية بالمشاركين المحتملين المناسبين لمعيار الدمج الخاص بك ويمكنهم المساهمة بمعلومات غزيرة.
- *الحالات المتطرفة أو الشاذة*: يمكنك اختيار المشاركين الذين يمثلون الحالات المتطرفة أو الشاذة، مثل هؤلاء الذين يبرعون في شيء ما أو يفشلون فيه، أو مَن يمرون بتجربة غير عادية.
- *العينة النموذجية*: يمكنك اختيار المشاركين الذين يمثلون الحالة النموذجية وما هو طبيعي ومعتاد.
- *العينة المكثفة*: يمكنك اختيار مشاركين لديهم قدر هائل من المعلومات. وعادةً ما يتمتعون بخبرة كبيرة في المسألة قيد الدراسة ويمكنهم التعبير عن ذلك بشكل جيد وإبداء ملاحظاتهم الخاصة.
- *المخبرون الرئيسيون*: يمكنك اختيار المشاركين بناءً على دورهم في المجتمع المحلي ومعرفتهم به. وعادةً ما يكونون قادة أو خبراء محترفين. وأنت تعلم أنه سيكون لديهم شيء مفيد للإفصاح عنه حول المسألة قيد الدراسة.
- *العينة الملائمة*: يمكنك اختيار المشاركين الذين يستوفون معاييرك بناءً على الملاءمة. لتوفير المال والوقت، يمكنك اختيار مشاركين على مقربة من مكتبك ويتحدثون لغتك. وهذا هو الخيار الأقل تفضيلاً ولكنه يكون أحيانًا السبيل الوحيد للمضي قدمًا في الدراسة بالنظر إلى قيود الموارد.
- *العينة العمدية العشوائية*: يمكنك اختيار المشاركين بشكل عشوائي إذا كان حجم العينة المتعلقة بالهدف كبيرًا. ولا يُقصد بذلك تسهيل التمثيلية وإنما تقليل التحيز داخل الفئة المتعلقة بالهدف.

لست مضطرًا للالتزام بإستراتيجية اختيار واحدة. يمكنك استخدام قدر ما تريد، طالما تستطيع تبرير إستراتيجيتك.

كم عدد المشاركين في البحث الذين يجب أن تختارهم؟ لا توجد قاعدة ثابتة بشأن عدد المشاركين في البحث النوعي الذين ينبغي أن تختارهم. وإنما سيعتمد العدد المحدد على: ١) عدد الفئات المختلفة من المشاركين الذين تشملهم في بحثك و٢) متى تصل إلى مرحلة التشبع، أي عندما تتوقف عن سماع أي شيء جديد ومثير للاهتمام و٣) ما هو ممكن واقعيًا بالنظر إلى قيود الوقت والتمويل.

ببساطة، تفيد تجربتنا بأنه من المحتمل الوصول إلى نوع من التشبع ضمن فئة واحدة من المشاركين عند حوالي اثني عشر مشاركًا، زائد أو ناقص خمسة. ومن ثمّ، إذا كنت ستجري بحثًا مع مجموعة من الفتيان والفتيات الذين يعملون في شوارع مدينة كراتشي، فيمكنك تحديد اثني عشر فتى واثنتي عشرة فتاة للمشاركة وتكون مستعدًا لزيادة أو نقصان هذا العدد بشكل طفيف اعتمادًا على متى تشعر أن المعلومات الجديدة المقدمة من المشاركين أصبحت ضئيلة.

باختصار، حاول تضمين عنوان فرعي في بروتوكول الدراسة باسم "مكان الدراسة والمشاركون". صِف مكان الدراسة وبرّر اختياره. وقدّم وصفًا تفصيليًا للمكان واشرح سبب أهمية إجراء الدراسة في المكان الذي وقع اختيارك عليه. ووضّح كيف تخطط للوصول إلى المكان، على سبيل المثال، عبر شركاء من المجتمع المحلي أو هيئات حكومية. واشرح مَن سيكون المشاركون في البحث ومن الأفضل الإشارة إلى معايير الدمج والإقصاء الخاصة بك لكل فئة من فئات المشاركين. وصِف العملية التي ستستخدمها في اختيار المشاركين وتعيينهم. ويشمل ذلك تفاصيل عن أصحاب النفوذ المحتملين، بالإضافة إلى إستراتيجية الاختيار (انظر أعلاه) التي تعتمدها.

اختيار طرائق البحث النوعي

يمكنك جمع البيانات النوعية بعدد من الطرائق المختلفة. ويتحدد اختيارك لطريقة البحث جزئيًا بموجب سؤال البحث ومقاربة الدراسة والمشاركين الذين اخترتهم من أجل الدراسة. ومن ثمّ، ينبغي ألا تختار طريقة البحث حتى تتبين الغرض من الدراسة.

تشمل بعض الطرائق الأكثر شيوعًا المستخدمة في البحث النوعي ما يلي:

- *المقابلات الفردية*: مقابلة فردية للتحاور مع المشارك مُصممة للحصول على معلومات من الفرد (انظر الفصل الثالث).
- *مناقشات مجموعة التركيز*: مناقشة ميسرة ومُنظّمة حول موضوع معين (انظر الفصل الثالث).
- *المُلاحَظة بالمُشارَكَةِ*: طريقة مستخدمة في جمع البيانات حيث تجرب السياق الاجتماعي للمشاركين في البحث وتلاحظه (انظر الفصل الرابع).
- *التعلّم والعمل التشاركي*: أدوات تمكّن أفراد المجتمع المحلي من تحديد المشكلات التي تؤثر في نوعية حياتهم والتخطيط لها واتخاذ إجراءات بشأنها (انظر الفصل الخامس).
- *الصور التشاركية (Photovoice)*: طريقة يستخدمها الأشخاص، من خلال التصوير الفوتوغرافي، لتصوير وجهات نظرهم حول مشكلات داخل مجتمعهم وتمثيلها والتعبير عنها (انظر الفصل السادس).

عند اختيار طرائق البحث النوعي، يمكنك مراعاة ما يلي:

- *مستوى مشاركة المشاركين في البحث*: هل ستلتزم بمقاربة البحث التشاركي المجتمعي وتمكّن المشاركين في الدراسة من الاضطلاع بدور فعال في عملية جمع البيانات؟ إذا كان الأمر كذلك، فمن المرجح أن تعتمد أكثر على الطرائق التشاركية، مثل الصور التشاركية (Photovoice) أو أدوات التعلّم والعمل التشاركية. ملاحظة: هذا لا يمنعك من استخدام طرائق جمع البيانات الأكثر تقليدية، مثل المقابلات ومناقشات مجموعة التركيز.
- *الوصف التفصيلي*: هل تحاول أن تفهم كيف يُستخدَم السياق للتوسط في فهم السلوك؟ ينطوي الوصف التفصيلي على الحصول على معلومات تفصيلية عن العوامل في سياق اجتماعي معين التي من شأنها التأثير في السلوك وإصلاحه، أو مشكلة قيد الدراسة. وستستفيد من اعتماد مقاربة دراسة حالة واستخدام مزيج من الطرائق بما في ذلك المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ.
- *الكفاءات الاجتماعية للمشاركين في البحث*: تتطلب طرائق البحث النوعي المختلفة قدرات ومستويات مختلفة من الإلمام بالقراءة والكتابة. ومن ثمّ، يجب أن تستخدم طرائق تتماشى مع الكفاءات الاجتماعية للمشاركين في الدراسة. على سبيل المثال، تكون الطرائق المستخدمة مع البالغين والأطفال الصغار في بعض الأحيان مختلفة، أو يجري تطبيقها بشكل مختلف.

- *الطرائق الفردية أو الجماعية*: يهدف تصميم بعض الطرائق إلى التعرف على تجارب جماعية، بينما تركز أخرى على الفرد. على سبيل المثال، تركز مناقشات مجموعة التركيز أو أدوات التعلّم والعمل التشاركية على تجارب مجموعات من الأشخاص. على الجانب الآخر، تركز المقابلات الفردية على تجارب الفرد. وتضمن الطرائق التي تركز على الفرد سماع أصوات الأفراد. وهذا مهم في السياقات التي لا يشعر فيها الأطفال أو مجموعات عِرقية معينة بالارتياح للتحدث علنًا في المنتديات العامة. وتقدّم الطرائق المركزة على التجارب الجماعية نظرة متعمقة على الأعراف والآراء والتجارب المقبولة اجتماعيًا، بالإضافة إلى الخلافات.

بالتفكير فيما سبق، اسأل نفسك عن الطرائق الأنسب للحصول على نوع المعلومات الذي تبحث عنه من فئات الأشخاص الذين ستضمّنهم في دراستك. وتشمل الاعتبارات الأخرى التي يمكن أن تأخذها بعين الاعتبار في قرارك الخبرة السابقة في استخدام أداة معينة، بالإضافة إلى الوقت والموارد.

من الجيد دائمًا تضمين أكثر من طريقة واحدة لجمع البيانات، أو فئة واحدة من المشاركين، في دراستك. يمكن أن يؤدي توليد المعلومات من مجموعة متنوعة من المصادر، من خلال عملية التثليث، إلى تسليط الضوء على مسألة قيد الدراسة من زوايا مختلفة، ما يدعم استنتاجاتك ويعززها.

كجزء من تخطيطك، من المفيد أيضًا أن تفكر في الإجراءات التي ستتبعها عند جمع البيانات. تشمل الاعتبارات الإجرائية ما يلي.

مَن سيقوم بجمع البيانات؟ للإجابة عن هذا السؤال، تحتاج إلى التفكير في المهارات اللازمة لكل طريقة من الطرائق المختارة. ويشمل ذلك الخبرة السابقة في جمع البيانات ومهارات التعامل مع الآخرين والمهارات اللغوية.

ما التوجيه اللازم لتسهيل جمع البيانات؟ لغرض الاتساق والشفافية الإجرائية، يجب توجيه جميع طرائق جمع البيانات من خلال الملاحظات الإرشادية. يمكن توجيه المقابلات الفردية، على سبيل المثال، عن طريق دليل الموضوع وهو قائمة بالمواضيع التي يلزم مناقشتها في المقابلة (انظر الفصل الثالث لمزيد من التفاصيل). ويمكن أيضًا توجيه المشاركين في الصور التشاركية (Photovoice) من خلال إرشادات حول ما يجب التقاط صور له، على سبيل المثال، أي شيء أو أحد يساعدهم على التصدي للصعوبات (انظر الفصل السادس لمزيد من التفاصيل).

النشاط ٢-٧ اختيار طرائق البحث النوعي

ما طرائق البحث النوعي التي يمكنك استخدامها للإجابة عن سؤال البحث: "ما العوامل التي تؤثر في الصعوبات التي تعترض الأطفال الذين يعملون في شوارع مدينة كراتشي، وما الإستراتيجيات المتبعة لمواجهة تلك الصعوبات؟"

دوِّن طريقتين أو ثلاث طرائق تعتقد أنه يمكن استخدامها وتبريرك لسبب اعتقادك أن هذه الطرائق ستكون مفيدة بشكل خاص.

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

ما توقيت جمع البيانات؟ قد يعني التوقيت العديد من الأمور في مرحلة جمع البيانات. تحتاج إلى التفكير في المدة التي ينبغي الاستمرار في جمع البيانات خلالها وما إذا كنت ستجمع البيانات من نفس المجموعة من الأفراد على فترات زمنية مختلفة: على سبيل المثال: قبل بدء البرنامج وبعد انتهائه. يلزمك أيضًا التفكير في المدة الزمنية المقدّرة لكل طريقة من طرائق جمع البيانات. ويمكنك التخطيط لاستمرار المقابلة مع الشخص البالغ لمدة ٨٠ دقيقة وتوقيت المقابلات مع الأطفال لمدة ٤٠ دقيقة مثلاً. وقد تأخذ الموسم الذي ستجري فيه دراستك في الحسبان أيضًا، إذ من المرجح أن تكشف الدراسة التي تُجرى في الشتاء البارد عن نتائج مختلفة بعض الشيء عن تلك التي تُجرى في الصيف الحار. أخيرًا، تحتاج إلى التفكير في تسلسل طرائق جمع البيانات. على سبيل المثال، قد تستخدم الصور التشاركية مع مجموعة كبيرة من الأطفال الذين يعملون في الشوارع ومن تلك التجربة، تختار بعض الأطفال لإجراء مقابلات متابعة فردية معهم.

كيف تستخلص البيانات وتخزنها؟ كما هو الحال مع أي نوع من البحث، من المهم استخلاص البيانات وتخزينها وإتاحة الوصول إليها من أجل التحليل. لاستخلاص البيانات من الحديث الذي دار خلال مقابلة أو مناقشة مجموعة التركيز، قد ترغب في تسجيل المقابلات وتفريغها. وبالمثل، يجب تدوين الأفكار المستخلصة من الملاحظات في مذكّرة ويمكن إرفاق الصور أو الرسومات بتأملات خطية من المشارك في الدراسة. وينبغي منح بنود البيانات رموز تعريف وأرشفتها حتى يتسنى لفريق الدراسة استرجاعها.

في الواقع العملي، حاول تضمين عنوان فرعي في بروتوكول الدراسة باسم "جمع البيانات". صِف الطرائق النوعية التي تخطط لاستخدامها في دراستك. واشرح السبب الذي يجعلك تعتقد أنها أفضل الطرائق التي يمكنك استخدامها في دراستك المقررة واربط هذه المناقشة بسؤال بحثك ومقاربة دراستك، بالإضافة إلى فئات المشاركين. وصِف من سيقوم بجمع البيانات. وبيّن الأدوات والإرشادات التي ستساعد على تسهيل توليد البيانات. واعمل على إعداد الأدوات والإرشادات وقم بتضمينها في بروتوكول الدراسة كملحقات. وصِف توقيت أنشطة جمع البيانات المقررة واذكر السبب. اشرح خططك للحصول على البيانات ومعالجتها. ويُوصى بأن تدرج جدولاً يوضح عدد المشاركين في البحث الذين ستشركهم في دراستك، إلى جانب طرائق جمع البيانات التي ستُستخدم مع كل فئة من المشاركين في الدراسة.

التغلب على المعضلات الاجتماعية والأخلاقية

يتحمل أي شخص مشارك في إجراء بحث مسؤولية "فعل الخير" و"تجنب الإيذاء" خلال عملية إجراء البحث. قد يبدو ذلك جليًا، غير أنه في الواقع العملي، غالبًا ما يكون من الصعب التنبؤ بكيفية انخراط المشاركين في البحث وقد يترك المجتمع المحلي تأثيرًا إيجابيًا أو سلبيًا. للتأكد من عدم إلحاق أنشطة بحثك الأذى بالمشاركين في بحثك، تحتاج إلى استهداف تحقيق ما يلي.

الشفافية: من المهم أن يكون المشاركون في الدراسة على دراية بما هم مُقْبِلون عليه عند الموافقة على المشاركة في الدراسة. وبناءً عليه، بصفتك باحثًا، تحتاج إلى تقديم نفسك إلى المشاركين في البحث وشرح غرض الدراسة وأهدافها، بالإضافة إلى المخاطر والمنافع المحتملة الناتجة عن المشاركة. يحتاج المشاركون في الدراسة أيضًا إلى معرفة كيفية التواصل معك أو مع أحد زملائك في حال كانت لديهم أي أسئلة أو شواغل. وإذا كنت تجري بحثًا مع أطفال، فيلزمك إبلاغهم بذلك بطريقة تناسبهم.

المشاركة الطوعية: *لا تتسم دائمًا عملية تحديد المشاركين في الدراسة واختيارهم بالوضوح. وبالتالي، تحتاج أن تسأل نفسك* عن مدى طوعية مشاركتهم. في واقع الأمر، ينتشر اختلال ميزان القوة في كل مكان. لذا، عليك التفكير في كيفية تأثير مركزك، أو مركز صاحب النفوذ (الشخص الذي يرشدك إلى المشاركين في الدراسة)، في قرار المشاركين في البحث بشأن المشاركة. إذا وُجّهت دعوة إلى فتاة تعيش وتعمل في أحد شوارع مدينة كراتشي للمشاركة في دراسة من موظف تنمية ذكر بالغ، فقد يؤثر اختلال ميزان القوة المتعلق بالنوع الاجتماعي والسن والمكانة الاجتماعية جميعًا في قرار الفتاة بالموافقة. بصفتك ممارسًا في مجال التنمية، تحتاج إلى أن تدرك تمامًا كيف يمكن أن يؤدي مركزك إلى رفع توقعات الدعم لمستويات غير واقعية. أخيرًا، في بعض السياقات، قد يكون من الصعب شرح ماهية "البحث"، ما يجعل من الصعب على المشاركين فهم ما تعنيه مشاركتهم في الواقع العملي. ومن ثمّ، تحتاج إلى التفكير بدقة بالغة في أمثل طريقة لعرض المسألة على شخص ما حتى تكون مشاركته طوعية حقًا.

اجعل الأمر يستحق وقتهم: الوقت المنقضي في المشاركة في الدراسة هو وقت مستقطع من حياة المجيب وكان من الممكن أن يُخَصِّصَه لأداء مهامه اليومية. ومن ثمّ، من المهم ألا تكون دراستك مسببة للإزعاج أو، على الأقل، تستحق العناء ويؤتي ذلك الإزعاج أُكله. وربما تفكر في إيجاد طريقة للتعويض عن الوقت الذي يقضيه الأشخاص في الدراسة، أو يمكنك التفكير في استخدام منهجية وتصميم ينجحان في إشراك المشاركين في البحث بطريقة تسهّل التعلّم والعمل ومن ثمّ، يستفيدون منه. وإذا لم تكن هناك منافع فورية ناجمة عن مشاركتهم، فعلى الأقل أوضح لهم كيف يمكن لآرائهم ومشاركتهم نفع آخرين في المستقبل.

تختلف تكلفة المشاركة وفي بعض الحالات مخاطرها، من مشارك في البحث لآخر. إذا كنت تعمل مع فئة مستضعفة من المشاركين في البحث، مثل الأطفال المُجنَّدين أو الرجال المثليين، فقد تترتب عن مشاركتهم بعض المخاطر (مثل الإفصاح عن هويتهم بشكل لا إرادي)، لذا يلزمك التفكير فيما إذا كانت مشاركتهم تستحق تلك المخاطر.

التعقيب: يشتهر الباحثون بأنهم يظهرون فجأة في المجتمع المحلي، ثم يختفون فجأة أيضًا دون مشاركة نتائج الدراسة مع المشاركين في البحث أو المجتمع الأوسع الذي أُجريت فيه الدراسة. لا يحق للمشاركين في البحث معرفة ما تقوله عنهم فحسب وإنما يحق لهم أيضًا تأكيد أو تصحيح التفسيرات التي توصلت إليها بشأنهم، بالإضافة إلى استخدام النتائج للحث على إجراء تغييرات محليًا.

لتفعيل هذه الأهداف والاعتبارات، تم وضع عدد من التدابير، أو القواعد الأساسية، رسميًا وتعتبر جزءًا أصيلاً من الممارسة البحثية الجيدة. وتشمل هذه القواعد الأساسية ما يلي:

الموافقة المستنيرة: يتعين على جميع المجيبين تقديم موافقة مستنيرة. وتشجع الموافقة المستنيرة على التعامل بشفافية بشأن الدراسة وتعني ضمنيًا أن المجيب يحتاج إلى أن يكون على دراية كاملة بالدراسة قبل الموافقة عليها. يمكن منح الموافقة شفهيًا ولكن في الوضع الأمثل، يجب تقديمها كتابيًا أو التأكيد على الموافقة ببصمة الإبهام. وتتضمن عملية الحصول على الموافقة المستنيرة ورقة معلومات تقدّم تفاصيل عما يلي:

- مَن يُجري الدراسة؛
- الغرض من مشروع البحث؛
- الطبيعة الطوعية للمشاركة؛
- تفاصيل ما سيحدث إذا قرر المجيب المشاركة، بما في ذلك المدة التي ستتطلبها المشاركة؛
- حق الانسحاب دون عواقب؛
- تخزين البيانات بسرية وأمان؛
- مخاطر المشاركة ومنافعها؛
- كيفية استخدام المعلومات المجمّعة.

يمكن قراءة ورقة المعلومات على المجيب أو تزويده بنسخة ورقية. بعد إطلاعه على معلومات حول الدراسة والأمور التي ستترتب عن مشاركته، يمكنه التوقيع على نموذج الموافقة الذي يتضمن بيانًا كالتالي: "تم شرح الدراسة لي/قرأت ورقة المعلومات وأوافق على المشاركة". يجب الحصول على الموافقة المستنيرة من جميع المجيبين. وإذا كان المشاركون في البحث دون ١٨ عامًا، أو يعانون من إعاقة عقلية، فيجب عندئذ الحصول على موافقة أولياء الأمور أو الأوصياء. وتتطلب بعض طرائق جمع البيانات، مثل تلك التي تجمّع المعلومات المرئية من أفراد يمثلون طرفًا ثالثًا، مجموعة إضافية من نماذج الموافقة. ونتطرق إلى موافقة الطرف الثالث بخصوص الصور التشاركية في الفصل السادس.

حماية المشاركين والباحثين: يتحمل أي شخص ينسق دراسة مسؤولية حماية المشاركين في البحث والباحثين. وبناءً عليه، تحتاج إلى التفكير مليًا في أي مخاطر محتملة ناتجة عن إجراء الدراسة ووضع التدابير اللازمة لصون وحماية هؤلاء المنخرطين. ويشمل ذلك سلامة الباحثين الذين يجرون البحث في سياقات مرتبطة بمخاطر معينة، مثل الأمراض المُعدية، أو انخفاض السلامة على الطرق، أو الجريمة، أو النزاع. ولا بد من تطبيق خطط التأمين على السفر والتخفيف من حدة المخاطر والإخلاء.

ويلزم تطبيق الخطط أيضًا لحماية المشاركين من التعرض لأي أذى مرتبط بالدراسة. على سبيل المثال، يجب أن يخضع الباحثون الذين يجرون بحثًا مع الأطفال لفحوصات من أجل التأكد من تقليل مخاطر الإساءة إلى الحد الأدنى والعمل في أزواج لتقليل التواصل الفردي مع الأطفال غير الخاضع للإشراف. إذا كان الموضوع قيد الدراسة حساسًا وقد يتفاعل المشاركون في البحث بشكل سلبي مع تجربة مشاركة المعلومات، فيجب أيضًا توفير خدمات الدعم لإحالة المشاركين إليها.

المراجعة الأخلاقية لبروتوكول الدراسة: من أجل تلقي المشورة، والمساعدة في التأكد من أنك فكرت واتخذت خطوات للتغلب على المعضلات الاجتماعية والأخلاقية المحتملة التي قد تنشأ عن دراستك، نشجعك بقوة على إرسال بروتوكول دراستك للخضوع لمراجعة أخلاقية. تتضمن معظم الجامعات ومؤسسات البحث لجنة أخلاقيات البحث. ويتزايد تشكيل المنظمات غير الحكومية الكبرى للجان أخلاقيات البحث الخاصة بها أيضًا.

في حين أنه من المهم اتباع تدابير "الممارسة الجيدة" تلك، ينبغي ألا يُفترض أن الدراسة أخلاقية ولا تلحق الأذى لمجرد أنها تمتثل لهذه الممارسات. في النهاية، أفضل طريقة لإجراء دراسة اجتماعية أخلاقية هي الدخول في حوار مع المشاركين في البحث وأفراد من مجتمعهم المحلي والتوصل إلى فهم مشترك بشأن ماهية المعضلات الاجتماعية والأخلاقية المحتملة وأفضل السبل للتغلب عليها (Skovdal and Abebe, 2012). من شأن ذلك أن يساعدك أيضًا على فهم كيف يتسنى لك تطبيق القواعد الأساسية بطريقة ملائمة ثقافيًا.

باختصار، قم بتضمين عنوان فرعي في بروتوكول الدراسة باسم "الاعتبارات الاجتماعية والأخلاقية". اذكر بعض المعضلات الاجتماعية والأخلاقية المحتملة التي قد تنشأ عن دراستك، بالإضافة إلى الإجراءات التي ستتخذها للتخفيف من حدة هذه المعضلات والتغلب عليها. ووضّح مَن المسؤول عن مراجعة بروتوكول دراستك بهدف تقديم مشورة عن كيف يمكن لدراستك المقترحة "فعل الخير" و"تجنب الإيذاء".

تحليل البيانات

يولي تحليل البيانات النوعية اهتمامًا بـ "الكلمة المنطوقة" والسياق والاتساق وتناقض الآراء ووتيرة التعليقات وكثافتها وخصوصيتها، بالإضافة إلى المواضيع والاتجاهات المستجدة. ويمثل عملية تسعى إلى تقليل الكميات الهائلة من المعلومات وفهمها والتي غالبًا ما تكون من مصادر مختلفة، بحيث تنجلي الانطباعات التي تلقي الضوء على سؤال البحث وهو عملية تأخذ فيها المعلومات الوصفية وتقدم شرحًا أو تفسيرًا. وربما تكون قد حدّدت الطرائق التي ستستخدمها لجمع المعلومات. ولكن ماذا ستفعل بهذه المعلومات؟ هل تنتقي الاقتباسات التي تدعم ما تهتم به؟ أم أن هناك طريقة منهجية للتحري عن بياناتك وتحليلها؟

إننا لا نوصي بأن تختار اقتباسات تدعم حُجتك أو قصتك. ولا تضفي مثل هذه الممارسات قيمة تُذكر على مجموعة الآراء والمنظورات التي جمعتها. ومع ذلك، تحديدًا بسبب اعتماد تحليل البيانات النوعية على انطباعات الباحثين الرئيسيين وتفسيراتهم، فمن الضروري أن يكون التحليل النوعي منهجيًا وأن يستخدم الباحثون طريقة مُنظمة وشفافة لنقل انطباعاتهم.

في سبيل التخطيط لإجراء تحليل منهجي وشفاف للبيانات النوعية، هناك أربعة أشياء يجب مراعاتها والتخطيط لها:

- ***وحدات التحليل:*** لضمّ مشاركين في البحث قادرين على تزويدك بمعلومات تَكْفُلُ لك الإجابة عن سؤال البحث عندما تخضع للتحليل، يتعين عليك أن تكون واضحًا بشأن وحدات التحليل. وهذه هي الكيانات التي تحتل جوهر تحليلك وقد تشمل أفرادًا، أو مجموعات، أو مجتمعات محلية، أو مناطق جغرافية، أو مصادر معلومات، أو مشكلة. بعبارة أخرى، إنها تعني "ماذا" أو "مَن" يخضع للدراسة. وتُستخدم وحدات التحليل لوضع أوصاف موجزة لهذه العناصر واستكشاف الاختلافات فيما بينها. والوحدة "الفردية" هي الأكثر شيوعًا وتشير إلى تحليل السلوكيات الفردية: على سبيل المثال، مشاركة المرأة في مجموعة نسائية. على الجانب الآخر، يمكن استخدام الوحدة "الجماعية" لاستكشاف أوجه الاختلاف والشبه بين المجموعات النسائية في سياقين جغرافيين منفصلين. ويمكن أيضًا تقسيم كل وحدة تحليل إلى مستويات مختلفة. على سبيل المثال، يمكن تقسيم وحدة التحليل "الفردية" إلى النوع الاجتماعي والسن والمجموعة العِرقية. غالبًا ما تستخدم الدراسات النوعية مزيجًا من هذه الوحدات للتحليلات والمستويات. ومع ذلك، كلما زاد عدد الوحدات والمستويات التي تقوم بتضمينها، زادت صعوبة التحليل. حاول أن تقيّد العدد إلى ثلاثة كحد أقصى.
- ***استخلاص البيانات وإعدادها وإدارتها:*** بمجرد أن تشق طريقك في مجال الدراسة، تحيط بك البيانات من كل جانب. ومع ذلك، لا تعتبر بيانات حتى تستخلصها بطريقة منهجية. ومن ثمّ، يلزم تسجيل "الكلمات المنطوقة" وتفريغها. ويجب تدوين الملاحظات، إما من خلال الملاحظات المكتوبة، أو الرسومات، أو الصور، أو الفيديوهات، أو التسجيلات الصوتية. ويستلزم رصد الآراء ووجهات النظر، بالإضافة إلى السلوكيات والانطباعات وتحويلها إلى بيانات مادية يمكن تخزينها وإدارتها الدقة في التخطيط. تحتاج إلى التفكير في أفضل السبل لاستخلاص المعلومات التي تجمعها وإعدادها وإدارتها، بالإضافة إلى الموارد اللازمة للقيام بذلك. في الفصول التالية، نقدّم مزيدًا من التفاصيل عن أفضل السبل لاستخلاص البيانات التي جمعتها وإعدادها.
- ***المقاربة الاستنتاجية أو الاستقرائية للتحليل:*** توجد مقاربتان بشكل عام لتحليل البيانات النوعية. وتهدف المقاربة "السريعة" ببساطة إلى فهرسة بياناتك وفقًا لإطار محدد مسبقًا يعكس أغراضك وأهدافك واهتماماتك. وتتميز هذه المقاربة الاستنتاجية، أو التنازلية (من الأعلى إلى الأسفل)، بأنها بسيطة نسبيًا وتتماشى على نحو وثيق مع السياسة والبحث البرنامجي الذي له اهتمامات محددة مسبقًا. وتتيح لك هذه المقاربة التركيز على إجابات بعينها وترك الباقي. وتتبنى المقاربة الثانية منظورًا استكشافيًا أكثر؛ ما يشجعك على تأمل جميع بياناتك وهو ما يفسح المجال أمام مساهمة انطباعات جديدة في تشكيل تفسيراتك بطرائق مختلفة وغير متوقعة. بينما تتميز هذه المقاربة الاستقرائية، أو التصاعدية (من الأسفل إلى الأعلى)، بأنها أكثر صعوبة واستهلاكًا للوقت، غير أنها قادرة على أخذ مجموعة أكبر من الآراء في الحسبان وتسفر عن تعلّم أكثر دقة وتفصيلاً. في كثير من الأحيان، يعتمد التحليل النوعي على مزيج من المقاربتين. في الفصل السابع، نصِف الإستراتيجيات التحليلية التي تستند إلى هاتين المقاربتين.
- ***برنامج تحليل البيانات النوعية بمساعدة الحاسوب:*** ينتج البحث النوعي في الغالب كمية هائلة من البيانات والمعلومات، بما في ذلك نص المقابلة ومناقشة مجموعة التركيز والملاحظات الميدانية والأدبيات والفيديوهات والصور وتحديثات المدونة ووسائل التواصل الاجتماعي. قد يكون من الصعب الحصول على صورة عامة واضحة عما يُقال ومَن يقوله وأين ومتى. تم تطوير برامج الحاسوب للمساعدة على التحري عن البيانات النوعية بطريقة رسمية وموفرة للوقت وشفافة وقابلة للإدارة. وليس من الضروري استخدام برامج تحليل البيانات النوعية ولكن إذا أجريت بحثًا نوعيًا بانتظام، فإنه يستحق استثمار الوقت في التعرّف عليه. ويمثل NVivo وATLAS. tig اثنين من أكثر البرامج الإلكترونية القائمة على الاشتراك استخدامًا. وهناك بدائل مجانية ومفتوحة المصدر، مثل CATMA لأنظمة تشغيل Windows وMacintosh وLinux وبرنامج TAMS لنظام تشغيل Macintosh وأداة تحليل الترميز (Coding Analysis Toolkit, CAT)، المتوفرة على شبكة الإنترنت.[1] لمزيد من المعلومات، راجع الفصل السابع.

باختصار، قم بتضمين عنوان فرعي في بروتوكول الدراسة باسم "تحليل البيانات". اشرح "ماذا" أو "مَن" يخضع للدراسة والتحليل. صِف خططك المتعلقة بأفضل سبل استخلاص وإعداد وإدارة المعلومات التي ستجمّعها. وضّح ما إذا كنت ستعتمد مقاربة استقرائية أو استنتاجية، أو مزيج من الاثنين. إضافة إلى ذلك، اذكر الإجراء التحليلي الذي ستجريه أو الإستراتيجية التي ستستخدمها. إذا كنت تخطط لاستخدام برنامج تحليل البيانات النوعية بمساعدة الحاسوب، فوضّح البرنامج الذي اخترته.

التكلفة والنطاق الزمني

إن إجراء بحث نوعي جيد ليس بنشاط زهيد التكلفة أو سريع. ورغم ذلك، ليس بغريب أن تشرع مؤسسات التنمية في إجراء بحث نوعي بميزانية ونطاق زمني غير كافيين. وبينما قد يسفر البحث عن بعض المعلومات المفيدة، فمن المرجح أن يؤثر ضيق الوقت وعدم كفاية التمويل سلبًا في جودة البحث ودقته. وبما أن هذا الكتاب يتمحور حول تعزيز جودة البحث النوعي، نودّ التأكيد على أهمية تقدير تكاليف المشروع وجدوله الزمني بُغية توفير ما يكفي من مال ووقت لتنفيذ المشروع. ومما لا شك فيه أن البحث النوعي الجيد والمنهجي يحتاج إلى توفير الموارد الكافية. وللتخطيط لذلك، يمكنك وضع جدول زمني يوضح الأنشطة المقررة (انظر الجدول ٢-٢ للاطلاع على مثال) وجدول يقدّر تكاليف إنجاز هذه الأنشطة (انظر الجدول ٢-٣ للاطلاع على مثال).

لا بد من وضع ميزانية ونطاق زمني واقعيين للحفاظ على دقة البحث. إذا لم تكن لديك الموارد الكافية لتنفيذ دراستك المخطط لها، فإننا نوصيك بمراجعة تصميم دراستك، على سبيل المثال، بتغيير نطاقها، حتى يتسنى لك إجراء بحث نوعي دقيق في حدود الميزانية المتاحة لك.

باختصار، قم بتضمين عنوان فرعي في بروتوكول الدراسة باسم "التكاليف والنطاق الزمني". وضّح مَن سيموّل الدراسة ومقدار الأموال التي ستكون متاحة. صِف الموارد البشرية اللازمة لتنفيذ الدراسة. قم بتضمين الميزانية، مع تحديد البنود والأنشطة الرئيسية. وأدرج جدولاً زمنيًا وخطة لمواعيد تنفيذ الأنشطة المختلفة.

الجدول ٢-٢ مثال على شكل الجدول الزمني للبحث النوعي

نشاط البحث	يناير	فبراير	مارس	أبريل	مايو	يونيو	يوليو	أغسطس	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
مناقشات مع الشركاء												
مراجعة الأدبيات												
تصميم الدراسة												
وضع مسودة أدوات البحث												
تعيين المجيبين												
تجربة الأدوات وتنقيحها												
العمل الميداني												
تفريغ البيانات												
تحليل البيانات												
كتابة التقرير												
تعميم التقرير												

الجدول ٢-٣ مثال على شكل ميزانية البحث النوعي

أنشطة البحث	التكاليف
العمل	
مساعدو أبحاث	
عدد الأيام التي قضاها الباحث الرئيسي	
السفر	
رحلات الطيران	
النقل العام المحلي	
بَدَل السائق	
تأجير السيارة	
الإقامة	
معدات البحث	
الهواتف المحمولة	
أجهزة الكمبيوتر المحمولة	
أقراص التخزين الصلبة ووحدات تخزين USB	
مسجلات الصوت الرقمية	
مواد البحث وخدماته	
التفريغ الصوتي	
الأدوات المكتبية	
رصيد الهاتف والإنترنت	
البرامج (NVivo و Windows)	
النشر	
ورش العمل	
طباعة التقرير وتجليده	
الإجمالي	

تضارب المصالح

في مجال الأبحاث، يشير تضارب المصالح إلى المواقف التي قد تُغطي فيها الاعتبارات المالية أو غيرها وتداهن، أو يبدو أنها تداهن، الآراء المهنية للباحث عند إجراء البحث أو تقديم تقارير عنه. على سبيل المثال، إذا حقق الباحث مكاسب مالية جراء تقديم نتائج معينة، فقد يتسبب ذلك في جعل نتائجه متحيزة للمكسب المالي. ويمكن أن يقوّض تضارب المصالح حتى أكثر الدراسات النوعية منهجيةً. ومن شأن التحلي بالوضوح بشأن تضارب المصالح المحتمل في دراستك أن يساعدك إما على اتخاذ الترتيبات التي تخلصك منه، أو تضمن لك الكشف عن تضارب المصالح المحتمل.

في الواقع العملي، قم بتضمين عنوان فرعي في بروتوكول الدراسة باسم "تضارب المصالح". وأعلن عن انتماء أعضاء فريق العمل أو انخراطهم في أنشطة التنمية قيد الدراسة. وحدّد العلاقة بين كل عضو في الدراسة والمؤسسات والكيانات المشاركة (البرنامج، مثلاً)، مثل وظيفته أو دوره في تنفيذ البرنامج. واشرح تضارب المصالح المحتمل والفعلي الذي ربما يكون موجودًا في المشروع.

النشاط ٢-٨ تضارب المصالح المحتمل

يُجري الممارسون في مجال التنمية في الغالب بحثًا عن البرامج التي تضعها وتموِّلها نفس المؤسسة التي تسدد لهم رواتبهم. ما تضارب المصالح المحتمل الذي قد ينشأ عن ذلك؟ دوّن أفكارك.

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

معيار الجودة للبحث النوعي

عند التخطيط لبحث نوعي وتنفيذه، يجب أن يقترن ذلك بإدراك معيار تقدير جودة البحث المعني. ومثلما هو الحال مع البحث الكميّ، فهناك "ممارسة جيدة" للبحث النوعي. في هذا الفصل، استعرضنا بعض الإرشادات حول كيفية التخطيط لدراسة نوعية تتبع "الممارسة الجيدة". وسنعتمد الآن على معيار الجودة الذي قدّمه جاسكل وباور (Gaskell and Bauer, 2000) لتوضيح أهمية التخطيط للدراسة النوعية وقدما نصيحة أخيرة حول كيفية إجراء بحث نوعي عالي الجودة.

- *كن منهجيًا*: تعامل مع الدراسة بطريقة منهجية ودقيقة. لا تبحث عن طرائق مختصرة أو تتخذ القرارات على أساس "الخيار السهل". ومع التحلي بالمنهجية، يمكنك إظهار الوضوح الإجرائي في: ١) كيفية التوصل إلى سؤال البحث و٢) لماذا تعتبر طرائق جمع البيانات التي تستخدمها مناسبة و٣) كيف تمضي قُدمًا في تعيين المشاركين في البحث و٤) عملية استخلاص البيانات وإدارتها، على سبيل المثال، عن طريق تسجيل المقابلات وتفريغ التسجيلات للحصول على البيانات و٥) كيف تحلل البيانات وتقلّص الكميات الكبيرة من المعلومات إلى قصة تجيب عن سؤال بحثك.
- *أظهر الانعكاسية*: أظهر وعيًا بكيف يمكنك بلورة الدراسة، بصفتك باحثًا. ويشمل ذلك حافزك الشخصي لإجراء الدراسة، فضلاً عن احتمال تأثير خلفيتك واهتماماتك في عملية جمع البيانات وكتابة النتائج.

- ***تحلّ بالشفافية:*** قدّم أوصافًا تفصيلية عن كيفية إجرائك للدراسة وكيفية توصلك إلى النتائج والخلاصات. يحتاج قراء الأبحاث النوعية إلى الحصول على معلومات كافية حتى يتمكنوا من تقدير تفسيراتك. وهذا يتطلب منك توثيق عملية البحث (المنهجية) بالكثير من التفاصيل، بالإضافة إلى تضمين العديد من الاقتباسات والبيانات التي تدعم حُججك.
- ***كن صادقًا:*** أظهر إدراكك لأوجه قصور الدراسة وقيودها. وبيّن ما هي وأظهر الحيطة والحذر في تقديم ادعاءات لا سند لها. تواضع حيال نتائجك وتحاشى إصدار التعميمات الكبيرة.
- ***تقبّل المفاجآت:*** كن متقبلاً لوجهات النظر الجديدة والمختلفة، حتى إذا لم تكن تتماشى مع توقعاتك.
- ***اعمل على تثليث الاستنتاجات:*** تناول سؤال بحثك من زوايا مختلفة، عن طريق تضمين وجهات نظر الجهات الفاعلة المختلفة واستخدام مجموعة مختلفة من طرائق جمع البيانات.
- ***أظهر الملاءمة***: راجع الأدبيات وأظهر كيف ترتبط دراستك بالأدبيات الحالية. يمكنك أن تفعل ذلك من خلال إظهار كيف تساند دراستك استنتاجات الباحثين الآخرين، أو تناقضها، أو تستند إليها.

الملخص

توجد العديد من الأمور التي يلزم مراعاتها قبل تنفيذ الدراسة النوعية. وقد أوضح هذا الفصل وناقش بعضًا من أهم الاعتبارات التي يمكن أن تساعدك على التخطيط لبحث نوعي فعال. للتعامل مع التخطيط لدراسة نوعية بطريقة منهجية، اقترحنا عليك استخدام عملية تطوير بروتوكول دراسة نوعية كنقطة انطلاق لتحديد الغرض من بحثك وتحديد سؤال البحث ووضع تصميم دراسة قابل للتنفيذ وأخلاقي يمكن استخدامه للإجابة عن سؤال بحثك. وتطرقنا إلى العديد من الأمور ومع أن المسألة قد تبدو مرهقة ولا سيما إذا كانت هذه أول مرة تجري فيها دراسة نوعية، غير أنها تستحق التعلّم؛ حيث سيساعدك ذلك على التخطيط لدراسات نوعية أكثر فعالية وإقناعًا. ونأمل من خلال تقسيم التخطيط إلى أجزاء صغيرة، وإلى عملية وضع بروتوكول الدراسة، أن نكون قد ساعدناك على رؤيتها على أنها مقاربة قابلة للتنفيذ ومُجزية.

وتقدّم الفصول التالية وضوحًا إجرائيًا أكثر تفصيلاً وإرشادات حول عملية توليد البيانات، فضلاً عن كيفية تحديد الاستنتاجات وتقديم تقارير عنها.

ملاحظة ختامية

١. يتوفر البرنامج من المواقع الإلكترونية التالية: NVivo، <www.qsrinternational.com> ،ATLAS.ti <http://atlasti.com> وCATMA، <www.catma.de> ،TAMS و<http://tamsys.sourceforge.net> ،CAT و<http://cat.ucsur.pitt.edu/> [تم الوصول إليها جميعًا في ٢٤ يوليو ٢٠١٥].

المراجع

Creswell, J. W. (2012) *Qualitative Inquiry and Research Design: Choosing Among Five Approaches,* London: SAGE Publications.

Gaskell, G. and Bauer, M. W. (2000) 'Towards public accountability: beyond sampling, reliability and validity', in M. W. Bauer and G. Gaskell (eds), *Qualitative Researching with Text, Image and Sound,* London: SAGE Publications.

Israel, B. A., Eng, E., Schulz, A. J. and Parker, E. A. (2005) *Methods in Community-based Participatory Research for Health,* San Francisco CA: Jossey-Bass.

Moustakas, C. (1994) *Phenomenological Research Methods,* Thousand Oaks CA: SAGE Publications.

O'Leary, Z. (2004) *The Essential Guide to Doing Research,* London: SAGE Publications.

Patton, M. Q. (1990) *Qualitative Evaluation and Research Methods,* 2nd edn, Thousand Oaks CA: SAGE Publications.

Peters, D. H., Adam, T., Alonge, O., Agyepong, I. A. and Tran, N. (2013) 'Implementation research: what it is and how to do it', *BMJ* 347, doi: 10.1136/bmj.f6753.

Skovdal, M. and Abebe, T. (2012) 'Reflexivity and dialogue: methodological and socio-ethical dilemmas in research with HIV-affected children in East Africa', *Ethics, policy & environment* 15 (1): 77–96.

Wisker, G. (2007) *The Postgraduate Research Handbook: Succeed with Your MA, MPhil, EdD and PhD,* Basingstoke: Palgrave Macmillan.

تعقيب على الأنشطة

تعقيب على النشاط ٢-٢ العوامل المُحفِّزة على إجراء الدراسة

يمكن أن تحفز العوامل التالية الممارس المحلي في مجال التنمية:

- الشعور بالجزع من رؤية الصعوبات التي يواجهها الأطفال الذين يعملون في الشوارع على الطبيعة، ببساطة من خلال العيش في مدينة كراتشي. قد يؤثر ذلك في الدراسة إيجابًا؛ حيث يحفز الممارس على إنجازها.
- إدراك الحاجة إلى برنامج يستهدف الأطفال الذين يعملون في الشوارع. يمكن أن يؤثر ذلك في الدراسة إيجابًا، من منطلق أن مَن ينفذ الدراسة ممارسٌ لديه نظرة عامة على الخدمات المُقدَّمَة وأيضًا من منطلق إدراك الاحتياجات الفريدة للأطفال الذين يعملون في الشوارع والتي تلزم الحاجة إلى تحديدها وتلبيتها.
- تلقي التقدير من القادة في مدينة كراتشي إذا أكدت الدراسة على الدور الإيجابي لمجلس المدينة في دعم الأطفال الذين يعملون في الشوارع. وقد يؤثر ذلك في الدراسة سلبًا من خلال تحيز النتائج.

يمكن أن تحفز العوامل التالية الممارس الدولي في مجال التنمية:

- الشعور بالجزع من الإحصاءات والتقارير الجديدة التي تسلّط الضوء على مدى ضُعْفِ الأطفال الذين يعملون في شوارع مدينة كراتشي. قد يؤثر ذلك في الدراسة إيجابًا؛ حيث يحفز الممارس على إنجازها.
- تطوير برنامج يستجيب لدعوة التمويل المربح. قد يؤثر ذلك في الدراسة إما إيجابًا أو سلبًا. ويمكن أن تشكل الدراسة جزءًا من تقدير الاحتياجات، ما يؤدي إلى تطوير البرنامج. ومع ذلك، يمكن استخدام الدراسة أيضًا لتمثيل الأطفال الذين يعملون في الشوارع بصورة مجحفة على أنهم ضحايا بحاجة إلى مساعدة.

تعقيب على النشاط ٢-٤ اتخاذ قرار بشأن سؤال البحث

من المحتمل أن يكون السؤال الثاني أكثر سؤال بحث ملائم؛ فهو واضح ومُركّز ويمنح مؤشرًا على ما تعتزم الدراسة القيام به. في حين أن السؤال الأول بسيط للغاية ويمكن أن يشتمل على أي شيء. ويتسم السؤال الثالث بأنه غير واضح؛ فهو لا يقدّم أي مؤشر على ما ستدرسه ويفترض أن الأطفال بحاجة إلى دعم. ولا يزال بإمكانك الخروج بتوصيات بشأن السياسة والممارسة نتيجة التحري عن القضايا التي أثارها سؤال البحث الثاني.

تعقيب على النشاط ٢-٥ الربط بين اهتمامات الدراسة ومقارباتها

إذا كنت تريد دراسة العوائق الماثلة أمام تنفيذ البرنامج والعوامل المساعدة له، فيُمكِنُك الانخراط في نشاط متابعة لذلك التنفيذ. وإذا كنت ترغب في تمكين الأطفال الذين يعملون في الشوارع للتعبير عن تجاربهم، على سبيل المثال عبر إجراء تحليل الوضع عند التخطيط للبرنامج، فيمكنك اعتماد مقاربة البحث التشاركي المجتمعي. وإذا كنت تتطلع إلى فهم تجارب أطفال الشوارع الذين يعيشون في الشارع، أيضًا كجزء من التخطيط للبرنامج، فيمكنك اعتماد إما مقاربة البحث التشاركي المجتمعي (CBPR)، أو بحث الظواهر، أو بحث دراسة الحالة. وإذا كنت تريد استكشاف الحالة الصحية للأطفال الذين يعيشون ويعملون في الشوارع، فستكون مقاربة بحث دراسة الحالة مناسبة. وإذا تابعت الحالات بمرور الوقت، فيمكن استخدام دراسات الحالة لتوجيه التخطيط للبرنامج وللمتابعة والتقييم.

تعقيب على النشاط ٢-٦ التشاور مع أصحاب النفوذ

يمكن أن يمنحك عضو في مجلس المدينة إذنًا بإجراء دراسة، بينما قد يسهّل عليك رئيس إحدى المؤسسات المجتمعية التي تدعم الأطفال الذين يعملون في شوارع مدينة كراتشي الوصول إلى الأطفال.

تعقيب على النشاط ٢-٧ اختيار طرائق البحث النوعي

يمكن استخدام الصور التشاركية (Photovoice) لتمكين الأطفال الذين يعملون في الشوارع من تحديد الصعوبات التي تعترضهم، وإستراتيجيات مواجهتها، وتجسيدها والتعبير عنها.

يمكن استخدام المقابلات الفردية مع مجموعة مختارة من الأطفال الذين يعملون في الشوارع لتكوين فكرة عن قيمهم ومفاهيمهم ومشاعرهم وتجاربهم ووجهات نظرهم. هذا بالإضافة إلى استخدام المقابلات مع مقدمي الخدمة للتعرّف على وجهات نظرهم حول الصعوبات التي يلاقيها الأطفال الذين يعملون في الشوارع والإستراتيجيات المتبعة لمواجهتها.

يمكن أن يستعين فريق البحث بطريقة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ لاكتساب فهم أفضل لشكل حياة الأطفال الذين يعملون في الشوارع من خلال المشاهدة والشعور والدراية الوثيقة.

تعقيب على النشاط ٢-٨ تضارب المصالح المحتمل

قد يكون لدى الممارسين في مجال التنمية الذين يشاركون، بنشاطٍ، في البرنامج قيد الدراسة مصلحة شخصية في إظهار قيامهم بعمل جيد ومن الممكن أن يميلوا إلى تقديم نتائج يشوبها التحيز لإظهار النجاحات في المقام الأول.

كممارس في مجال التنمية، حتى إذا لم تحصل على علاوة أو زيادة في الراتب جراء تحقيق نتائج معينة، فإنك تحصل على راتبك من نفس المؤسسة التي قد تكون لديها مصلحة في توصلك إلى نتائج معينة.

حتى إذا لم تكن لديك أنت ومؤسستك مصلحة في تحيز النتائج، فإن هذا التصور يكفي لمطالبتك بالإفصاح عن انتماءاتك.

الفصل الثالث

المقابلات ومناقشات مجموعة التركيز

الخلاصة

يهدف هذا الفصل إلى جعل القارئ على دراية تامة بدور المقابلات ومجموعات التركيز ومعرفة كل خطوة سيتم اتخاذها في تصميم دراسة مقابلة أو مجموعة تركيز وتنفيذها. ويبدأ الفصل بتحديد الأغراض من المقابلات ومجموعات التركيز. تفيد المقابلات الفردية في فهم وجهات النظر المحلية، أو تجميع حقائق رئيسية من المخبرين الرئيسيين. في حين تفيد مجموعات التركيز في استيعاب الاستجابات الجماعية أو الأعراف المتعلقة بمسألة ما. ويمكن استخدام طرائق جمع البيانات تلك في تحسين الممارسة في كل مرحلة من مراحل دورة البرنامج. وتُقدّم إرشادات واضحة بشأن كيفية تصميم دراسة مقابلة أو مجموعة تركيز، بدءًا من كتابة أسئلة البحث ووصولاً إلى أخذ العينات وتعيين المشاركين وإنشاء دليل الموضوع وإجراء المقابلة.

الكلمات المفتاحية: البحث النوعي، المقابلات، مناقشات مجموعة التركيز، دليل الموضوع، أخذ العينات

أهداف التعلُّم

بعد قراءة هذا الفصل، ستصبح قادرًا على:

- تحديد أغراض المقابلات ومناقشات مجموعة التركيز في أعمال المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم (MEAL)
- شرح مواطن قوة طرائق إجراء المقابلات ومواطن ضعفها
- التخطيط لدراسة المقابلة أو مناقشة مجموعة التركيز وتصميمها وإجرائها

المصطلحات الرئيسية (التعريفات)

- *مقابلة متعمقة:* محادثة فردية بين الباحث والمشارك، وتُقدَّمُ خلالها معلومات حول وجهة نظر المشارك.
- *مناقشة مجموعة التركيز:* مناقشة بين أربعة إلى ثمانية مشاركين، يتولى تيسيرها وإدارتها الباحث، لتوليد بيانات حول موضوع البحث من خلال المناقشات بين الأقران.
- *دليل الموضوع:* قائمة القضايا والأسئلة التي يضعها الباحث وتوجّه المقابلة أو مجموعة التركيز.

مقدمة

تمثل المقابلات المتعمقة طريقة جمع البيانات النوعية الأكثر استخدامًا. وتحظى مناقشات مجموعة التركيز بشعبية كبيرة أيضًا. وتُعدُّ هاتين الطريقتين وسيلتين فعالتين وسريعتين لجمع المعلومات من الأفراد أو المجموعات. وفي أغلب الأحوال، تُستخدم المقابلات ومجموعات التركيز عند إنجاز الدراسات التي تتحرى عن آراء الأشخاص، أو تجاربهم، أو مفاهيمهم، أو معتقداتهم، أو أعرافهم. يمكن أن تكشف لنا هذه المقابلات ومجموعات التركيز عن الأعراف السائدة في المجتمع المستفيد، قبل بدء التدخل، مثلًا. أو يمكن استخدامها لتقدير تجربة المجتمع المحلي مع التدخل كجزء من دراسة التقييم. بشكل عام، تفتح لنا نافذة للاطلاع على آراء الآخرين.

تُستخدم المقابلات مع المخبرين الرئيسيين بطريقة مختلفة: تمنحنا إمكانية الوصول سريعًا إلى الحقائق المهمة، من أشخاص مُختارين بعناية يتسنى لهم الوصول إلى تلك الحقائق. وربما تُستخدم مثل هذه المقابلات لتوجيه تقدير موقف سريع. وسنناقش خلال هذا الفصل كلا نوعي المقابلات.

ثمة إسهامات يجب أن تقدمها المقابلات ومناقشات مجموعة التركيز لكل مرحلة في دورة البرنامج. وسنقدّم أمثلة خلال الفصل لتوضيح تلك الإسهامات المحتملة المتنوعة.

ما المقصود بالمقابلات ومناقشات مجموعة التركيز؟

ماذا تعني المقابلة؟

المقابلة هي محادثة بين محاور (الباحث) ومجيب وهي أقل انفتاحًا وأكثر توجيهًا مقارنةً بالدردشة اليومية ولكنها في الوقت ذاته أقل تنظيمًا من الاستبيان، الذي يطرح مجموعة من الأسئلة واحدًا تلو الآخر. في محادثة المقابلة، يضطلع المحاور بدور رئيسي ويوجّه المحادثة للتطرق إلى مواضيع البحث ولكنه يتيح للمجيب فرصة شرح وجهة نظره بشيء من الاستفاضة وتقديم أمثلة على رأيه وإبداء الأسباب. بصفتنا محاورين، فإننا نريد من المجيب أن يتحدث أكثر مما نفعل نحن؛ لأن غايتنا معرفة وجهة نظره.

من الناحية العملية، عادةً ما تستمر المقابلة بين ٤٠ دقيقة وساعة واحدة. وفي حالة ما إذا استغرقت المقابلة أقل من ٣٠ دقيقة، لا يسعفنا الوقت في الغالب لإجراء مقابلة معمقة بُغية الوصول إلى التفاصيل التي نحتاج إليها. وغالبًا ما يبدأ المشاركون في الشعور بالتعب وفقدان الانتباه بعد مرور ساعة، مع أن هذا يعتمد على مدى إثارة الموضوع!

يستخدم الباحث "دليل الموضوع" لتوجيه أسئلته خلال المقابلة. وقد يبلغ حجمه صفحة واحدة تقريبًا ويطرح مجموعة من الأسئلة المفتوحة. ومن المحتمل أن يتبعها المحاور بأسئلة استقصائية، أو طلبات، على سبيل المثال.

عادةً ما تجرى المقابلة على انفراد لإتاحة الفرصة للمجيب للتحدث بحُرية.

عادةً ما تكون المقابلة المتعمقة لقاءً فرديًا، على الرغم من أنه في بعض الأحيان قد يتقابل المحاور مع شخصين إذا رغبا في ذلك. بدلاً من ذلك، قد يرافق المحاور أحيانًا باحثًا مساعدًا أو مترجمًا فوريًا.

ماذا تعني مناقشة مجموعة التركيز؟

في مناقشة مجموعة التركيز (التي يُشار إليها فيما بعد باسم "مجموعة التركيز")، نجمع مجموعة من الأشخاص لمناقشة مسألة ما. على غرار المقابلة الفردية، تأخذ المناقشة شكل محادثة، على الرغم من أنه هذه المرة يتحدث المشاركون مع بعضهم البعض وليس مع المحاور فحسب (غالبًا ما يسمى المشرف أو المُيسّر، في سياق مجموعة التركيز). مثل المقابلة، سيكون لدى مجموعة التركيز دليل موضوع، مع أنه سيكون في الغالب أقصر وأبسط، لأنه، في الوضع المثالي، سيتحدث المشرف أثناء اجتماع مجموعة التركيز أقل مما يفعل في سياق المقابلة الفردية.

عمليًا، تتكون مجموعة التركيز من حوالي أربعة إلى ثمانية مشاركين. ويجب أن يكون لدى جميع المشاركين قدرًا كافيًا من الاهتمام المشترك بالموضوع قيد النقاش حتى يتمكنوا من إجراء مناقشة مشتركة معًا. في الوقت ذاته، من المحتمل أن تكون لديهم وجهات نظر مختلفة إلى حدٍ ما. وفي الوضع المثالي، تكتسب مناقشة مجموعة التركيز زخمًا في حد ذاتها؛ حيث يتبادل المشاركون الأفكار ويردون على ما قاله الآخرون.

ما سبب إجراء المقابلات ومجموعات التركيز؟

ما فائدة المقابلات ومجموعات التركيز؟

سنناقش استخدامين رئيسيين للمقابلات ونميّز بينهما. يتمثل الاستخدام الأول في فهم تجارب الأشخاص المحليين ووجهات نظرهم. بينما يُعنى الثاني باستخلاص حقائق مهمة من المخبرين الرئيسيين.

فهم وجهات النظر المحلية: إن أحد الأسباب الرئيسية في فشل العديد من مشاريع التنمية والمساعدات الإنسانية هو عدم قدرتها على التعامل مع وجهات نظر المستفيدين. يجب أن تستجيب البرامج والمشاريع لشواغل السكان المحليين ومطالبهم. علاوة على ذلك، يجب أن تكون منطقية بالنسبة إليهم وتحظى بدعمهم وتضمن إلتزامهم. ومع ذلك، غالبًا ما لا يبادر إليها السكان المحليون. وتتيح المقابلات ومجموعات التركيز للعاملين في مجال التنمية فرصًا لفهم كيف يفكر السكان المحليون في المشكلة المطروحة. وتمكننا من استكشاف أعراف المجتمعات المحلية ومعتقداتها وشواغلها وتوقعاتها بشأن أحد المشاريع، أو أمنياتها للمستقبل. وتسنح المقابلات ومجموعات التركيز للأشخاص التحدث باستخدام مفرداتهم الخاصة؛ وهو ما يتيح لنا فرصًا لتعلّم الكلمات التي يستخدمونها والتعرّف على أولوياتهم وشواغلهم.

توفر المقابلات الشخصية الفردية للباحث فرصة سبر أعماق الشخص لاكتشاف ما يفكر فيه. بينما تمنحنا مجموعات التركيز وجهة نظر أكثر جماعية حول كيف تناقش المجموعة ككل موضوعًا معينًا. إذَن، تعد المقابلات طريقة جيدة لاستكشاف فكر الفرد ومشاعره ومشكلاته الشخصية. في حين أن مجموعات التركيز طريقة جيدة لاستكشاف الأعراف المشتركة والمعرفة العامة والمعتقدات المشتركة والسجالات العامة.

يعني التفكير في المقابلات ومجموعات التركيز على أنها تكشف لنا "وجهات النظر المحلية" أننا لا نبحث عن حقائق موضوعية وإنما مجرد تجارب شخصية. وبالتفكير في المقابلات ومجموعات التركيز بنفس الطريقة، إذا ذكر الناس أنهم يشعرون بالغضب بسبب تزايد فساد الشرطة، فيمكننا أن نكون على يقين من استنتاج أنهم يعتبرون أن الشرطة أصبحت أكثر فسادًا وأنهم غاضبون من ذلك. ولكن لا يمكننا أن نخلص بأي قدر من اليقين إلى ما إذا كان الفساد قد أصبح أسوأ، بشكل موضوعي.

الحصول على حقائق رئيسية من المخبرين الرئيسيين. عندما نفكر في المجيبين على أنهم مخبرين رئيسيين، فإننا نتبنى مقاربة مختلفة. إذا أردنا التقصي عن معلومات أساسية، أو إجراء تقدير سريع للوضع في بيئة معينة، فقد يتعين علينا اللجوء إلى المخبرين الرئيسيين لاطلاعنا على آخر المستجدات. وسنختار المخبرين الرئيسيين الذين يمتلكون معرفة غنية وإلمام حقيقي بمجال اهتمامنا. على سبيل المثال، يجب أن تكون قائدة إحدى المجموعات النسائية في وضع مناسب يؤهلها لتخبرنا عن أنظمة الدعم القائمة والموارد المتاحة للنساء في مجتمعها. ويجب أن يكون المسؤول الكبير في الشرطة قادرًا على تقديم تفسير سليم لوضع الجريمة والأمن في منطقة معينة. ويجب أن يكون مسؤول الرعاية الاجتماعية رفيع المستوى قادرًا على تحديد المصادر الرسمية لدعم المواطنين المستضعفين.

مع هذا النوع من المقابلات، نحن مهتمون أكثر بالحقائق الموضوعية عن الوضع. وعند طرحنا لأسئلة ملموسة للغاية، التي تكون إجاباتها ملموسة أيضًا، فإننا نزيد من فرص تقديم إجابات صحيحة ويمكن التحقق منها. وبالطبع، يجب أن نتذكر دائمًا أنه قد يكون لدى المجيبين معرفة محدودة، أو مصلحة خاصة يجب حمايتها وأن مقابلاتهم ليست موضوعية تمامًا أو بصورة كاملة. ولكن من خلال مقابلة مجموعة متنوعة من الأشخاص والتحقق من مختلف المصادر حيثما أمكن والبقاء على دراية باحتمالية التحيز، يمكننا بشكل قابل للتبرير استخدام المقابلات مع المخبرين الرئيسيين لإجراء تقدير سريع للوضع.

أدوار بحث المقابلة في كل واحدة من مراحل دورة البرنامج

بالنظر إلى أن مشاريع المساعدات الإنسانية والتنمية موجودة لخدمة المجتمعات المستفيدة ودعمها وحشدها وتمكينها، يؤدي فهم وجهات نظر المجتمعات المحلية دورًا حاسمًا طوال دورة البرنامج (كما هو مبين في الفصل الأول).

تقدير الاحتياجات وتحليل الوضع: قبل حتى تصميم التدخل أو التخطيط له، يمكن استخدام بحث المقابلة ومجموعة التركيز للتوصّل إلى فهم الأولويات والشواغل والأمنيات المحلية من أجل المستقبل، حتى يكون التدخل أمرًا يمكن للمجتمع المحلي تأييده والالتزام به.

على سبيل المثال، لصياغة ورقة سياسات لحملة عن الأمن في إفريقيا، أصدرت منظمة Oxfam تفويضًا بإجراء دراسة عن الوضع الأمني في جنوب السودان (Kircher, 2013). وأُجريت حوالي٢٢ مناقشة مجموعة تركيز مع المجتمعات المحلية و٧٠ مقابلة مع المخبرين الرئيسيين. ورسمت هذه المقابلات ومجموعات التركيز صورة عن الوضع؛ حيث أظهرت زيادة في العنف وحددت وجود صراع بين الجماعات المحلية وداخلها وغارات نهب الماشية والعنف ضد المرأة على أنه مقلق بشكل خاص. مع استخدام هذا البحث كأساس، تمكّن المؤلف من إصدار مجموعة من التوصيات لبرامج Oxfam وأعمال المناصرة، التي استندت إلى أدلة قوية عن الوضع على أرض الواقع.

في سياق مختلف، استخدم حسين وجرين (Hossain and Green, 2011) مجموعات التركيز لدراسة تجربة الفقراء مع الارتفاع الحاد في أسعار الغذاء. واستخدما طرائق تشاركية، بما في ذلك سؤال الناس عن محتويات "سلة الغذاء" الأسبوعية الخاصة بهم وتكلفتها، لاستكشاف ما إذا شهدت المواد الغذائية ارتفاعًا حادًا في الأسعار وكيف تأقلموا مع الوضع.

تحليل السياق المحلي: *مع التعرف عن قرب على* التدخل والتحلي بمزيد من الواقعية، يمكن للبحث الذي يستند إلى المعلومات المقدمة خلال إجراء المقابلة ومجموعة التركيز أن يتحرى بشكل مفيد عن الأعراف والمعتقدات واللغة المحلية بُغية التعرف على مكامن الصعوبات وأنواع التغييرات الواقعية والمقبولة لدى السكان المحليين.

على سبيل المثال، أجرى واجد (Wajid) وزملاؤه (٢٠١٠) دراسة مجموعة تركيز عن مدى مقبولية القابلات في المجتمعات المحلية في باكستان في أثناء تدريبهن وقبل أن يتم تعيينهن في المجتمعات المحلية. وكانت تهدف الدراسة إلى استكشاف تصورات المجتمعات المحلية وتوقعاتها من القابلات في المجتمعات المحلية وأي عوائق محتملة أمام عملهن الفعلي. ومن خلال فهم وجهات النظر المحلية، تمكنت الدراسة من إصدار توصيات مستندة إلى أدلة حول كيفية إنشاء برنامج للقابلات في المجتمعات المحلية تكون فرصة نجاحه أكبر.

أجرت جيجيبوي (Jejeebhoy) وزملاؤها (٢٠١٣) بحثًا تكوينيًّا، باستخدام مجموعات التركيز حول العنف القائم على النوع الاجتماعي، لفهم سياق العنف ومن ثمّ، توجيه البرنامج. وقدّم التقرير الغني بالمعلومات رؤية عميقة حول الأعراف التي تسيطر على الشباب والشابات في قرى ولاية بيهار في الهند. ومن خلال المقابلات الفردية مع الأزواج الذين وصفتهن زوجاتهم بأنهم عنيفون أو غير عنيفين، استمروا في استكشاف صفات المعتدين وغير المعتدين، في محاولة لفهم احتمالات ترسيخ خصائص ذكورية أكثر إيجابية وأقل عنفًا.

التقييم التكويني – العوائق والعوامل المساعدة: بمجرد بدء المشروع، يمكن استخدام المقابلات ومجموعات التركيز في التقييم التكوينيّ لاستكشاف تجارب المشاركين وتصوراتهم عن مواطن قوة التدخل ومواطن ضعفه. مرة أخرى، يتمثل الافتراض في أن المعرفة المحلية ضرورية لفهم ما يصلح وما لا يصلح.

في عالم التصميم والتطور التكنولوجي، يحظى بحث "تجربة المستخدم" بأهمية كبيرة. هذا بحث يمنح المستخدمين تكنولوجيا معينة لتجربتها، ثم يستكشف معهم كيفية استخدامها وما يناسبهم وما لا يناسبهم وعوائق وميسّرات استخدامها.

يقدّم مشروع WASHplus التابع للوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (٢٠١٣)، الذي درس تجربة المستخدم مع خمسة أنواع مختلفة من مواقد الطهي في بنغلاديش، مثالاً جيدًا. من أجل هذه الدراسة، منح الباحثون أرباب الأسر واحدًا من خمسة أنواع مختلفة من المواقد لتجربته. ومن ثمّ، أجروا معهم مقابلات، باستخدام المقابلة شبه المُنظمة المُصممة لتحديد كُلٍ من العوامل المُعيقة والمُحفِّزَة للتغيير. توصلت الدراسة إلى تفضيل الكثيرين لنوعين من المواقد عن مواقد الطهي التقليدية، ولكنها حدّدت أيضًا العيوب الملحوظة في تصميمهما وصعوبات استخدامهما بفعالية.

يمكن إجراء محاكاة "بحث تجربة المستخدم" لأي مشروع في مراحله المبكرة. قد لا يُقدِم مشروع التنمية فعليًا على نشر شكل ملموس من التكنولوجيا ولكن ربما يحاول بدء عملية جديدة، بسلوكيات، أو خدمات، أو موارد، أو رسائل جديدة. يتمتع المستخدمون، أو المستفيدون، بتجربة ذات أهمية بالغة في الأيام الأولى من تلك السلوكيات، أو الخدمات، أو الموارد، أو الرسائل الجديدة ويمكنهم تقديم تعقيب للممارسين عما فلح وما لم يفلح حتى الآن. ويتسنى لهم تحديد العوائق والعوامل المساعدة والعقبات وسُبُل التغلب على هذه العقبات. وقد يكون التكيف مع مثل هذا التعقيب ضروريًا لنجاح المشروع.

التقييم ودراسات الأثر: في مرحلة التقييم، غالبًا ما نريد فهم تجربة الأشخاص مع التدخل: ما الذي وجدوه مفيدًا أو غير مفيد بشأن المشروع، وبأي شكل يعتبرونه ناجحًا أو غير ناجح. ويمكن إجراء المقابلات أو مجموعات التركيز لتقدير التصورات المحلية عن المشروع. ويمكن استخدام المقابلات مع المخبرين الرئيسيين لمطالبة هؤلاء الأشخاص الذين شاركوا عن كثب في تنفيذ المشروع في إمعان النظر فيما يبدو أنه فلح أو لم يفلح وفي الدروس التي يمكن استخلاصها من التجربة.

كلّف تحالف العمل من أجل شفافية حيازة الأراضي على نطاق واسع (ALLAT) جوان باكستر (Joan Baxter, 2013) بدراسة الآثار الاجتماعية والاقتصادية والتغذوية والصحية والبيئية لحيازة شركات الأعمال الزراعية في سيراليون للأراضي على نطاق واسع. وقد استعانت باكستر بمجموعات التركيز والمقابلات لبحث التأثيرات على سكان الريف السيراليونيين نتيجة تأجير الأراضي التي كانت تُستخدم سابقًا لكفاف الأسر وإدرار دخل صغير. وتحدث المشاركون عن التغيير الذي طرأ على حياتهم في السنوات القليلة الماضية وما إذا كانت حيازة المستثمرين الأجانب للأراضي على نطاق واسع ترقى إلى مستوى توقعات المجتمعات المحلية. كشف بحثها عن التكاليف الباهظة التي يتكبدها السكان المحليون من تأجير الأراضي وعدم نجاح اللوائح التنظيمية في حمايتهم.

من الجلي أنه يتم استخدام المقابلات ومجموعات التركيز لمجموعة كبيرة من الأغراض. ومن خلال الأمثلة المتنوعة المُقدمة هنا، نأمل أن نكون قد أوضحنا بعض السُبُل التي يمكن استخدام المقابلات ومجموعات التركيز من خلالها لضمان استناد البرامج والحملات إلى أدلة على شواغل السكان المحليين وأولوياتهم وحياتهم اليومية.

المقابلات أم مجموعات التركيز؟ كيفية الاختيار

ما وجه الاختلاف بين المقابلة ومجموعة التركيز؟ كيف نختار استخدام إحداهما أو الأخرى؟

الجدول ٣-١ هل ينبغي أن استخدم المقابلات أم مجموعات التركيز؟

استخدم المقابلات إذا...	استخدم مجموعات التركيز إذا...
كنت تريد التعمق في تجارب الشخص بالتفصيل	كنت مهتمًا بالأعراف الاجتماعية، الأوسع نطاقًا، السائدة في المجتمع
كنت تريد التحدث مع أشخاص يحملون أفكارًا جد متباينة عن الموضوع	كانت مجموعتك المستهدفة لديها ما يكفي من القواسم المشتركة التي تسمح لها بالانخراط في مناقشة عامة
كانت لديك أسئلة محددة وبمقدور المخبرين الرئيسيين الإجابة عنها، حيث أنهم يتمتعون بإمكانية الوصول إلى المعلومات المعينة التي تحتاج إليها	كانت لديك أسئلة عامة وتريد الإنصات إلى الأشخاص بينما يتناقشون ويتجادلون باستفاضة
كان المخبرين في مناطق متفرقة، أو ليست لديهم القدرة أو الرغبة في السفر إلى موقع مركزي	كان من السهل جمع ما بين خمسة إلى ثمانية أشخاص في مكان واحد لإجراء مناقشة مجموعة تركيز
كنت تمنح الأولوية للمعلومات المتعمقة المُقدمة من عدد أصغر من الأشخاص على المعلومات ذات الطابع الأعم المُقدمة من عدد أكبر	كنت ترغب في إشراك أكبر عدد ممكن من الأشخاص بسرعة

يمكن أن تكشف لنا كل من المقابلات ومجموعات التركيز عن وجهات نظر السكان المحليين. وعمومًا، تسمح لنا المقابلات بالتعمق أكثر في تجارب الشخص. وتعد مجموعات التركيز طريقة جيدة للتعرف على الآراء الجماعية حول ما يفترض الأشخاص أنه هو العُرف السائد.

تصميم دراسة المقابلة أو مجموعة التركيز

الخطوة الأولى: اكتب أسئلة بحث مناسبة للمقابلات ومجموعات التركيز

حدّد منطق مشكلتك البحثية. تتمثل المشكلة الأولى التي تعترض تصميم البحث في التأكد من أن الطريقة التي اخترتها هي أفضل طريقة للإجابة عن أسئلة بحثك. بادئ ذي بدء، تحتاج إلى معرفة أن المقابلات التي ستجريها أو مناقشات مجموعات التركيز التي ستعقدها ستمكنك من جمع المعلومات التي تحتاج إليها لحل مشكلتك البحثية. اطرح على نفسك الأسئلة التالية: لماذا سأجري مقابلة مع هؤلاء الأشخاص؟ ما الغرض من إجراء المقابلات؟ ما الخلاصات التي يمكنني التوصل إليها بناءً على تلك المعلومات؟

الجدول ٣-٢ خطوات تصميم بحث المقابلة ومجموعة التركيز

الخطوة الأولى	**اكتب أسئلة البحث**	حدّد المنطق الذي ستستند إليه خلال إجراء المقابلة أو مناقشات مجموعة التركيز للحصول على المعلومات التي تحتاج إليها اكتب أسئلة البحث المناسبة للكشف عن وجهات نظر الأشخاص، مثل التجارب والمعتقدات والأعراف
الخطوة الثانية	**خطّط لعينتك**	حدّد مجموعتك المستهدفة فكّر في التنوع: ما المجموعات الفرعية التي ينبغي تضمينها؟ حدّد غاية لحجم عينتك خطّط لإستراتيجية أخذ العينات خطّط لإستراتيجية التعيين
الخطوة الثالثة	**اكتب أدلة مواضيعك**	اكتب دليل موضوعك (أدلة مواضيعك) جرّب دليل موضوعك – هل تعطي الأسئلة نتيجة؟
الخطوة الرابعة	**قم بإجراء المقابلة أو مناقشات مجموعة التركيز**	خطّط للمسائل اللوجستية (أين ومتى ومَن) سجّل المقابلة قم بالتفريغ الصوتي أو دوّن ملاحظات
الخطوة الخامسة	**حلّل البيانات (انظر الفصل السابع)**	استعد للتحليل من خلال التدّرب على أسئلة بحثك وما تريد التوصل إليه من البيانات قم بترميز البيانات نظّم الرموز لتقديم إجابات وقصة
الخطوة السادسة	**اكتب (انظر الفصل الثامن)**	اكتب استنتاجاتك، مستخدمًا اقتباسات من البيانات لتوضيح أفكارك

على سبيل المثال، يمكن لمجموعات التركيز التي تنعقد مع المجتمعات حول مشكلات حماية الأطفال أن تزودك بمعلومات عن الأعراف والموارد المحلية. ولكنها توفر وصولاً غير مباشر أو مؤكد إلى المعلومات المتعلقة بالسياسات الرسمية، أو أثر حملات المناصرة على سياسات الحكومة.

في بحوث التقييم، من المحتمل أن تمنحك المقابلات ومجموعات التركيز معلومات عن *الأثر المتصور* ولكن تقل احتمالية أن تزودك بمعلومات عن *الأثر الفعلي*.

اكتب أسئلة عن وجهات نظر الأشخاص: إذا كانت أسئلة بحثك تتمحور حول وجهات نظر الأشخاص، مثلاً تجاربهم ومعتقداتهم واتجاهاتهم وأعرافهم وأولوياتهم وتصوراتهم وغير ذلك، إذَن فمن المرجح أن تكون المقابلة أو مجموعة التركيز خيارًا مناسبًا.

المربع ٣-١ أمثلة على أسئلة البحث لدراسات المقابلة أو مجموعة التركيز

دراسات المقابلة

كيف تؤثر وصمة فيروس نقص المناعة البشرية (HIV) على حياة الأشخاص المصابين بفيروس HIV/الإيدز في الخرطوم؟

ما العوامل التي تؤثر في سلوكيات طلب الرعاية الصحية للآباء الجدد في ريف نيبال؟

ما الأسباب التي يقدمها الأشخاص لاستخدام أو عدم استخدام نظام تكنولوجيا معلومات جديد في المساعدة على الزراعة؟

ما المعتقدات والقيم التي يعبّر عنها الرجال الذين لا يقترفون جرائم العنف الأسري في بيئة يعتقد الكثيرون أنها أمر طبيعي؟

ما الوضع الحالي فيما يتعلق بالخدمات الرسمية التي تدعم حماية الأطفال في المنطقة الصومالية بإثيوبيا؟ (مقابلات مع المخبرين الرئيسيين).

دراسات مجموعة التركيز

ما الاتجاهات والسلوكيات والممارسات الحالية فيما يخص مشكلات حماية الأطفال بين المجتمعات المحلية في المنطقة الصومالية بإثيوبيا؟

ما الدعم المجتمعي والموارد المتاحة للتعامل مع مشكلات حماية الأطفال في المنطقة الصومالية بإثيوبيا؟

ما نوع البرامج التثقيفية في مجال الصحة الجنسية التي يمكن اعتبارها مقبولة اجتماعيًا من قِبَل الشباب الصغير (وبشكل منفصل، من قِبَلِ كل من آبائهم ومعلميهم) في جنوب السودان؟

ما الأعراف المحلية المتعلقة بالعنف الأسري في ريف بيهار؟

النشاط ٣-١ كتابة أسئلة البحث

فكّر في مشكلة قائمة تواجهها في عملك. هل ثمة سؤال يَشغَلُكَ أنت وزملائك؟ هل تفتقر إلى معلومات بخصوص مجموعة معينة؟ تخيّل كيف يتسنى لدراسة مقابلة أو دراسة مجموعة تركيز مساعدتك.

- اكتب سؤال بحث واحد لدراسة مقابلة
- اكتب سؤال بحث واحد لدراسة مجموعة تركيز

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

الخطوة الثانية: عينتك

في الفصل الثاني (في قسم تحت عنوان "تحديد مكان الدراسة واختيار المشاركين")، أوضحنا الاعتبارات الرئيسية التي يتم وضعها في الحسبان عند أخذ العينات وتعيين المشاركين. ستجد المزيد من التفاصيل في ذلك القسم. ونكتفي هنا بذكر ملخص الخطوات.

حدّد مجموعتك المستهدفة: تضم عينتك جميع الأشخاص الذين يشاركون فعليًا في دراسة المقابلة أو مجموعة التركيز الخاصة بك. ستبدأ بوضع مجموعة من الأهداف لعينتك – ما حجمها ومَن المجموعة المستهدفة – ولكن غالبًا ما نصادف مفاجآت، خلال عملية جمع البيانات ونضطر إلى التكيف مع الظروف الواقعية.

أول ما يجب عليك فعله هو تحديد مجموعتك المستهدفة. إذا كنت تستهدف الشباب الصغير، فستحتاج إلى تحديد ما تعنيه بـ "الشباب الصغير". ما الفئة العمرية التي تشير إليها؟ هل تشمل كل من الملتحقين بالمدارس وغير الملتحقين بها؟ هل هناك مناطق جغرافية معينة محل التركيز؟

فكّر في التنوع في مجموعتك المستهدفة: متى انتهيت من التفكير في مجموعتك المستهدفة، من المفيد التفكير على نطاق واسع مرة أخرى في مَن يمكن أن يكون مفيدًا أيضًا في التعامل مع مشكلتك. إذا كنت تجري مقابلات مع شباب صغير، فقد يعرض منظور آبائهم، أو المعلمين، أو قادة المجتمع المحلي وجهة نظر متباينة أو موضحة للسياق؟ هل هناك اختلافات مهمة بين الشباب الصغير في الريف والحضر التي تريد الاستفادة منها؟ أو بين الشباب الصغير العامل والعاطل عن العمل؟ هل تريد تحقيق توازن في النوع الاجتماعي في العينة؟

لا تفترض بسرعة كبيرة أن الفئة العمرية أو النوع الاجتماعي هو أهم عامل اختلاف في عينتك. فكّر في موضوعك. ما المرجح أن يكون أهم عامل اختلاف (أو بلغة البحث "تقسيم طبقي") بين الأشخاص فيما يتعلق بهذا الموضوع؟ هل هو ما إذا كانوا رجالًا أو نساء؟ أو ما إذا كانوا يعملون لحسابهم الخاص، أو يعملون لدى شخص آخر، أو عاطلين عن العمل؟ تعرّف على كيفية إضافة عامل الاختلاف المهم ذلك إلى دراستك. يمكننا القول أنك تستخدم "عينة طبقية" حين تُقَسِّمُ عينتك عن عمد إلى أكثر من مجموعة واحدة محددة بوضوح: على سبيل المثال، رجال ونساء، أو مشاركين من الريف والحضر.

بالنسبة إلى مجموعات التركيز، فإن تركيبة المجموعة مهمة. يحتاج المشاركون إلى الشعور بالراحة بشكل كافٍ وكأنهم في المنزل معًا حتى يتمكنوا من مناقشة المسائل المهمة والحساسة أحيانًا. ومن المهم أن يكون هناك قدر من الثقافة والأعراف المشتركة. ومن ثمّ، انتبه إلى كيفية تحديدك للمجموعة المستهدفة لكل مجموعة تركيز. ويجب أن تستهدف تعظيم فرص انفتاح المشاركين والتحدث بحُرية أمام بعضهم البعض.

في بعض الأحيان، يعرف المشاركون في مجموعات التركيز بعضهم البعض بالفعل: قد يكونون زملاء في المدرسة، أو جيران، أو مجموعة من الأصدقاء. وتكمن ميزة أن المشاركين تربطهم علاقة بالفعل في إحتمالية أن يستهِلُّوا الحديث والنقاش بسهولة نسبية. وعلى النقيض، تعني المعرفة المسبقة بين أفراد المجموعة أنه قد تكون هناك تسلسلات هرمية وأعراف وأنماط تواصل ثابتة مُتّبعة ومن ثمّ، تكون الهيمنة لبعض الأشخاص، أو تعتبر بعض المواضيع "ممنوعة" أو مثيرة للجدل. هناك إيجابيات وسلبيات لاستخدام كل من المجموعات الاجتماعية القائمة ومجموعات الأشخاص الذين لا يعرفون بعضهم البعض. كما حدث من قبل، من المهم أن تكون على دراية بالديناميكيات وكيف يمكن أن تؤثر في البيانات. يعرض المثال في المربع ٣-٢ كيف يمكن أن يتحقق ذلك.

المربع ٣-٢ العينة في دراسة نوعية واسعة النطاق عن العنف الأسري

يعرض الجدول أدناه العينة المستخدمة في دراسة نوعية واسعة النطاق عن العنف الأسري. افترضت جيجيبوي (Jejeebhoy) وزملاؤها (٢٠١٣) في البداية أن النوع الاجتماعي والحالة الاجتماعية والفئة العمرية ستكون عوامل اختلاف مهمة في بياناتهم. ومن ثمّ، قسّموا المشاركين وفقًا لهذه العوامل في مجموعات التركيز.

وعقدوا ثلاث مجموعات تركيز مع شابات غير متزوجات (تتراوح أعمارهن بين ١٥ و٢٤ عامًا) ومجموعتين مع شباب ذكور غير متزوجين (من نفس الفئة العمرية). علاوة على ذلك، عقدوا أربع مجموعات تركيز مع شابات متزوجات وأربع مجموعات أخرى مع شباب ذكور متزوجين. وبالانتقال إلى الفئة العمرية الأكبر سنًا (٢٥-٥٠)، فقد عقدوا أربع مجموعات تركيز مع رجال بالغين متزوجين وأربع مجموعات أخرى مع نساء بالغات متزوجات.

استخدموا استبيانًا استقصائيًا موجزًا لإثبات معلومات ديموغرافية واقعية وتجربة المشاركين مع العنف الأسري.

ومن ثمّ، في مرحلة ثانية، اختاروا عن عمد أزواج النساء اللاتي شاركن في مجموعات التركيز. في هذه المرحلة، قسّموا الأزواج وفقًا لما إذا كانت زوجاتهم قد أبلغن عن التعرض للعنف أم لا، في محاولة لفهم الاختلاف بين الرجال الذين ارتكبوا العنف الأسري وهؤلاء الذين لم يفعلوا.

الجدول ٣-٣ طرائق جمع البيانات من أجل دراسة عن العنف الأسري

	المجموعة	عدد مناقشات مجموعة التركيز/المقابلات
مناقشات مجموعة التركيز (FGDs)	شباب غير متزوجين	٥ (٣ مع شابات و٢ مع شباب ذكور)
مناقشات مجموعة التركيز	شباب متزوجون	٨ (٤ مع شابات و٤ مع شباب ذكور)
مناقشات مجموعة التركيز	بالغون متزوجون	٨ (٤ مع نساء و٤ مع رجال)
مسح، باستخدام استبيان مُنظّم	مشاركات في مناقشات مجموعة التركيز من النساء المتزوجات اللاتي تتراوح أعمارهن بين ١٥ و٢٤ عامًا و٢٥ و٥٠ عامًا	٨ (٤ مع نساء و٤ مع رجال)
مسح، باستخدام استبيان مُنظّم	أزواج (متاحون) للمشارِكات في مناقشات مجموعة التركيز المخصصة للنساء المتزوجات	٣٦ (١٩ مع أزواج النساء اللاتي تتراوح أعمارهن بين ١٥ و٢٤ عامًا، و١٧ مع أزواج النساء اللاتي تتراوح أعمارهن بين ٢٥ و٥٠ عامًا)
مقابلات متعمقة	أزواج (مختارون) لنساء شاركن في مناقشات مجموعة التركيز، بناءً على تقارير عن العنف في المسح	٢١ (١٠ مع أزواج نساء أفدن بأن أزواجهن غير عنيفين و١١ مع أزواج نساء أفدن بأن أزواجهن عنيفين)

المصدر: مقتبس من Jejeebhoy et al. (2013: 2).

حدّد غاية لحجم عينتك: كلما سألنا شخص "كم عدد الأشخاص الذين يجب أن أُجري معهم مقابلة؟"، نجيب "على حسب". كلما كانت العينة متنوعة، زاد عدد الأشخاص الذين ستحتاج إلى إجراء مقابلة معهم حتى تشعر أن دراستك قد تطرقت للمسائل الرئيسية (أو وصلت إلى مرحلة "التشبع"، انظر الفصل الثاني).

من الصعب أن تكون واثقًا في الادعاءات المقدمة من دراسة أجرت أقل من ١٠ مقابلات أو حوالي ثلاث مجموعات تركيز (إجمالي ١٨ شخصًا تقريبًا).

يجب أن تفكر في كل مجموعة فرعية في عينتك (رجال/نساء، الحضر/الريف) باعتبارها مجموعة قائمة بذاتها. إذَن، إذا قسّمت عينتك إلى رجال ونساء (لأنك تتوقع وجود اختلاف بينهما فيما يتعلق بالموضوع)، فيجب أن تجري مقابلة مع حوالي ١٢ رجلاً و١٢ سيدة. بدلاً من ذلك، يمكنك استخدام اثنين أو ثلاث مجموعات تركيز مع كل مجموعة منفصلة.

تُحدِّدُ العوامل المتعلقة بمدى توفر الموارد وسهولة التعيين أو صعوبته وتنوع المجموعات حجم العينة المستهدفة.

حدّد إستراتيجية أخذ العينات: كيف ستحدّد الأشخاص الذين سيشاركون في دراستك؟ وكيف ستتأكد من أن العينة تمثل المجتمع الإحصائي على نطاق واسع وليست مفرطة في تحيزها؟ لمزيد من المعلومات عن طرائق أخذ العينات المختلفة، راجع الفصل الثاني ولا سيما قسم "تحديد مكان الدراسة واختيار المشاركين".

غالبًا ما يستخدم البحث النوعي طريقة أخذ **العينات العمديّة**. وهذا يعني أن العينة مصممة لتغطية شرائح مهمة في المجتمع الإحصائي، أو تجارب مهمة حددها البحث. إنها ليست عينة عشوائية أو ممثلة بشكل مثاليّ وإنما يتم اختيارها عن قصد لتغطية مجموعات أو تجارب مهمة. على سبيل المثال، قد تستهدف العينة العمدية إجراء مقابلات مع كل من الرجال الذين يمارسون العنف الأسري وهؤلاء الذين لا يمارسونه (حتى إذا لم يكن هؤلاء الرجال ممثلين على قدم المساواة في المجتمع الإحصائي). أو قد تكون مصممة لتمثيل أعداد متساوية من الأشخاص الذين ينتمون إلى مجموعات عِرقية مختلفة.

كما هو الحال دائمًا، يتضمن تصميم العينة موازنة ما هو مثالي، من وجهة نظر البحث، مع ما يمكن تحقيقه. وأهم نقطة هي أن تكون مدركًا لكيفية أخذ العينات وكيف يمكن لذلك أن يؤثر في البيانات. يجب أن تكون قادرًا على تبرير سبب اختيارك للمقاربة التي تستخدمها.

في الواقع العملي وخصوصًا في البيئات الصعبة، غالبًا ما يستخدم البحث النوعي **العينة الملائمة**. وهذا يعني فرض الباحث عددًا قليلاً من القيود، مما يسمح بإدراج أي شخص متاح ومستعد لتُجرى معه مقابلة في العينة، طالما أنه يستوفي المعايير الأساسية.

خطّط لإستراتيجية التعيين: كيف ستصل إلى المشاركين في دراستك وتعيّنهم؟ تحتاج إلى إجراءات معينة لتحديد الأماكن أو أصحاب النفوذ الذين ستلتقي من خلالهم مع المجيبين المحتملين وتدعوهم للمشاركة.

وغالبًا ما يكون من الجيد البدء بالعديد من أصحاب النفوذ وليس واحدًا فقط – حتى تسنح لك الفرصة للحصول على عينة متنوعة وليس أصدقاء أو معارف شخص واحد بعينه. إذَن، على سبيل المثال، حاول التواصل مع أشخاص في منظمات غير حكومية متباينة، أو من مناطق إدارية مختلفة، لمساعدتك على تعيين المشاركين. استعن بأشخاص يشغلون مناصب مختلفة وعلى اتصال بمجموعات اجتماعية مختلفة.

بالنسبة إلى مجموعات التركيز، من المعروف أن أحد التحديات الرئيسية تتمثل فعليًا في القدرة على تجميع ستة أشخاص معًا في غرفة واحدة في نفس الوقت. يفيد الباحثون مرارًا وتكرارًا باعتقادهم أنهم قاموا بعمل جيد في عملية التعيين، ليفاجئوا بحضور ثلاثة مشاركين فقط إلى اجتماع مجموعة التركيز واعتذار الآخرين في اللحظة الأخيرة. وعادةً ما ينصح الباحثون بالإكثار من عدد المختارين في مجموعات التركيز، بافتراض أن بعض الأشخاص لن يحضروا إلى الاجتماع. إذَن، خطّط مسبقًا لمثل تلك الاحتمالات. وسيكون مكان عقد مجموعة التركيز أحد الاعتبارات المهمة؛ لذا تأكد من سهولة الوصول إليه قدر الإمكان وأنك تستطيع تغطية وسائل النقل وربما توفير الرعاية للأطفال، لجعل المشاركة ممكنة.

يمكن أن يكون تعيين مجموعة التركيز وعقد مناقشاتها في المكان الذي عادة ما ترتاده مجموعتك المستهدفة وتقضي فيه وقتها، مثلاً المدرسة أو مكان العمل، فكرة جيدة.

ستحتاج إلى إعداد ورقة المعلومات والموافقة المستنيرة (انظر القسم "التغلب على المعضلات الاجتماعية والأخلاقية" في الفصل الثاني). وكن مستعدًا لشرح البحث بشكل غير رسمي وشفهي ولا تتوقع من الجميع أن يكون قادرًا على قراءة ورقة المعلومات الرسمية، أو راغبًا في ذلك.

تأكد من أنك تعرف بالضبط ما تطلب من الشخص القيام به – أجب عن أسئلة أين ومتى ولماذا ومَن وماذا. وضع في اعتبارك الفائدة التي ستعود على المشارك منها. هل تقدم أي حوافز؟ تكاليف سفر؟ مشروبات منعشة؟ اشرح قيمة البحث. وتأكد من عدم منح أي وعود زائفة أو حتى التلميح لها. غالبًا ما يأمل الأشخاص أن تقدم لهم أبحاثنا فوائد مباشرة وملموسة. لذا، يجب أن يتحلى الباحثون بالصدق والحذر بشأن التوقعات المطروحة.

الخطوة الثالثة: اكتب دليل موضوعك

دليل الموضوع عبارة عن مستند مكوّن من صفحة واحدة أو صفحتين يجلبه الباحث إلى المقابلة أو مجموعة التركيز لتذكير نفسه بالقضايا التي يهدف إلى تغطيتها. ويرمي إلى تنظيم محادثة تستمر على مدار ساعة تقريبًا. ويقسّم سؤال البحث إلى أسئلة ملموسة أكثر يستطيع المشاركون الإجابة عنها بشيء من الاستفاضة.

أسئلة ملموسة وسهل الإجابة عنها: يطرح دليل الموضوع الجيد أسئلة بديهية على المشاركين، أسئلة يفهمونها وأسئلة تمنحهم فرصة الشرح بإسهاب. ومن الجيد مطالبة المشاركين بسرد قصص ملموسة. وعادةً ما يكون طرح أسئلة البحث مباشرةً فكرة سيئة! على سبيل المثال، هل تفضّل الإجابة عن سؤال "ماذا تعني "الصحة" لك؟"، أو "أخبرني عما تفعله للحفاظ على صحتك"، أو "أخبرني عن آخر مرة زرت فيها الطبيب؟" يجد معظم الأشخاص أنه من الأسهل سرد قصص ملموسة (على سبيل المثال، آخر مرة زرت فيها الطبيب) عن الإجابة عن أسئلة مجردة (مثل "ماذا تعني "الصحة" لك؟"). إذا كان سؤال البحث معني باستيعاب مفاهيم أصلية عن "الصحة"، فمن المرجح أن نحتاج إلى إيجاد أساليب غير مباشرة للوصول إلى هذا المفهوم المجرد. يستخدم الباحثون والمهنيون ومديرو البرامج المفاهيم المجردة، مثل "الصحة" و"تنمية الأطفال" و"حماية الأطفال" و"الاستدامة" وغير ذلك. وغالبًا ما لا يستخدم الأشخاص العاديون هذه المفاهيم، لذا نحتاج إلى تقريب لغتنا والمصطلحات المستعملة للتعبير عن اهتماماتنا البحثية إلى اللغة والمصطلحات التي يستعملها المشاركون في سبيل إجراء مقابلة جيدة.

قائمة المراجعة: دليل الموضوع الجيد

- يطرح أسئلة "سهلة التناول" ويسهل الإجابة عنها بكلمات مألوفة للمشاركين.
- يطلب من المشاركين التحدث عن القضايا التي يألفونها.
- لا يطرح على المشاركين سؤال البحث بشكل مباشر.
- يتميز بتسلسل منطقي وهيكل تنظيمي.
- لم يعد يزيد عن صفحة واحدة لمجموعة التركيز أو صفحتين للمقابلة.
- يغطي من ثلاثة إلى سبعة مواضيع رئيسية.

حافظ على قائمة الأسئلة مختصرة وبسيطة: نريد التأكد من أننا نمنح المشاركين الوقت اللازم لتوضيح إجاباتهم بمفرداتهم الخاصة ونبلغ عن شواغلهم. وهنا، يمكن أن يفيد دليل الموضوع الموجز نسبيًا عوضًا عن مجموعة أسئلة سريعة تتطلب إجابات مختصرة. وغالبًا ما يتضمن دليل الموضوع ما بين ثلاثة إلى سبعة مواضيع رئيسية للمناقشة، ربما مع بعض الأسئلة الاستقصائية أو الأكثر تحديدًا لكل موضوع. يتيح لنا الحدّ من عدد المواضيع الوقت الكافي لمعالجة كل موضوع بشيء من التعمق مع المشاركين. وتساعد أدلة المواضيع المختصرة والبسيطة أيضًا على الإحساس باتساق المقابلة وتدفق المحادثة بانسيابية وتساعد الباحث على الشعور بالسيطرة على الوضع. عندما يتدفق الحوار بانسيابية خلال إجراء المقابلة، غالبًا ما يجد الباحث نفسه قادرًا على تذكر المواضيع وتوجيه المحادثة بمهارة، دون التقيد بشكل صارم بالكلمات أو الترتيب المحدد في دليل الموضوع.

يجب أن يشتمل دليل الموضوع على أهم الأسئلة، التي تم التفكير في صيغتها بعناية. ولكن، في التدفق الطبيعي للمحادثة، يجب أن يستخدم الباحث الأسئلة الاستقصائية وسرعة بديهته بسلاسة، ردًا على ما يقوله المشاركون.

التنظيم والتدفق: نريد أن تسير المقابلة بشكل طبيعي ومريح. ويجب أن يحدث تغيير المواضيع، بصورة طبيعية تمامًا، عندما يتم التطرق إلى جميع النقاط المتعلقة به ويأتي الدور على موضوع آخر ليكون محور المحادثة. ونريد أن نتجنب ديناميكية المقابلة الاستقصائية المكوّنة من أسئلة وإجابات؛ حيث يتولى المحاور زمام الأمور بوضوح ويطرح أسئلة تفضي إلى إجابات قصيرة. ويجب أن يكون هناك شيء من التسلسل المنطقي والتدفق السلس للمحادثة.

يستهل دليل الموضوع بقسم تمهيدي والذي يهدف إلى بناء علاقة والتعرّف على المشارك (المشاركين) قليلاً وتحديد سياق المقابلة. وعادةً ما يبدأ بأسئلة ملموسة ويسهل الإجابة عنها للغاية.

يمكن أن تكون الأسئلة التمهيدية، على سبيل المثال: "لتهيئة الأجواء، هل يمكنك أن تحدثني قليلاً عن دورك حتى الآن في مشروع التدخل ذلك؟"، أو "كما تعلمين، نحن مهتمون بتعليم الفتيات. فضلاً، هل يمكنكِ أن تحدثيني عن تعليمكِ حتى يومنا هذا؟"، أو "شكرًا لك على التطوع للمشاركة في هذه الدراسة. هل لي أن أسألك ما الذي أثار اهتمامك بالمشروع؟ ما وجه الصلة بينك وبين موضوع الدراسة؟"

بعد ذلك، ينتقل دليل الموضوع إلى صُلب المقابلة. هنا، سيتناول الباحث من ثلاثة إلى ستة مواضيع تقريبًا واحدًا تلو الآخر، لتغطية أسئلة البحث واهتماماته. ويجب أن يكون هناك قدر من التسلسل المنطقي للأسئلة. وقد يعني ذلك المنطق، على سبيل المثال، الانتقال من التحدث عن التجربة الشخصية إلى تجارب الآخرين، ثم ينتقل الحديث بعد ذلك إلى موضوع الخدمات، مثلما حدث في مثال العنف الأسري في المربع ٣-٣.

ثمة شكل آخر من أشكال التسلسل المنطقي؛ ألا وهو اتباع مخطط زمني. يتسنى لك البدء بالتحدث عن مرحلة الطفولة، مثلاً، ثم المراهقة، يليها البلوغ. أو يمكنك البدء بالتحدث عن الوقت الذي سبق حدوث تدخل معين، ثم تنتقل إلى وصف تجربة المشاركين مع التدخل، ثم تصوراتهم لآثاره وآمالهم في المستقبل.

أخيرًا، هناك مرحلة ختامية بعد انتهاء الباحث من طرح الأسئلة الرئيسية. وتتمثل المهمتين النهائيتين في السماح للمشارك بإلقاء كلمة أخيرة، ثم اختتام المقابلة، بالتعبير عن الامتنان والاحترام.

المربع ٣-٣ دليل موجز لموضوع مجموعة تركيز تستكشف الوضع فيما يتعلق بالعنف الأسري في المجتمع

القسم الأول: مقدمة

أودّ أن أشكركِ على المشاركة في هذه الدراسة. كما تعلمين، فإننا نريد فهم الوضع المتعلق بالعنف ضد المرأة. نعلم أن هذا الموضوع صعبٍ وحساس. يُرجى عدم الشعور بالضغط للتحدث عن تجربتكِ الخاصة، فلك مطلق الحرية في مشاركتنا تجربتك متى أَرَدْتِ ذلك. ويمكنكِ في أي وقت طلب إنهاء المقابلة، أو التعبير عن عدم رغبتكِ في الإجابة عن سؤال محدد. هل لديكِ أي أسئلة قبل أن نبدأ؟

القسم الثاني: فهم العنف الأسري

- ما مظاهر العنف ضد الزوجات؟
- ابحث عن العنف الجسدي، بما في ذلك الصفع والعنف العاطفي والعنف الجنسي.
- ابحث عن أمثلة.
- هل العنف مقبول؟ تحت أي ظروف؟
- ابحث عن أمثلة.

القسم الثالث: التجارب الشخصية والمجتمعية مع العنف الأسري

- ما مدى شيوع أشكال العنف التي ذكرتها؟
- ناقش كل نوع مختلف من أنواع العنف تباعًا (الجسدي والعاطفي والجنسي).
- ابحث عن أمثلة.
- تقصى عما يعتبر "عاديًا" و"متوقعًا".

القسم الرابع: الإجابات المناسبة

- ماذا ينبغي أن تفعل المرأة عندما تتعرض لأي من أشكال العنف هذه؟
- تبحث عن الدعم من الأسرة والأصدقاء والزعماء التقليديين والشرطة والمنظمات غير الحكومية والخدمات الحكومية. وتطلب الانفصال لإنهاء علاقة زوجية تتسم بالعنف وما إلى ذلك.
- ماذا ينبغي أن يفعل فرد الأسرة أو صديق إذا علم بتعرض امرأة للعنف الأسري؟

القسم الخامس: الخاتمة

- شكرًا لكِ على مشاركة معرفتكِ معي. الانطباع التي تكوّن لدي هو... و...هل هذا صحيح؟ هل هناك أي شيء آخر تودين إضافته أو تغييره؟
- اشرح الخطوات التالية.

المصدر: مقتبس من Jejeebhoy et al. (2013).

هناك سؤالان أخيران معتادان في المقابلة أو مجموعة التركيز. في السؤال الأول يتم الاستفسار عما إذا كان لدى المشارك أي شيء يودّ أن يضيفه، ويعتمد السؤال الثاني أكثر قليلاً على الباحث. يستطيع الباحث، الذي كان يحاول استيعاب هذا الكم من المعلومات خلال المقابلة، أن يطرح سؤالاً للتأكد من تفسيره للمعلومات بشكل صحيح. قد يكون من المفيد إنهاء المقابلة بهذا النوع من السؤال "التفسيري"، الذي يلخص ما فهم الباحث أنه المشكلة الرئيسية خلال المقابلة ويمنح المشارك فرصة تصحيح ذلك التفسير، أو تغييره، أو الإضافة إليه.

بعد ذلك، يجب أن تختتم المقابلة أو مجموعة التركيز بتعبير عن الامتنان للمجيب والإتيان على ذكر أي خطوات متابعة متوقعة واستكمال أي جوانب عملية متبقية، مثل سداد نفقات السفر أو إعطاء توجيهات حول الوجهة التالية للمشارك.

يمكن أن يتبع القسم الختامي أحد الأنماط الموضحة أدناه:

- حسنًا، هنا نصل إلى نهاية أسئلتي. شكرًا لك على التحدث معي بصراحة. هل هناك أي شيء آخر تودّ إضافته قبل أن نختم؟ هل هناك شيء كان يجب أن أسأل عنه، لفهم هذه المشكلة، ولكنني لم أفعل؟
- إذَن، باختصار، ما أفهمه من المقابلة هو أن تجربتك...وأولويتك الأولى هي حل...هل ما فهمته صحيح؟

النشاط ٣-٢ تحسين أسئلة دليل الموضوع

تُجري زميلة لك أول دراسة بحثية نوعية عن حماية الأطفال في الصومال. إنها دراسة عالية الجودة ولم ترتكب زميلتك الأخطاء المذكورة أدناه، وإنما تم اختلاقها على سبيل المثال فقط! تقدّم لك زميلتك دليل الموضوع الخاص بها أدناه وتطلب تعقيبك. هل هذه أسئلة جيدة لطرحها على أولياء الأمور في مجموعة تركيز؟ إذا لم تكن كذلك، فهل يمكنك تحسينها؟

١. في رأيك، ما أهم المشكلات التي تواجه حماية الأطفال في مجتمعك المحلي؟
٢. هل تؤدب أطفالك؟
٣. هل ثمة اختلافات في معدلات الحضور في المدارس بين الفتيات والفتيان؟
٤. لاحظت أطفالاً يبيعون سلعًا في الشوارع. لماذا ليسوا في المدرسة؟

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

المصدر: مقتبس من Lelieveld (2011).

الخطوة الرابعة: قم بإجراء المقابلة

أسلوب تيسير المقابلة: تستند مهارات إجراء المقابلات الجيدة إلى مهارات التواصل العادية واليومية لديك. وأحد أهم العوامل المحددة لجودة بيانات المقابلة أو مجموعة التركيز هي مدى شعور المشاركين بالأريحية. غالبًا ما يشعر المشاركون بالدهشة، أو عدم الراحة، أو حتى شيء من التهديد بسبب غرابة موقف المقابلة. إذا كنت تريد ربط الصلة مع المشاركين، فيجب أن تُبنى علاقتك معهم على أساس إشعارهم بتقديرك واحترامك وأن صوتهم مهم وأنك مهتم بوجهة نظرهم.

في الوضع المثالي، تسترشد كل مقابلة ومجموعة تركيز بدليل الموضوع ولكنها ستأخذ اتجاهها الخاص حسب مُجريات المحادثة. يجب أن تكون المقابلة أشبه بالمحادثة، حيث يتجاوب الباحث مع المشكلات التي يثيرها المشارك. ويجب أن يكون المشارك الشخص الذي يتكلم معظم الوقت، يستخدم مفرداته الخاصة ويسرد القصص ويتحدث من وجهة نظره الخاصة. ويحقق الباحث توازنًا بين التجاوب مع المشارك وتوجيهه بلطف للتحدث عن المواضيع محل اهتمام البحث.

النشاط ٣-٣ خلق ديناميكية جيدة لإجراء المقابلات

في دراستهما عن الارتفاع الحاد في أسعار الغذاء، تلقى حسين وجرين (Hossain and Green, 2011) الرد التالي من أحد المشاركين. وغالبًا ما تُصادف هذه المشاعر.

"لا تسألني عن كل هذه الأشياء، أنا لا أعرف شيئًا. إذا ناقشت أنت [فريق البحث] وأنا هذه الأشياء، فماذا سيكون الأثر؟ هل سينخفض سعر السلع الغذائية؟ لا أعتقد ذلك!" (عامل نقل في نوتن بازار، دكا، مقتبس في Hossain and Green 2011: 6.)

كيف سترد على هذا الشخص لإشراكه في مقابلة مثمرة؟

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

الجدول ٣-٤ أنواع أسئلة المقابلة

تمهيدية	هل يمكنك أن تحدثني عن...(كن محددًا)...
متابعة	إممم...، أومئ برأسك، كرّر الكلمات الرئيسية
	ركّز على اهتمام بحثي محدد
استقصائية	هل يمكنك قول المزيد؟
	ما رأيك في...؟
محددة	هل يمكن أن تعطيني مثالاً؟
مباشرة (مرحلة لاحقة)	عندما تذكر "منافسة"، هل تفكر في منافسة بروح رياضية أو منافسة هدامة؟
غير مباشرة	في رأيك، كيف ينظر الأشخاص إلى...؟
مُنظمة	شكرًا لك على ذلك. أودّ الانتقال إلى موضوع آخر...
الصمت	[امنح المشاركين وقتًا لملء لحظات الصمت أو التوضيح]
تفسيرية	إذَن، ما فهمته هو أن...

المصدر: Kvale and Brinkmann (2008: 135–6).

وبناءً عليه، تأخذ كل مقابلة مسارًا مختلفًا بعض الشيء وقد تتناول المشكلات المذكورة في دليل الموضوع بدرجات متفاوتة أو بترتيب مختلف.

أنواع أسئلة المقابلة: إلى جانب أسئلة دليل الموضوع المُصاغة بعناية، فإننا نستخدم مجموعة من التعبيرات وأنواع الأسئلة الأخرى لاستكشاف كيف يفكر المشاركون في أحد المواضيع. يوضح الجدول أدناه بعض الأمثلة على ذلك.

الإشراف على مجموعة التركيز: أحد التحديات التي تنفرد بها مجموعات التركيز هو إدارة ديناميكيات المجموعة. ويتمثل الهدف الرئيسي في تولي المشاركين زمام المناقشة والتحدث مع بعضهم البعض، وليس مع المشرف على مجموعة التركيز فحسب. يريد المشرفون تجنب الديناميكية التي يتبادل فيها المشاركون الدور في الحديث لفترة قصيرة، في انتظار أن يشير المشرف لكل واحد بأن دوره قد حان للتحدث. ويجب أن يساعد دليل الموضوع الجيد، الذي يطرح المواضيع المألوفة وربما المثيرة للجدل إلى حدٍ ما، على منع ديناميكية "المشاركة في الحديث لفترة قصيرة". وفي هذا السياق، فإن التعامل مع عينة جيدةٍ أمر مهم جدًا لأنه من المرجح أن تبدأ المحادثة بين الأشخاص الذين يشعرون بالراحة داخل المجموعة والذين تجمعهم تجارب متشابهة بما يكفي لتكون نقطة الانطلاق المشتركة.

إننا نهدف أيضًا إلى خلق بيئة يحظى فيها كل شخص بفرصة المشاركة ويستمع فيها الأشخاص لبعضهم البعض. في بعض الأحيان، يبدأ شخص أو اثنين في فرض هيمنتهم، أو يظل شخص أو اثنين في حالة صمت. ومن ثمّ، يحتاج المشرف إلى إدارة المحادثة بفعالية لمحاولة إعادة التوازن إليها. يمكنه استخدام لغة الجسد وإشاحة وجهه عن الشخص المهيمن والنظر إلى أحد الأشخاص الصامتين. ويمكن أن يقول صراحةً شيئًا مثل: "لنسمع من هذا الجانب من الغرفة" أو "لنستمع إلى شخص لم يحظ بفرصة التحدث بعد".

التسجيل والتفريغ الصوتي: تُسجل عادةً المقابلات ومجموعات التركيز صوتيًا ثم تُفرّغ. في بعض الأحيان، يتم تسجيلها وإرفاقها بملاحظات تفصيلية بدلاً من الاكتفاء بتدوين محاضر حرفية.

بعد التفريغ الصوتي، تكون الخطوات النهائية التحليل والكتابة. ونتطرق إلى هذه المراحل في الفصلين الثامن والتاسع.

التحديات المعتادة والاستجابات المحتملة

المرغوبية الاجتماعية

تمثل المقابلات، وحتى مجموعات التركيز بدرجة أكبر، مواقف اجتماعية. يتحدث المشاركون عن حياتهم أمام باحثين رفيعي المستوى قد يكونون غير مألوفين لهم في المقابلة، أو أمام باحث غير مألوف لهم وأقرانهم في المقابلة. ربما يُظهرون جانبهم الجيد، بالإضافة إلى الإجابة عن الأسئلة. ويمكن أن يحاولوا تقديم الإجابات "الصحيحة"، أو الإجابات التي يعتقدون أن الباحثين يرغبون في سماعها، في محاولة ليكونوا مهذبين ومفيدين.

لهذا السبب، لا تعد المقابلات ومجموعات التركيز طرائق جيدة للغاية لإجراء تقييمات حصيلة. يمكن أن تعلّمنا المقابلات ومجموعات التركيز كيف يرى السكان المحليون أثر التدخلات ونجاحاتها وإخفاقاتها، ولكنها تبقى أدوات ضعيفة لتقدير الأثر الفعلي.

تحتاج جميع الدراسات إلى مراعاة سياق المقابلة: مَن يُجري المقابلة، ووضعه وعلاقته بالمشاركين، وما يعتقد المشاركون أنه محور المقابلة، والقواعد الأخلاقية المتعلقة بموضوع الدراسة. وستؤثر جميع هذه المسائل المتعلقة بالسياق، بالإضافة إلى عوامل أخرى، في كيفية اتخاذ المشاركين قرارهم بشأن الحديث عن الموضوع والتي يجب وضعها في الحسبان.

المقابلات تدرس أقوال الأشخاص لا أفعالهم

استنادًا إلى النقطة المذكورة أعلاه، تركز المقابلات ومجموعات التركيز على ما يقوله الأشخاص ولكن ليس بالضرورة على ما يفعلونه حقًا. لا يملك الأشخاص رؤية ثاقبة دائمًا عما يفعلونه، أو ربما لا يريدون إخبارنا عما يفعلونه حقًا. سيستكشف الفصل الرابع، "المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ"، سُبُلًا للتعمق أكثر فيما وراء الإفادات الشفهية للأشخاص بُغية فهم ما يفعلونه في الواقع العملي.

قابلية التعميم

في مناقشتنا عن أخذ العينات، بات واضحًا أن دراسة مقابلة أُجرِيت على نطاق صغير لا يمكن ولا ينبغي أن تسعى إلى تحقيق "التمثيل" ولا ينبغي أن تدعي التعميم على المجتمع الإحصائي كاملاً. ومع ذلك، مع أخذ العينات بعناية، يمكننا أن ندعي أن الدراسة تتضمن مجتمعًا إحصائيًا متنوعًا وتهدف إلى "تغطية" المجموعات الاجتماعية الرئيسية.

يمكن أن يثبت ربط الدراسة بالأدبيات والتجارب الأخرى صحة استنتاجات دراسة المقابلة. وإذا توصل آخرون إلى أشياء ذات صلة أو مشابهة في سياقات مماثلة، فإن هذا من شانه أن يُضفي مصداقية على الدراسة.

الملخص

المقابلات ومجموعات التركيز هي من بين السُبُل المستخدمة للتعرُّف على *وجهات نظر السكان المحليين* حول قضية معينة. ويمكن أن تكون المقابلات ومجموعات التركيز مفيدة طوال دورة البرنامج. ويجب أن تكون أدلة مواضيع المقابلة ومجموعة التركيز "ملائمة للمشارك" ومن السهل متابعتها. وغالبًا ما تكون العينة المتنوعة مفيدة في دراسات المقابلة ومجموعة التركيز. وتستند المقابلات ومجموعات التركيز إلى أسئلة مفتوحة تتيح للمشاركين نقل تجاربهم وتوضيحها.

المراجع

Baxter, J. (2013) Who is Benefiting? *The Social and Economic Impact of Three Large-scale Land Investments in Sierra Leone: A Cost–Benefit Analysis,* London: Christian Aid, <www.christianaid.org.uk/images/who-is-benefitting-Sierra- Leone-report.pdf> [accessed 23 July 2015].

Hossain, N. and Green, D. (2011) *Living on a Spike: How is the 2011 Food Price Crisis Affecting Poor People?,* Oxford: Institute of Development Studies and Oxfam GB, <www.oxfam.org/sites/www.oxfam.org/files/file_attachments/ rr-living-on-a-spike-food-210611-en_4.pdf> [accessed 23 July 2015].

Jejeebhoy, S. J., Santhya, K. G. and Sabarwal, S. (2013) *Gender-based Violence: A Qualitative Exploration of Norms, Experiences and Positive Deviance,* New Delhi: Population Council, <http://r4d.dfid.gov.uk/pdf/outputs/ORIE/Qualitative_ report_Formative_Study_VAWG_Bihar_DFID_India.pdf> [accessed 23 July 2015].

Kircher, I. (2013) 'Challenges to security, livelihoods and gender justice in South Sudan', Oxfam Research Report, Oxford: Oxfam, <www.oxfam. org/sites/www.oxfam.org/files/file_attachments/rr-challenges-security- livelihoods-gender-south-sudan-130313-en_0.pdf> [accessed 23 July 2015].

Kvale, S. and Brinkmann, S. (2008) *InterViews: Learning the Craft of Qualitative Research Interviewing,* Thousand Oaks CA: SAGE Publications.

Lelieveld, M. (2011) *Child Protection in the Somali Region of Ethiopia,* London: Save the Children UK, <www.savethechildren.org.uk/sites/default/files/docs/ FINALChild_Protection_in_the_Somali_Region_30511.pdf> [accessed 23 July 2015].

USAID WASHplus Project (2013) *Understanding Consumer Preference and Willingness to Pay for. Improved Cookstoves in Bangladesh,* Washington DC: USAID, <www.cleancookstoves.org/resources_files/consumer-preference- bangladesh.pdf> [accessed 23 July 2015].

Wajid, A., Mir, A. M. and Rashid, Z. (2010) *Assessing the Potential Acceptability of a New Cadre of Community Midwives for Pregnancy and Delivery Related Care in Rural Pakistan: Findings from a Qualitative Study,* Islamabad: Population Council, <http://paiman.jsi.com/Resources/Docs/paiman-cmw-report.pdf> [accessed 23 July 2015].

مراجع إضافية

Morgan, D. L. (1997) *Focus Groups As Qualitative Research,* 2nd edn, Thousand Oaks CA: SAGE Publications.

Oxfam (2013) *Shifting Sands: Changing Gender Roles Among Refugees in Lebanon,* Oxford: Oxfam, <www.oxfam.org/sites/www.oxfam.org/files/rr-shifting-sands-lebanon-syria-refugees-gender-030913-en.pdf> [accessed 23 July 2015].

تعقيب على الأنشطة

تعقيب على النشاط ٣-١ كتابة أسئلة البحث

يجب أن يتناول سؤال دراسة المقابلة أسئلة عن تجربة الشخص، أو معتقداته، أو وِجهات نظره، من أجل البحث فيها وتفصيلها بعمق. بينما يجب أن يتناول سؤال مجموعة التركيز الأعراف المحلية أو الآراء الجماعية، حول موضوع مثير للاهتمام حتى يتمكن المشاركون من إجراء محادثة طويلة حوله.

تعقيب على النشاط ٣-٢ تحسين أسئلة دليل الموضوع

١. يقع السؤال الأول في الخطأ التقليدي المتمثل في طرح سؤال البحث على المشاركين بدلاً من سؤال مُبَسَّط باستخدام مفردات محلية. لا يستخدم الأشخاص العاديون عبارة "حماية الأطفال". وإنما ينبغي تحويل هذا السؤال إلى صيغة أكثر شبهًا بما يُستخدم يوميًا.
   - البديل: هل تشعر بأي شواغل بشأن سلامة الأطفال في مجتمعك؟

٢. تصعب الإجابة عن السؤال الثاني في مجموعة التركيز. إذا كان شيئًا ذي أهمية أخلاقية، فقد يشعر الأشخاص بأنه يتم وضعهم "في دائرة الضوء" وأن ممارساتهم التأديبية قد تتعرض للرفض. غالبًا ما تتناول مجموعات التركيز الممارسات المجتمعية بشكل عام، بدلاً من مطالبة المشاركين بالكشف عن التفاصيل الدقيقة لحياتهم. وأخيرًا، فهو لا يعدو أن يكون مجرد سؤال. قد يسأل المشارك نفسه: ماذا يعني التأديب؟ وما سياق السؤال؟
   - البديل: لنتخيل أن طفلاً ارتكب خطأً فادحًا، مثل السرقة. في العادة، كيف يمكن أن يؤدبه أباه؟ ماذا عن صاحب المتجر؟ ضابط الشرطة؟

٣. من المحتمل أن السؤال الثالث يُطرح على المشاركين الخطأ. قد نتوقع أن يتمكن المدرسون الأوائل أو مديرو المدارس من تقديم إجابة واضحة وواقعية. بالنسبة إلى الآباء، سنطرح أسئلة أعم عن الاتجاهات والآراء.
   - البديل: ما مدى أهمية التعليم لمعظم الأشخاص في هذا المجتمع؟ هل يحرص الآباء على تسجيل أطفالهم في التعليم بدوام كامل؟ حتى أي سن، في العادة؟ استقصاء: للفتيان؟ للفتيات؟

٤. يستهدف السؤال الرابع مرة أخرى الأشخاص الخطأ. هل نتوقع من المشاركين في مجموعة التركيز التمكن من تقديم إجابة ذات مغزى؟ يشير السؤال إلى أن الباحث لا يفهم السياق حقًا.
   - البديل: أعرب بعض الأشخاص عن شواغل بشأن الأطفال الذين يعملون خلال ساعات النهار بدلاً من الذهاب إلى المدرسة. هل لديك أي قلق إزاء سلامة الأطفال الذين يعملون بائعين؟ ماذا عن الأطفال الذين يعملون في الزراعة؟ أو في أماكن أخرى؟

تعقيب على النشاط ٣-٣ خلق ديناميكية جيدة لإجراء المقابلات

- أثار عامل النقل هذا اثنين من الشواغل الشائعة:

١. المشارك ليس خبيرًا ولا يمتلك سلطة معينة أو معرفة خاصة لمشاركتها. في مرحلة التعيين ومرة أخرى في بداية المقابلة، غالبًا ما نعمل على طمأنة الأشخاص بأننا مهتمون بالتعلّم من تجاربهم، أو أنه لا توجد إجابات صحيحة أو خاطئة.

٢. البحث غير ضروري. ويعد جزءًا من المسؤولية الأخلاقية المنوطة بالباحثين التأكد من أن عملهم يعتمد بشكل كبير على النوايا الحسنة والإسهامات التي يقدمها المشاركون. في الحالة أعلاه، ربما جادل الباحثون بأننا إذا لم نوثق تجربة الأشخاص مع ارتفاع الأسعار، فسيستمر مَن هم في موقع السلطة في تجاهل المشكلة. ويمكن أن تؤثر الإفادات القوية في الجمهور وأصحاب النفوذ. وقد يتمكن الباحثون من طمأنة المشاركين بالجهود التي سيبذلونها لنشر استنتاجاتهم حتى يؤثروا في السياسات.

الفصل الرابع

المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ

الخلاصة

يهدف هذا الفصل إلى تزويد القراء بفهم كامل لدور المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في أبحاث التنمية، ومعرفة المصطلحات الرئيسية واعتبارات التصميم، والمهارات اللازمة لإجراء بحث عن طريق المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ. ويبدأ بتعريف المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ، ثم تحديد الأسباب المنطقية التي تؤدي إلى استخدام المُلاحَظة بالمُشارَكَةِ في مراحل مختلفة خلال دورة البرنامج، موضحة بأمثلة رئيسية. وتتناول الأقسام الرئيسية من الفصل كل واحد من القرارات العملية التي يجب اتخاذها وتوثيقها عند تصميم دراسة المُلاحَظة بالمُشارَكةِ، بدءًا من تبرير اختيار طريقة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ، مرورًا بوصف الغرض منها والتنفيذ ووصولاً إلى اختيار الحالات ثم أخذ العينات وكتابة الملاحظات الميدانية. ويقدّم الفصل نموذجًا لكتابة الملاحظات الميدانية ويشرحه.

الكلمات المفتاحية: بحث نوعي، المُلاحَظة بالمُشارَكةِ، ملاحظات ميدانية، الإثنوغرافيا (وصف الأعراق البشرية)

أهداف التعلُّم

بعد قراءة هذا الفصل، ستصبح قادرًا على:

- توضيح الوقت المناسب لاستخدام طريقة المُلاحَظة بالمُشارَكةِ وسبب ذلك
- التخطيط لدراسة المُلاحَظة بالمُشارَكةِ
- كتابة الملاحظات الميدانية
- استخدام المُلاحَظة بالمُشارَكةِ للمساهمة في المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم (MEAL)

المصطلحات الرئيسية (التعريفات)

- *المُلاحَظَة بالمُشارَكةِ:* إحدى طرائق جمع البيانات؛ حيث يتعرّف الباحث على الحياة اليومية والسياق الأوسع نطاقًا للمجتمع المحلي من خلال قضاء الوقت في رصد الحياة في المجتمع والمشاركة فيها.
- *الإثنوغرافيا (وصف الأعراق البشرية):* نوع من الدراسة يقدم صورة كاملة عن أحد المجتمعات وثقافته وسياقه وممارساته. ويمكن استخدام العديد من الطرائق، غالبًا ما تشمل المُلاحَظة بالمُشارَكةِ.
- *فحص الواقع:* تطوير محدد لمنهجية المُلاحَظة بالمُشارَكةِ لأغراض تتعلق بالتقييم؛ حيث يُقِيمُ الباحثون مع الأسر لفهم أثر البرنامج في حياتهم اليومية.
- *الملاحظات الميدانية:* تسمى أيضًا "المذكرات الميدانية" وهي سجل بيانات المُلاحَظة بالمُشارَكةِ، التي يكتبها الباحث عادةً يوميًا.
- *الانعكاسية:* إدراك نقدي لكيفية تأثير الموقف المعين الذي اتخذه المراقب المشارك وتوقعاته ودوره في العمل الميداني، والمشاركين في البحث، والبيانات.

مقدمة

تعد طريقة "المُلاحَظة بالمُشارَكَةِ" أساسية قطعًا لتخصصات علم الاجتماع والأنثروبولوجيا. وفي إطار جهودهم لفهم كيفية عمل المجموعات الاجتماعية، انتقل علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا للعيش في المجتمعات التي يدرسونها لاكتساب فهم عميق لكيفية عمل هذه المجتمعات. وقضوا وقتهم في المشاركة في أنشطة الحياة اليومية، يرصدون ممارسات الناس وتفاعلاتهم ويدردشون مع السكان المحليين ويكتشفون التسلسلات الهرمية المحلية وديناميكيات السلطة ويسجلون كل ذلك في دفاتر العمل الميداني اليومية. وبعد ذلك، يعودون في العادة من "الموقع الميداني" إلى مكاتبهم، لإمعان النظر في بيانات الملاحظات الميدانية وتحليلها. وفي النهاية، يخرجون بتفسير للحياة في ذلك المجتمع والذي يرتكز بجدارة على الخبرة العملية الملموسة.

في الآونة الأخيرة، اكتسبت "المُلاحَظة بالمُشارَكةِ" كطريقة والإثنوغرافيا (بما في ذلك "الإثنوغرافيا السريعة") كمقاربة بحثية أعم اهتمامًا متزايدًا في مجموعة متنوعة من المجالات التطبيقية. وبالنظر إلى الصلة بين الأنثروبولوجيا والتنمية، فليس من الغريب أن تجد المُلاحَظة بالمُشارَكةِ دورًا مهمًا في أبحاث التنمية التطبيقية. وتزايد استخدام جميع مجالات أبحاث الخدمات الصحية والإدارة والتعليم للمُلاحَظة بالمُشارَكةِ. إلى جانب المقابلات، تمثل المُلاحَظة بالمُشارَكةِ واحدة من الطرائق الأساسية لإجراء أبحاث التنمية النوعية.

تسمح أبحاث المُلاحَظة بالمُشارَكةِ للباحث بالتحري عن ممارسات الأشخاص، أو بعبارة أخرى، *أفعالهم*. مثلما رأينا في الفصل الثالث، تمثل المقابلات ومجموعات التركيز وسائل فعالة لدراسة مفاهيم الأشخاص ومعتقداتهم حول مواضيع محددة، أي *أقوالهم*. غير أن المقابلات ومجموعات التركيز أقل جودة في دراسة الممارسات الفعلية، حيث إن أقوال الأشخاص ليست مثل أفعالهم دائمًا. في واقع الأمر، يراقب الباحثون خلال المُلاحَظة بالمُشارَكةِ السلوك في سياقه الطبيعي. علاوة على أنهم يشاركون في ذلك السلوك، قدر الإمكان، لاكتساب وجهة نظر شخص مطّلع. ويمكن استخدام طرائق المُلاحَظة بالمُشارَكةِ لفهم كيفية حدوث مسألة معينة متعلقة بالتنمية (مثل، حماية الأطفال، أو استخدام المياه، أو الأساليب التعليمية) في سياق الحياة الواقعية. ويمكن استخدام مثل هذه الطرائق أيضًا لفهم كيفية عمل التدخل الإنمائيّ (على سبيل المثال، كيفية وصول المستفيدين إلى الخدمات، أو الثقافة التنظيمية في منظمة غير حكومية).

تجدر الإشارة إلى أن معظم العاملين في مجال التنمية على دراية بفكرة الزيارات الميدانية. وفيما يخص العاملين الذين يقضون معظم وقتهم في المكتب، غالبًا ما يتمخض عن زيارة مكان تنفيذ برنامج التنمية استخلاص كمٍ هائلٍ من المعلومات. تمنح الزيارات الميدانية الباحث صورة حية وواضحة عن المجتمع أو برنامج التنمية. وغالبًا ما تظهر مفاجآت خلال مثل هذه الزيارة، على سبيل المثال، قد نكتشف أن الممارسة الفعلية ليست على قدر المتوقع أو المقصود. تستند المُلاحَظة بالمُشارَكةِ، باعتبارها طريقة بحثية، إلى نفس السبب المنطقي. ببساطة، إنها طريقة منهجية أكثر لرصد تجربة التواجد في الموقع الميداني وتوثيقها وتحليلها.

في هذا الفصل، سنهيئ الوضع أولاً لاستخدام طرائق المُلاحَظة بالمُشارَكةِ، ثم نقدّم إرشادات حول التطبيقات العملية لتنفيذ دراسة المُلاحَظة بالمُشارَكةِ.

المربع ٤-١ مثال على بيانات المُلاحَظة بالمُشارَكةِ

هذا مقتطف من تقرير أعده كوستينلي وآخرون (Kostelny et al. (2013: 41). مأخوذ من قسم ترد فيه بيانات المُلاحَظة بالمُشارَكةِ حول موضوع الوضع الاجتماعي والاقتصادي (SES) في الأحياء الحضرية الفقيرة في مومباسا.

المُلاحَظات بالمُشارَكةِ المتعلقة بالوضع الاجتماعي والاقتصادي

مثال على أسرة معيشية ذات وضع اجتماعي واقتصادي مرتفع في جيريا:
تمتلك الأم مطعم شباتي على الطريق وهي تحقق مبيعات جيدة. وقد لاحظت من مشاهدات عديدة أنها تستقبل الكثير من الزبائن خلال ساعات الصباح ووقت الغداء والمساء. وعند زيارة منزلها وجدت أنها تمتلك جهاز تلفزيون وراديو استيريو وطقم أريكة. وتبدو الأغراض في أنحاء المنزل مُرتبة. وزوجها يعمل في وظيفة بدوام كامل.

مثال على أسرة معيشية ذات وضع اجتماعي واقتصادي مرتفع في مسكيتيني:
يمتلك الرجل منزله المكوّن من غرفتين وقد شيّد اثنين آخرين يؤجرهما. يعمل فنيًا بدوام كامل في شركة الكهرباء، حتى أنه قام بتركيب لوح شمسي في منزله. هذا أول منزل أرى فيه جهاز تلفزيون ومصابيح كهربائية.

مثال على أسرة معيشية ذات وضع اجتماعي واقتصادي منخفض في جيريا:
كان منزل السيدة مستأجرًا ويوجد به مرتبة فقط على الأرض تنام عليها. وعلى الجانب، هناك مكان الطهي في نفس الغرفة، حيث يوجد موقد كيروسين مع قِدرين وتبدو أدوات الطهي متسخة جرّاء تراكم السخام عليها. كان الأطفال هناك نصف عُراة؛ حيث يرتدون القمصان العلوية المتسخة فقط دون سراويل...وكان هناك أيضًا حوض متسخ فيه ملابس متسخة وتوقفت الأم في لحظة ما خلال المقابلة لتنظف الطفل الذي ذهب لقضاء حاجته (التبرز). وضعت الملابس المتسخة جانبًا على الأرض وسكبت القليل من الماء وغسلت الطفل بدون صابون. عند اقتراب موعد الغداء، طلب الأطفال بعض الطعام وأجابت الأم بأن الطعام المتاح للعشاء فقط، لذا من الأفضل لهم الصبر إلى المساء حتى يأكلوا وينام.

مثال على أسرة معيشية ذات وضع اجتماعي واقتصادي منخفض في مسكيتيني:
يعيش الرجل على مقربة من المكان الذي يوجد فيه المرحاض العام. هناك رائحة كريهة دائمة بسبب نسمات المحيط التي تستمر في الهبوب في ذلك الجانب. وهناك فتاتان، إحداهما تبدو في السابعة والأخرى في الحادية عشر وهما ليستا في المدرسة.

ماذا تعني المُلاحَظَة بالمُشارَكةِ؟

المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ هي طريقة للتعرّف على كيفية تصرف الأشخاص وتفاعلهم في بيئتهم الطبيعية اليومية. وتشمل الطريقة المشاركة في الحياة اليومية ومراقبة أفعال الآخرين في حياتهم اليومية. ويضطلع الباحث بدور المراقب المشارك. وهذا يعني وجوده في البيئة أو الموقع الميداني قيد الدراسة. وهذا يشمل أي شيء؛ من القيام بدور الزائر المراقب إلى الانخراط في المجتمع أو المؤسسة، أو المشاركة، مثلاً، في الأعمال المنزلية اليومية أو حضور المناسبات المجتمعية، أو المشاركة في اجتماعات المنظمات غير الحكومية، أو الاضطلاع بدور في إحدى المنظمات غير الحكومية. ولا يعد الحضور والمشاركة في هذه الأنشطة غاية في حد ذاته ولكن يتم بعقلية بحثية، من أجل تقديم بيانات ذات صلة بأسئلة البحث. يمكن استخدام المُلاحَظة بالمُشارَكةِ لتوفير معلومات تتيح فهمًا مستنيرًا لما هو مهم في هذا المجتمع؛ أعرافه وعاداته والعلاقات والتسلسلات الهرمية الاجتماعية والدعم المتاح والقوى المحركة للسلطة والعلاقات مع المؤسسات والسياق. عمومًا، يتمثل الغرض من المُلاحَظة بالمُشارَكةِ في توفير بيانات حول ما يحدث، كما يحدث، في بيئته الطبيعية وليس إصدار بيانات تعتمد على التقارير الشفهية للمشاركين في البحث حول ما حدث.

تُستخدم الملاحظة بطرائق مختلفة في الأبحاث النوعية والكميّة. وتستعين أبحاث الملاحظة الكميّة بشبكة مُنظّمة لتسجيل الملاحظات. في أبحاث الملاحظة الكميّة، يجري تحديد ما يلزم ملاحظته وكيف سيتم ترميزه بوضوح من البداية. يتخذ المراقب موقفًا موضوعيًا ويسجل الملاحظات على شكل علامات في مربعات أو أرقام في جدول. ولن يتم تناول الملاحظات المُنظَّمَة من هذا النوع في هذا الكتاب. وتختلف أبحاث الملاحظة النوعية اختلافًا كبيرًا؛ إذ تتسم أسئلة البحث بأنها مفتوحة أكثر. لا يتخذ المراقب موقفًا موضوعيًا ولكنه يطمح إلى المشاركة في البيئة الفعلية والتعرّف على أعراف أفراد المجتمع وأولوياتهم وشواغلهم ومعتقداتهم ومشاعرهم. ويستغل ما يتمتع به من خبرة لفهم الحياة في المجتمع. ويتم تسجيل البيانات في مذكرات ميدانية، باستخدام الكتابة وربما الرسم أو الصور، بأسلوب مفتوح وغير محدد.

لماذا تُستخدم المُلاحَظَة بالمُشارَكةِ؟

يبدأ هذا القسم بتقديم السببين المنطقيين الأكثر شيوعًا لاستخدام المُلاحَظة بالمُشارَكةِ: الوصول إلى ما يفعله الأشخاص (وليس ما يقولونه فحسب) واكتشاف وجهات النظر غير المعلنة وغير الرسمية. ومن ثمّ، ينتقل إلى تحديد الإسهامات التي يمكن أن تقدمها المُلاحَظة بالمُشارَكةِ لتوفير بيانات مهمة في مراحل مختلفة من دورة البرنامج.

الوصول إلى ما يفعله الأشخاص (وليس ما يقولونه فحسب)

يعد الوصول المباشر إلى السلوك في سياقه الطبيعي موطن القوة الأثمن في أبحاث المُلاحَظة بالمُشارَكةِ. وهناك العديد من الأسباب التي قد تجعل الأشخاص في وضع لا يمكّنهم من الإفصاح بدقة عن سلوكهم أو سياقهم في المقابلة. قد لا يكونون على دراية ببعض جوانب بيئتهم، على سبيل المثال، إذا كانت هناك حاجة إلى الخبرة الفنية لتقدير مزايا مواد بناء معينة، أو سيناريو الاستخدام المثالي لمركز رعاية صحية أولية. إذا كان الموضوع بالغ الحساسية، أخلاقيًا أو سياسيًا، فقد لا يكون الأشخاص على استعداد لطرح آراء غير عصرية، أو موصومة، أو معارضة للمفاهيم السائدة أمام محاور غير معروف. أو ربما يتعاملون مع بعض الأمور على أنها من المسلمات، مثل الطريقة "المناسبة" لتأديب الأطفال، أو لتخزين المياه، أو للتواصل مع المحاورين من الخارج، بحيث لا يعتبرون أن بعض الأمور تستحق الإبلاغ عنها. ولكل هذه الأسباب، يمكن أن تكون المقابلات وسيلة محدودة لفهم ما يفعله الأشخاص، مقابل ما يقولونه.

في الوضع المثالي، تتيح المُلاحَظة بالمُشارَكةِ للباحث قضاء الوقت مع أفراد المجتمع في المشاركة في أنشطة الحياة اليومية ومن ثمّ، الاطلاع على ما يفعلونه خلال ممارستهم لأنشطتهم الاعتيادية. وبناءً عليه، يتجلّى الموضوع محل الاهتمام، مثل استخدام الرعاية الصحية الأولية، أو الممارسات التغذوية، أو تأديب الأطفال، في سياق ممارسة تلك الأنشطة اليومية. ومن خلال انخراط الباحث في الحياة اليومية للمجتمع المحلي، تصبح الفرصة سانحة له لملاحظة ما يجري على أرض الواقع وَفَهْمِ المواضيع محل الاهتمام داخل سياقها الطبيعي والمعتاد.

عندما نقارن بين ما يفعله الأشخاص وما يقولونه، فليس مقصدنا الإشارة إلى أن ما "يفعلونه" أصدق مما "يقولونه". يتم إثراء بيانات المُلاحَظة بالمُشارَكةِ من خلال التحدث مع الناس وأيضًا مراقبتهم. لفهم معنى ما يفعله الأشخاص ولماذا يفعلونه، نحتاج إلى الدخول في نقاش معهم. وبالفعل، غالبًا ما يكون من المفيد القيام بدراسة تنبني على استعمال طرائق مختلفة، تجمع بين المُلاحَظَةِ بالمُشارَكةِ وإجراء مقابلات.

اكتشاف وجهات النظر غير المعلنة وغير الرسمية

تُستخدم المُلاحَظة بالمُشارَكةِ في الغالب كوسيلة للاستفادة من الطرائق غير الرسمية وغير النظامية التي تسير بها الأمور في مجتمع معين. ومن خلال مشاركة الأشخاص في حياتهم اليومية والتحدث معهم خارج البيئات الرسمية، أو في الواقع خارج بيئة المقابلة الرسمية نسبيًا، يتعرّف الباحثون على كيف يوجّه الأشخاص النقد إلى الطريقة التي تُنجز بها الأمور رسميًا، أو ربما يلاحظون فقط كيف تخرج الأمور عن المسارات التي من "المفترض" أن تكون عليها. على سبيل المثال، في تقرير *فحص الواقع (Reality Check)* للوكالة السويدية للتعاون الإنمائي الدولي (Sida) (٢٠١٢) (الذي نتطرق إليه بمزيد من التفصيل أدناه)، من الملحوظ أن الجزء الأكبر من استنتاجات التقرير تسرد بالتفصيل الطرائق التي لا تلبي من خلالها خدمات الصحة الرسمية احتياجات المجتمعات المحلية، أو الطرائق التي تسفر بموجبها سياسة التعليم عن عواقب غير مقصودة. ومن الجلي أن الباحثين حظوا بثقة كافية من أفراد المجتمع أهلتهم للتعبير عن عدم رضاهم وإحساسهم بعدم التمكين فيما يتعلق بعمليات السياسة الرسمية.

إسهامات المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في المراحل الرئيسية من دورة البرنامج

يتم استخدام المُلاحَظة بالمُشارَكةِ في العادة لفهم الممارسات القائمة. وهذا ما يجعل المُلاحَظة بالمُشارَكةِ مفيدة في أثناء التخطيط للتدخل، لاكتساب فهم أفضل للوضع الراهن في المجتمع. وإذا تم استخدام المُلاحَظة بالمُشارَكةِ بطريقة طولية، فيمكن أن تساعد الباحثين على فهم التغييرات في الممارسات. وعندما تلتمس التدخلات تغيير السلوك أو الممارسة اليومية، تفيد المُلاحَظة بالمُشارَكةِ في السماح للباحث برصد تلك الممارسات في بيئتها الطبيعية؛ لاكتشاف ما إذا كانت قد تغيرت وإلى أي مدى.

تحليل السياق المحلي: تعد المُلاحَظة بالمُشارَكةِ طريقة مثالية لدراسة الوضع الراهن في أحد المجتمعات. ويمكن أن تقدم إسهامًا مفيدًا عند إجراء تقدير الاحتياجات أو التقدير الريفي. ويمكن استخدام مثل هذه الأبحاث لتوجيه عملية وضع برنامج تدخل مناسب أو لتوجيه سياسة ذات صلة. وقد تُمَكِّنُ هذه المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ من الحصول على معلومات عن الموارد والتحديات الحالية، بالإضافة إلى معلومات عن السياق والعوامل التي قد تدعم نجاح تنفيذ البرنامج أو تقوّضه.

أجرى كوستيلني (Kostelny) وزملاؤه (٢٠١٣) دراسة "إثنوغرافية سريعة" لدراسة آليات حماية الأطفال المستندة إلى المجتمع في اثنين من الأحياء الحضرية الفقيرة في مومباسا، بهدف تعزيز نظام حماية الأطفال الوطني في كينيا. وباستخدام مجموعة من الطرائق النوعية، كان هدفهم الخروج بمعرفة مُثْبَتَة عن كيفية استجابة الأشخاص فعليًا لمخاطر حماية الأطفال في المجتمع. وقد قضى الباحثون أربعة أسابيع في كل حي فقير وكرسوا معظم الأسبوع الأول للمُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ ولمناقشات مجموعة التركيز.

انطلق الباحثون لإجراء ملاحظاتهم في المدارس والأسواق والمنازل والشوارع وسجّلوها يوميًا في صورة ملاحظات ميدانية. بمجرد قضاء الوقت في المجتمع، تمكّن الباحثون من أن يلاحظوا مباشرةً أن بعض الأطفال متسربين من المدرسة خلال ساعات الدراسة وأن الأطفال يتعرَّضون بكثرة للعقاب بالضرب المُبرح على أيدي الآباء وكبار السن والمعلمين والشرطة. وتأكدت ملاحظة تسرب الأطفال من المدرسة خلال إجراء المناقشات الجماعية، حيث صنّف البالغون هذه المشكلة باعتبارها أحد الأخطار الجسيمة التي يتعرض لها الأطفال. ومع ذلك، لم تعتبر المناقشات الجماعية أن مشكلة الضرب المبرح ذات أولوية، وهو ما يتعارض مع ملاحظات الباحثين بأن مثل هذا الضرب شائع وأشارت إلى أن ضرب الأطفال ربما يكون مقبولاً على نطاق واسع كأحد أعراف المجتمع وليس باعتباره مشكلة متعلقة بحماية الأطفال.

نتيجة جمع البيانات، أصدر الباحثون مجموعة من التوصيات الموجّهة لسياسة الحكومة الكينية وللمنظمات غير الحكومية وللممارسين. على سبيل المثال، فيما يتعلق بالعقاب البدني القاسي الذي لوحظ، أوصى التقرير بوضع مسألة الحدّ من استخدام العقاب البدني في كل من المدرسة والأسرة على رأس أولويات الحكومة والممارسين وبأنه يتعين على الممارسين تدريب الآباء على أساليب التأديب الإيجابية وبأنه يلزم بذل جهود لإشراك البالغين والأطفال في المناقشات حول حقوق الأطفال والمسؤوليات تجاههم.

تقييم البنية التحتية واستخداماتها: كما يعلم أي عامل في مجال التنمية قام بزيارة ميدانية، فإن مجرد رصد التنفيذ العملي لمشروع ما من خلال إلقاء نظرة عامة عليه يمثل عنصرًا أساسيًا في الجهود المبذولة لفهم آثار برنامج التنمية. يقدّم التجوّل في أنحاء المجتمع ورصد السمات الملموسة والمرئية لبرامج التنمية منظورًا خارجيًا عن النتائج العملية للبرنامج ويمنح الباحث صورة حقيقية عن البيئة أكثر مما يمكنه التوصل إليها عن طريق إجراء مقابلة. ثمة عدد كبير من المواضيع التي تَصلُحُ دراستها من خلال زيارات ملاحظة موجزة إلى الموقع الميداني، ومن بينها تشييد المباني واستخداماتها وموقع دورات المياه أو مضخات المياه وكيف تُستخدم ومتى وتنقلات الأطفال إلى المدرسة واستخدام مواقد الطهي.

أجرى كل من مورجان وناز وساندرسون (Morgan, Naz and Sanderson, 2013) تقييمًا لجهود الإغاثة التي تبذلها منظمة المعونة المسيحية (Christian Aid) في أعقاب الفيضانات الشديدة التي اجتاحت باكستان في عام ٢٠١٠. وقد كان بحثهم نوعيًا في المقام الأول؛ حيث استخدموا المقابلات ومجموعات التركيز والاجتماعات مع مخبرين رئيسيين واستكملوها بملاحظات مباشرة في الموقع الميداني (انظر المناقشة أدناه عن استخدام المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ كطريقة تكميلية). أجرى المؤلفون زيارات ميدانية إلى مشروع واحد على الأقل يقوم على إدارته كل واحد من الشركاء. خلال هذه الزيارات الميدانية، قاموا بـ "جولات" لاحظوا خلالها كيف تم تشييد المنازل ودورات المياه وما إذا كانت تُستخدم بالشكل الصحيح وتخضع للصيانة.

سمحت الجولات للباحثين بملاحظة تفاصيل ملموسة بخصوص البنية التحتية بدلاً من الاعتماد فقط على التقارير الشفهية من المشاركين في البحث. وكان لهذه التفاصيل فضل كبير في التوصُّل إلى الاستنتاجات. على سبيل المثال، في إحدى القرى، تلقى الباحثون تعقيبًا إيجابيًا للغاية من مناقشات مجموعة التركيز مع المستفيدين حول الأنشطة المموّلة من المنظمات غير الحكومية فيما يتعلق بالمضخات اليدوية ودورات المياه وقد تأكدت هذه التعقيبات الإيجابية من خلال ملاحظاتهم. ومع ذلك، لاحظوا خلال جولاتهم أيضًا أن قنوات الصرف التي حفرتها منظمة غير حكومية أخرى أصبحت مسدودة وتنبعث منها رائحة كريهة وباتت أرضًا خصبة لتكاثر البعوض. لم يكونوا ليعلموا بهذه المشكلة إذا ما اكتفوا بتقارير المستفيدين فقط. بناءً على هذه الملاحظة، خمّن الباحثون أنه ربما تكون هناك مشكلة تتعلق بضمان ملكية المجتمع لجميع البنى التحتية وليس فقط تلك الخاصة بمشاريع شعبية معينة. ومن ثمّ، في هذه الحالة، كانت الملاحظات في حد ذاتها مفيدة بشكل مباشر في تسليط الضوء على مشكلة سلامة المياه. ولكنها دلت أيضًا على احتمال وجود صعوبات اجتماعية أوسع نطاقًا وأكثر تعقيدًا. ويلزم إجراء مزيد من الأبحاث للتحقيق بشكل أعمق في الشعور بملكية المجتمع للبنى التحتية.

في حالات أخرى، راقب الباحثون تشييد المنازل ولاحظوا أنه تم بناؤها وصيانتها بشكل جيد وأنها تسمح بالتهوية الجيدة. ولاحظوا أيضًا أن الشبكة التي تغطي فتحات التهوية (لمنع البعوض من الدخول) قد أصبحت مسدودة؛ ما يمنع خروج الدخان. ومن ثمّ، أوصوا بإزالة فتحات التهوية والتفكير في خلع أبواب المطابخ للسماح بتهوية أفضل.

في هذه الدراسة، تم الاكتفاء بتوظيف "المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ" بأبسط طريقة ممكنة، حيث تعتمد على "الملاحظة" أكثر بكثير من "المشاركة" (لذا، فهي مثال على "ملاحظة بدون مُشارَكَةٍ"، كما هو موضح أدناه). وقد أبدى الباحثون اهتمامهم بالبنية التحتية المادية وحالتها واستخدامها وأضفت بيانات الملاحظة التي تم رصدها بخصوص هذه المواضيع قيمة على الدراسة، ولا سيما حيثما حدّد الباحثون المسائل التي لم تكن تشغل بال المستفيدين ولكنها تمثل مشكلة من وجهة نظر فنية. ويمكن لهذا النوع من بيانات الملاحظة "المتواضعة" أن تقدّم لمحة عن الديناميكيات الإنسانية والاجتماعية الأكثر تعقيدًا المحيطة بالمشروع، ولكن لا يمكنها الكشف عنها بعمق. ومن المرجح أن تستدعي مواضيع، مثل ما إذا جرت مشاورات كافية مع المجتمعات وما إذا تمت إدارة المشاريع بشكل جيد وما إذا نجحت في تحقيق أولويات المجتمع وما الدروس المستفادة للمشاريع المستقبلية مشاركة أكثر تعمقًا. وفيما يتعلق بجميع هذه الأنواع من المشكلات، من الضروري التحدث إلى الأشخاص، إما من خلال ملاحظات أكثر تفاعلاً، حيث تُدرج محادثاتك مع أعضاء المجتمع في ملاحظاتك الميدانية، أو من خلال تضمين المقابلات أو مجموعات التركيز أو الطرائق التشاركية في دراستك.

تقييم الأثر الإنساني والاجتماعي للبرامج: بينما يمكن ملاحظة البنية التحتية واستخداماتها الفعلية بسهولة نسبيًا، فإن الأثر الإنساني والاجتماعي الأكثر تعقيدًا لبرامج التنمية يتطلب شكلاً أكثر دقة وتشاركية من المشاركة. وتتطلب مواضيع، مثل التغييرات في أساليب التدريس، أو أسباب انقطاع الأطفال عن الدراسة، أو كيفية إدارة الأسرة لشؤون التغذية والنظام الغذائي، أو خيارات الخدمات الصحية من الباحث قضاء بعض الوقت في المجتمع. يحتاج إلى قضاء بعض الوقت مع الأسر في منازلهم والحضور خلال تقديم الخدمات بدلاً من مجرد مراقبة استخدامها والتحدث إلى مقدمي الخدمات وأفراد المجتمع والتوصّل إلى فهم كيفية استخدام السكان المحليين لموارد التنمية بالطريقة التي يستخدمونها بها وأسباب ذلك. ومع زيادة تعقيد البرنامج الذي يخضع للتقييم، يجب أن ينعكس ذلك أيضًا على مشاركة الباحث مع المجتمع والبرنامج، من أجل فهمهما بشكل كامل.

"مقاربة فحص الواقع" هي منهجية للمُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ تم تطويرها بغرض تقييم البرنامج. وقد بادرت الوكالة السويدية للتعاون الإنمائي الدولي (Sida) باعتمادها في بنغلاديش عام ٢٠٠٧، بهدف إبراز الظروف الواقعية لتجربة الفقراء مع برامج التنمية، بدلاً من تقييم البرامج فحسب بالرجوع إلى مؤشرات المتابعة والتقييم المولدة خارجيًا (Sida, 2012). وتهدف هذه المقاربة إلى الاستماع إلى آراء الفقراء ووضعهم على جدول أعمال صانعي السياسات.

يتمثل النشاط الأساسي لمنهجية فحص الواقع في إقامة أعضاء فريق البحث مع الأسر ومشاركتهم أنشطتهم اليومية والدخول في محادثات معهم. ويكمن الهدف من وضع الباحثين في منازل الأسر في إتاحة الفرصة لهم لاكتساب خبرة ميدانية عن الحياة اليومية لهذه الأسر وتجاربها مع التدخلات الإنمائيّة. ويكتسب الباحثون فهمًا واقعيًا لما يعنيه العيش في هذه الظروف وهو ما يساعد على وضع التدخلات في سياقها الحقيقي.

كانت دراسة فحص الواقع الرائدة عبارة عن دراسة طولية مدتها خمس سنوات لتجارب الأشخاص مع خدمات الرعاية الصحية والتعليم الأساسي في بنغلاديش (Sida, 2012). ولإنجاز هذه الدراسة عمد الباحثون إلى إجراء زيارة سنوية، طيلة خمس سنوات، لنفس الأسر تستمر لمدة أربع ليالٍ وخمسة أيام على الأقل. ومكث كل باحث مع ثلاث أسر في مجتمع واحد. وفي المجمل، شاركت ٢٧ أسرة على مستوى تسعة مجتمعات مختلفة. وعلى نقيض دراسة تقييم الأثر، التي قد تدرس التغييرات في حصائل صحية وتعليمية محددة، أصدرت الدراسة تقارير عن كيفية تفاعل أفراد المجتمع مع التغييرات في سياسة الصحة والتعليم وكشفت عن عواقب مهمة غير مقصودة في طرائق تنفيذ السياسات على أرض الواقع. ومن ثمّ، عبّرت الدراسة عن شواغل المجتمعات المحلية المتعلقة بالسياسات، في سياق أفاد فيه أفراد المجتمع أيضًا بالخوف من تقديم الشكاوى، وذلك مخافة تعرضهم للاستهداف أو اللوم أو الاستبعاد. ونظرًا لأنه تمت كتابة الدراسة بعناية شديدة لضمان عدم الكشف عن الهوية ولأن الباحثين نجحوا في اكتساب ثقة المجتمعات، فقد تمكن البحث من الكشف عن شكاوى بشأن السياسات والتي لم يتم الكشف عنها بطرائق أخرى.

تصميم دراسة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ

يلخص هذا القسم المسائل الرئيسية التي يجب مراعاتها عند تصميم دراسة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ. علاوة على أنها المسائل التي يجب صياغتها كجزء من قسم الطرائق في التقرير. ويصف المربع ٤-٢ المواضيع المهمة التي يجب تغطيتها عند الكتابة عن الطرائق التي ستستخدمها. بعد ذلك، تستفيض الأقسام اللاحقة في تناول كل واحد من هذه المواضيع تباعًا.

المربع ٤-٢ المواضيع التي يتعين تناولها في قسم الطرائق

١. *السبب المنطقي:* برّر اختيار المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ كطريقة لإجراء الدراسة.
٢. *تصميم الدراسة:* اشرح تصميم الدراسة وكيف تسهم "المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ" فيه.
٣. *دور المراقب المشارك:* اذكر دور الباحث ومستوى مشاركته بالتفصيل.
٤. *اختيار الحالة:* برّر اختيارك للحالات التي ستدرسها.
٥. *أخذ العينات من الحالة:* اشرح كيف أخذت عينات من الأوقات والأماكن والأشخاص، أو أي من ذلك، لتُخضعها للملاحظة في إطار الحالة.
٦. *جمع البيانات:* اشرح عملية الدخول إلى الموقع الميداني وأنواع الأنشطة التي شاركت فيها وعلاقاتك مع أفراد المجتمع وصِف كيف كتبت ملاحظاتك الميدانية.
٧. *الانعكاسية:* قدّم تفسيرًا نقديًا لمدى احتمال تأثير دورك في البيانات والتفسير.

تبرير اختيار المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ

تتمثل مهمة التصميم الأولى في اختيار الطريقة الأنسب لوضع أسئلة البحث، بالنظر إلى الفرص والمهارات والموارد المتاحة. وإذا اخترت استخدام طريقة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ، فاشرح السبب المنطقي لاختيارك. ولهذا، يمكنك الرجوع إلى أي من الأسباب المنطقية في القسم "لماذا تُستخدم المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ؟" أعلاه. ما الغرض الذي تحققه المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في دراستك؟ ما نوع البيانات التي تأمل في الحصول عليها باستخدام طريقة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ والتي لن تحصل عليها بطرائق أخرى؟

دور المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ واستخداماتها المتنوعة في تصميم الدراسة

جرت العادة في مجال الأنثروبولوجيا أن يقضي الباحثون من عام إلى عامين في العمل الميداني، حتى يتمكنوا من اكتساب فهم عميق للعادات والأعراف والثقافات المحلية وأشكال التنظيم الاجتماعي. والوقت المتاح للباحثين في مجال التنمية أقل بكثير وإذا أرادوا استخدام طرائق المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ استخدامًا مثمرًا، فيجب عليهم مواءمة هذه الطرائق وفقًا لاحتياجاتهم. ونرى أنه لا تزال هناك قيمة كبيرة يمكن اكتسابها من استخدام المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ كطريقة، حتى إذا لم يكن لديك إلا بضعة أيام أو أسابيع لتخصيصها لها. في ظل محدودية الوقت المتاح، من المحتمل أن تصبح المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ جزءًا من دراسة مختلطة الطرائق.

صُمّمت المقابلات على أنها تفاعلات مركزة مع المشاركين في البحث، حيث تسعى إلى تلخيص تجاربهم في مدة ساعة واحدة تقريبًا. ومع توفر دليل موضوع جيد التصميم ومحاور ماهر ومشارك متجاوب في البحث، ستكون هذه الساعة كافية للحصول على بيانات ذات صلة مباشرة بموضوع الدراسة. ومع ذلك، تنطوي المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ على التفاعل المباشر مع أفراد المجتمع المحلي أثناء ممارستهم لحياتهم اليومية.ويمكن قضاء معظم هذا الوقت في أنشطة لا تبدو ذات صلة كبيرة بأسئلة البحث. ويتسم جمع البيانات بأنه أقل كثافة خلال المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ مقارنةً بالمقابلات. وهذا أحد أسباب استخدام المقابلات على نطاق أوسع من ملاحظة المشارك؛ فهي طريقة فعالة لجمع بيانات غنية بالمعلومات.

من واقع تجربتنا، إذا كان الباحث سيقضي أقل من شهرين في العمل الميداني، فمن الخطر استخدام المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ كطريقة البحث الوحيدة أو الأساسية لإجراء الدراسة. وكثيرًا ما يكون من الصعب تحقيق الوفرة والعمق الكافيين في وقت قصير، وهو الشيء الذي يعيق الوصول إلى خلاصات مثبتة وقوية.

بدلاً من ذلك، يمكن استخدام المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ على نحو مثمر كجزء من دراسة مختلطة الطرائق وغالبًا ما تلازم المقابلات وأحيانًا بالتزامن مع بحث عملي أو بيانات مسح. وغالبًا ما تجمع الدراسات الإثنوغرافية السريعة بين الطرائق المختلفة بهذا الشكل. ويمكننا التمييز بين استخدامين مختلفين للمُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في مثل هذه الدراسات مختلطة الطرائق: كطريقة بين طرائق أخرى متكافئة، أو تلعب دورًا ثانويًا، كطريقة إضافية داعمة. وباعتبارها مقاربة واحدة في دراسة مختلطة الطرائق، تُشكِّلُ المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ مصدرًا غنيًا بالبيانات والتي يتم دمجها مع مصادر أخرى لتكوين صورة كاملة. في حالة دراسة فحص الواقع لبرنامج التعليم الأساسي الأسترالي-الإندونيسي (٢٠١٠)، على سبيل المثال، جرى استخدام المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ بالتزامن مع دراسات المتابعة والتقييم الكميّة – هذا مثال على استخدام بيانات المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في دراسة مختلطة الطرائق. وفي تقييم أثر تمويل منظمة المعونة المسيحية (Christian Aid) في أعقاب الفيضانات التي اجتاحت باكستان، لعبت المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ دورًا ثانويًا، حيث أضافت سياقًا وملاحظات عملية إلى بيانات غنية بالفعل ناتجة عن المقابلات ومجموعات التركيز.

المربع ٤-٣ ثلاثة استخدامات مختلفة لبيانات المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في دراسة

طريقة أساسية: المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ هي مصدر البيانات الرئيسي ومن ثمّ، فإن معايير عمق البيانات ومدة الملاحظة عالية.

طريقة في دراسة مختلطة الطرائق: المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ هي إحدى مصادر البيانات وتتكافأ مع طرائق أخرى (غالبًا المقابلات). ويجب أن أن تكون البيانات جوهرية، ولكن يمكن سد الفجوات باستخدام طرائق أخرى.

طريقة ثانوية لتحديد السياق: لا تعد المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ مصدرًا جوهريًا للبيانات من أجل دراستك وإنما هي طريقة مختصرة، أو احتياطية، أو داعمة تُستخدم لتحديد سياق المقابلات أو بحث المسح، أو لتزويد الباحث بصورة واقعية عن الممارسات التي تحدث على أرض الواقع.

تجدر الإشارة إلى أن كل واحد من هذه الاستخدامات لبيانات المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ يُعتبَرُ استخدامًا صالحًا وقيّمًا. وحتى إذا كان الوقت المتاح للعمل الميداني قليلاً، فإن إضافة بعض الملاحظات عن برنامج التنمية قيد التنفيذ، استكمالاً لما يقوله الأشخاص عن ذلك البرنامج، من شأنها أن تُضفي على السياق طابعًا حيويًا أو تسفر، في الواقع، عن تناقض.

أدوار المراقب المشارك ودرجات المشاركة

ليس من الممكن دائمًا أن تشارك مشاركة كاملة في أحد المجتمعات أو المنظمات غير الحكومية، ولا سيما إذا كان الوقت المخصص للدراسة محدودًا. في ظل توافر إطار زمني طويل وإمكانية الاندماج في المجتمع المحلي كأي فرد من أفراده، يتسنى للباحث المشاركة الكاملة والتوصل إلى فهم ما يعنيه أن تكون فردًا مطلعًا (تقريبًا) في المجتمع. ومع ذلك، غالبًا ما تكون الجدوى العملية لبحث المُلاحَظَة بالمُشارَكَة مختلفة إلى حدٍ ما. يميّز الباحثون بين مختلف أنواع دور المراقب المشارك ومن ثمّ، فإن جزءًا مهمًا من تصميم بحث المُلاحَظَة بالمُشارَكَة هو توضيح نوع الدور المعتمد. ويحدّد المربع ٤-٤ ثلاثة أدوار مختلفة للمراقب المشارك التي تناسب أبحاث التنمية التطبيقية.

المُلاحَظَة بالمُشارَكَة: في الدراسات التي تقل مدتها عن بضعة أشهر، أو الدراسات مع مجموعات اجتماعية مختلفة عن المجموعة التي تنتمي إليها، غالبًا ما يكون من المستحيل قبولك كمشارك كامل. على سبيل المثال، اختصاصية التنمية، التي تتمتع بحياة مهنية ناجحة في وظيفة مكتبية وتتلقى خدمات رعاية صحية جيدة وتقيم في منزل مريح في المدينة، يمكن قبولها كصديقة وداعمة في بيئة ريفية محرومة، لدراسة صحة الأم. ولكن من غير المحتمل أن تشارك تلك الاختصاصية مشاركة كاملة في ممارسات صحة الأم في المجتمع ومن غير المحتمل أن تمكث في المجتمع طوال فترة حملها ومن غير المحتمل أن تستخدم نفس خدمات صحة الأم أو القابلات التقليديات مثل النساء الأخريات في المجتمع. ومع ذلك، فإن دراسة المُلاحَظَة بالمُشارَكَة ممكنة. يمكن أن تقضي الباحثة بعض الوقت مع النساء الحوامل والأمهات في منازلهن وتستمع إلى النصائح المقدمة لهن من الأصدقاء والأسرة ومقدمي الرعاية الصحية وتراقب كيف يعتنين بأنفسهن وأطفالهن. ويمكنها أيضًا مرافقة النساء في زياراتهن لتلقي خدمات صحة الأم. ويمكن أن تستقر في المركز الصحي أو العيادة الصحية لبعض الوقت لمراقبة طريقة تقديم خدمات صحة الأم. هذه جميعها فرص مشروعة لأبحاث المُلاحَظَة بالمُشارَكَة، مع أن الباحثة ليست مشاركة كاملة. طالما أن للباحث دورًا يؤديه في البيئة قيد البحث ويتفاعل مع الأشخاص خلال أنشطتهم اليومية المعتادة، فيمكن عندئذ أن يُطلق على عمله "المُلاحَظَة بالمُشارَكَة".

المربع ٤-٤ ثلاثة أدوار مختلفة للمراقب المشارك

المُلاحَظَة بالمُشارَكَة: مبدئيًا، لا شك أن المراقب دخيل على الموقع الميداني ولكنه يضطلع بدور مشارك نشط. ويحظى ببعض القبول من المجتمع ويلعب دورًا في حياة المجتمع ومن ثمّ، يكتسب منظور المشارك. ويستخدم وجهة نظره كدخيل على المجتمع مع وجهة نظره كشخص مطلع في المجتمع لتقديم ملاحظات مثيرة للاهتمام.

المُلاحَظَة بدون مُشارَكَة: يحضر الباحث الأنشطة والتفاعلات في الموقع الميداني ويراقبها ولكنه يؤدي دورًا محدودًا جدًا. يراقب الباحث الأنشطة وخلال ذلك، يحاول فهمها في سياقها الطبيعي. الباحث لا يكون أبدًا "غير مشارك" بشكل كامل؛ حيث يُحتمل أن يكون لوجوده بعض الأثر في الموقع الميداني.

مشاركة المراقب: الباحث مشارك بالفعل في الموقع الميداني (على سبيل المثال، شخص يُجري بحثًا عن مجتمعه المحلي أو موظف في منظمة غير حكومية يُجري بحثًا عن منظمته غير الحكومية). تأتي المشاركة بشكل طبيعي ولكن من الصعب الاكتفاء بدور المراقبة.

المُلاحَظَة بدون مُشارَكَة: يُستخدم هذا المصطلح أحيانًا للإشارة إلى أن الباحث قام بجمع بيانات ملاحظة نوعية ولكن كانت مشاركته في الموقع الميداني محدودة جدًا. وغالبًا ما يُستخدم لمراقبة ممارسات الرعاية الصحية، عندما يستقر الباحث في مستشفى أو عيادة، حيثما يكون من غير اللائق أن يؤدي الباحث دور نشط دون الحصول على تدريب سريري. في مثل هذه الحالات، يمكن أن يجلس الباحث في زاوية إحدى غرف أو وحدات الاستشارة ويُقدّم إلى المرضى على أنه باحث ولكنه لا يتحدث أو يتفاعل كثيرًا. ومع ذلك، حتى عندما نستخدم مصطلح "المراقب غير المشارك"، من المهم أن نتذكر أن الدخيل الذي يراقب ليس مجرد مراقب موضوعي. بمجرد أن نكون حاضرين، فنحن مشاركون في الموقع الميداني، حتى ولو بقدر محدود. إذا راقبنا استشارات موظف الرعاية الصحية، دون التدخل بشكل مباشر أو المشاركة في الحديث، فإن حضورنا في حد ذاته يغيّر تلك الاستشارة. من المحتمل أن يشعر موظف الرعاية الصحية بالخجل ويسعى جاهدًا إلى تنفيذ "أفضل الممارسات". وقد يدفع حضورنا المريض إلى وضع فرضيات حول دورنا (على سبيل المثال، يظن أننا هناك لأن موظف الرعاية الصحية جيد أو سيئ للغاية)، ويمكن أن يؤثر ذلك في الاستشارة. وحتى عندما يظهر أننا نقوم بدور "غير المشارك"، فمن المهم أن ندرك تأثيرنا في الموقع الميداني ونفكّر فيه.

مشاركة المراقب: وفي المقابل، يدرس بعض الباحثين بيئتهم الطبيعية بدلاً من حياة الأشخاص الآخرين. وتلك هي الحال عندما يعمل الباحثون لسنوات عديدة داخل مؤسسة معينة، ثم يبدأون في إجراء بحث حول أنشطة تلك المؤسسة، على سبيل المثال، كجزء من نشاط المتابعة والتقييم أو في إطار التحضير لأطروحة الدراسات العليا. يُطلق على هذا الدور أحيانًا اسم "مشاركة المراقب"، لتسليط الضوء على أن الباحث، أولاً وقبل كل شيء، مشارك ولكن يجب أن يقوم بدور المراقبة على مشاركته. في هذا الوضع، على عكس المثال أعلاه، ليست الصعوبة في المشاركة وإنما في المراقبة. تعني "مقاربة البحث" (انظر الفصل الأول) تراجع الباحث عن عمله اليومي المعتاد وشواغله وإستراتيجياته، مع وضع سؤال بحث في الاعتبار، لمراقبة ذلك العمل اليومي من أجل فهم المؤسسة بطريقة جديدة. على سبيل المثال، يمكنك تطبيق مشاركة المراقب في مؤسستك، للتعرّف على ثقافة المؤسسة، أو كيفية استخدامها لنظام المكافآت والعقوبات بمختلف الأنواع لتشكيل سلوك الموظفين، أو لمحاولة فهم سبب ترقية بعض مجموعات الموظفين أسرع كثيرًا من مجموعات أخرى وما إلى ذلك. قد يكون من الصعب للغاية الابتعاد عن الشواغل اليومية واتخاذ هذا الموقف القائم على الملاحظة؛ ولهذا السبب، غالبًا ما نستعين بمستشارين خارجيين لإبداء ملاحظاتهم على عملنا اليومي.

الانعكاسية حول أدوارنا: يعد كل واحد من هذه الخيارات (المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ والمُلاحَظَة بدون مُشارَكَة ومشاركة المراقب) وسيلة جديرة بالاحترام لجمع البيانات المفيدة. وليس سبب التمييز بين تلك الخيارات القول بأن أحدها أفضل من الآخر، ولكننا نسعى إلى التحلي بالشفافية والانعكاسية حول دورنا في الموقع الميداني. ويجب أن يقدم قسم الطرائق في دراسة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ تقريرًا حول دور الباحث في الموقع الميداني وعلاقته بأفراد المجتمع ونظرتهم إليه.

يمثل تحديد دورك أحد أجزاء مهام "*الانعكاسية*". وتتمتع الانعكاسية بأهمية بالغة في بحث المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ وتشير إلى الوعي النقدي بشأن كيفية تأثير وضعك في البحث. وقد تقودنا افتراضاتنا وتوقعاتنا المبدئية إلى بعض التفسيرات بدلاً من أخرى. يؤثر وضعنا ودورنا الاجتماعي في الموقع الميداني، كسيدة، أو ضيف، أو غريب، أو موظف في منظمة غير حكومية، على سبيل المثال، في نظرة أعضاء المجتمع لنا وثقتهم بنا وتفاعلهم معنا. كجزء من مقاربة البحث، تحتاج إلى توثيق هذه العوامل المؤثرة المهمة قدر الإمكان بدلاً من إنكارها.

اختيار الحالة وأخذ العينات من الحالة

اختيار الحالة: تُعدُّ المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ طريقة مكثفة؛ وهذا يعني أنها تُستخدم للتوصّل إلى فهم عميق على مستوى عدد صغير من الحالات، وذلك على العكس من النظرة العامة التي تؤخذ على مستوى المجتمع الإحصائي بأكمله. وتمثل "الحالة" المكان العام أو المجتمع الذي تُجري فيه البحث. وقد تكون "الحالة" مشروعًا تضطلع به إحدى المنظمات غير الحكومية، أو قرية، أو مدرسة. وسيتوفر لدى مشروع البحث الذي يستخدم المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ الوقت اللازم للتحري عن عدد قليل فقط من الحالات، ربما حالة واحدة فقط، أو غالبًا حالتان، أو ثلاث، أو أربع حالات. ولهذا السبب، فإن عملية اختيار الحالة أو الحالات مهمة للغاية.

إذا كان هناك متسع من الوقت لإجراء المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في حالات متناقضة، فغالبًا ما تكون هذه فكرة جيدة؛ حيث يمكن أن تسفر دراسة هذا التناقض عن ظهور معلومات مفيدة. لذا، بناءً على موضوع الدراسة، قد نختار تطبيق المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في موقع حضري وآخر ريفي، أو في مشروع أكثر نجاحًا وآخر أقل نجاحًا. وإذا كانت الحالات عبارة عن مدارس، فقد نختار مدرسة مشتركة ومدرسة للفتيان وأخرى للفتيات.

فضلاً عن التناقض، ربما تكون هناك أسباب محددة لاختيار حالات بعينها. قد تكون هناك معرفة قليلة حول مجموعة اجتماعية أو مجموعة سكان أصليين معينة، مثلاً، أو ربما تعرض مجتمع ما لتجارب مدمرة للغاية بسبب الفيضانات. في دراسة حماية الأطفال في الأحياء الكينية الفقيرة (Kostelny et al., 2013) وقع الاختيار على اثنين من الأحياء الفقيرة لأسباب موضوعية، من أجل سد فجوات محددة في المفاهيم الحالية. تم اختيار أحد الموقعين، كيليفي، لقربه من مومباسا والتي كانت معروفة بأنها منطقة تسودها مجموعة من تحديات حماية الأطفال وكان يُعتقد أنه من المحتمل أن يكون موقع "توصيل"، حيث يُنقَلُ الأطفال من خلاله إلى شبكات السياحة الجنسية في المدينة. وتم اختيار الحي الفقير الآخر، الذي يقع في نيانزا، بسبب الارتفاع الكبير في معدلات الإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية (HIV)/الإيدز ولقلة المعلومات المتاحة عن مشكلات حماية الأطفال في تلك المقاطعة.

تمثل المسائل العملية اعتبارات معقولة وذات صلة أيضًا عند اختيار الحالة. هل يسهل الوصول إلى الموقع؟ هل يتوفر باحثون يتحدثون اللغة المحلية؟ هل المجتمع المحلي متقبّل للبحث ومن المرجح أن يدعمه؟

لا توجد طريقة واحدة أو صحيحة لاختيار حالاتك. الفكرة الرئيسية هي أنه من المهم دائمًا أن يكون لديك بعض الأسباب المنطقية لاختيار الحالات وأن تكون ملمًا بسياق تلك الحالات، بما في ذلك سبب كونها خاصة وفريدة من نوعها.

على سبيل المثال، في دراسة فحص الواقع التي أجرتها الوكالة السويدية للتعاون الإنمائي الدولي (Sida) (٢٠١٢)، الموصوفة أعلاه، كان تصميم اختيار الحالة مقصودًا. وقد أُجريت الدراسة في ثلاث مناطق في بنغلاديش؛ واحدة في الشمال وأخرى في الوسط وثالثة في الجنوب. في كل منطقة، تم اختيار ثلاثة مواقع: واحد حضري وآخر شبه حضري وثالث ريفي، ليصبح الإجمالي تسعة مجتمعات محلية. وفي كل موقع، شاركت ثلاث أسر. هذه عملية واسعة النطاق للغاية لاختيار الحالات من أجل دراسة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ وتوضح التصميم الدقيق لاختيار الحالة. ومع ذلك، كثيرًا ما لا تتوفر الموارد للباحثين للعمل في هذا العدد الكبير من المواقع. كما رأينا أعلاه، فقد أُجريت دراسة حماية الأطفال في الأحياء الكينية الفقيرة في اثنين فقط من الأحياء الفقيرة. والجدير بالذكر أنه يتم إجراء العديد من دراسات المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في مجتمع محلي واحد فقط.

أخذ العينات من الحالة: في إطار الحالة المختار، هناك المزيد من القرارات التي سيتم اتخاذها. لا يستطيع الباحث التواجد في كل موقع طوال الوقت خلال اليوم ولكن يتعين عليه تقليص عدد الأماكن التي سيضعها تحت الملاحظة. وهذا ما نطلق عليه "أخذ العينات من الحالة". نحتاج إلى أخذ عينة من الأنشطة الجارية. على سبيل المثال، قد نختار تركيز الملاحظة على أماكن معينة (على سبيل المثال، مضخة مياه عامة أو مدرسة أو نظام ري أو عيادة أو شارع)، أو مع مجموعة معينة من الأشخاص (مثل، أسرة واحدة أو موظفين في منظمة غير حكومية أو مزارعين). ويستند اختيار الشخص والمكان الذي سيخضع للملاحظة، بالطبع، إلى سؤال البحث.

قد يكون التوقيت مهمًا. هل من المحتمل أن تكون الملاحظات مختلفة في الليل أو خلال النهار؟ هل يوجد عامل مؤثر يتعلق بفصول السنة؟ هل للأمر علاقة بما إذا كان يوم عطلة أو يوم دراسة أو عمل عادي؟

غالبًا ما تكون درجة الرسمية في البيئة مهمة. هل يمكننا الوصول إلى بيئة غير رسمية وأخرى رسمية؟ وهل يمكننا الدردشة مع الأشخاص في غرفة الانتظار، بالإضافة إلى مراقبة استشاراتهم السريرية، مثلاً؟ هل يمكننا الانضمام إلى الأشخاص لشُرب الشاي بعد فعالية في منظمة غير حكومية، بالإضافة إلى حضور الفعالية؟ هل يمكننا قضاء الوقت مع أطفال المدارس خلال أوقات الاستراحة، بالإضافة إلى التواجد في الفصل الدراسي؟ كيف تفاوضنا على إمكانية الوصول مع "أصحاب النفوذ" وأفراد المجتمع؟

كما هو الحال مع اختيار الحالات، يجب التفكير مليًا في اختيار عينتنا من الحالة وتبريره. وعلى وجه الخصوص، يجب أن يكون الباحثون على دراية بكيفية تأثير عملية أخذ العينات وعملية التفاوض بشأن الوصول، في بياناتهم ويجب أن يتوخوا الحذر المناسب في التعميم بناءً على دراستهم.

جمع البيانات

ما الذي نرصده؟ يتم تسجيل بيانات المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في ملاحظات ميدانية ولكن ماذا تعني "البيانات" في المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ؟

النشاط ٤-١ تصميم دراسة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ

تلقيت الموجز التالي وكُلفت بتصميم دراسة تتضمن المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ.

موّل فاعل خير مهم مقره في الولايات المتحدة برنامجًا لتعزيز الصحة الجنسية في المدارس للشباب في نيجريا والذي يهدف إلى الدفع بمقاربة غير قائمة على إصدار الأحكام وتمكينية تتيح الفرصة للشباب لاتخاذ قرارات مستنيرة بشأن حياتهم الجنسية. وقد كشف تقييم أثر عن حدوث تغيير طفيف في السلوك بين الشباب وعدم رضا المعلمين عن البرنامج وقلة الاهتمام بين الشباب. سيستمر تنفيذ البرنامج لمدة ثلاثة أشهر وتودّ الجهة المانحة استخلاص دروس مستفادة من أجل البرامج في المستقبل.

تتمثل مهمتك في تصميم دراسة لفهم الأسباب الكامنة وراء النتائج السيئة وقلة المشاركة وإصدار توصيات من أجل البرامج المماثلة في المستقبل.

وتسمح ميزانيتك بتعيين فريق بحث مكوّن من اثنين من الباحثين المبتدئين، مدربان على الطرائق النوعية وقادران على التحدث باللغات المحلية ويمكن أن يقضي كل منهما أربعة أسابيع في جمع البيانات وأربعة أسابيع أخرى في المشاركة في التحليل وكتابة التقرير. وستتولى الإشراف على الباحثين وتُجري بعض عمليات جمع البيانات الأولية وتقود عملية التحليل وكتابة التقرير.

لتصميم الدراسة، أجب عن الأسئلة التالية وأضِف جملة واحدة لتبرير إجابتك وجملة أو جملتين لوضع تفاصيل.

١. ما الدور الذي تلعبه ملاحظة المشارك في دراستك (طريقة أساسية، أو طريقة في دراسة مختلطة الطرائق، أو دور ثانوي لوضع السياق)؟
٢. ما نوع الدور الذي سيضطلع به الباحث (المراقب المشارك، أو المراقب غير المشارك، أو مشاركة المراقب)؟
٣. *اختيار الحالة:* ما المجتمع أو المجتمعات التي اخترت إخضاعها للملاحظة؟
٤. *أخذ العينات:* في إطار ذلك المجتمع، هل ثمة أماكن معينة (مركز رعاية صحية أولية، أو مدرسة، أو منزل أسرة، أو شوارع وما إلى ذلك)، أو أوقات من اليوم، أو أفراد ستركز عليهم؟
٥. *الإجراء:* ما المدة التي ستقضيها في كل موقع؟ ما الدور الذي ستلعبه؟ ما الذي توجّهك أسئلة البحث إلى ملاحظته؟
٦. *الانعكاسية:* ما توقعاتك في البداية؟ كيف ينظر إليك السكان المحليون؟ وكيف يمكن أن تؤثر هذه التوقعات والتصورات في جمع بياناتك؟

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

لا يمكننا أن نتوقع مراقبة كل ما يحدث في الموقع الميداني ولا نرغب في ذلك. يجب أن نكون انتقائيين وعلى دراية بـ "النظرة التحليلية" (انظر الفصل السابع). وتسترشد ملاحظاتنا بشكل أساسي باهتماماتنا البحثية وأسئلة البحث. إذا كنّا مهتمين بحماية الأطفال، فيجب أن نفكر أولاً فيما نعنيه بحماية الأطفال ومجموعة السلوكيات القابلة للملاحظة التي قد تكون ذات صلة بذلك، حتى نكون مستعدين لملاحظتها في الموقع الميداني. وإذا كنّا مهتمين باستخدامات المجتمعات لموارد المياه العامة، فيجب علينا تحديد موارد المياه التي سندرجها في دراستنا، ثم نكون مستعدين لرصد جميع السلوكيات التي تؤدي إلى استخدام المورد وتتبع المياه إلى وجهتها النهائية وربما الانخراط في محادثات في نفس الوقت، أو بعد ذلك.

يجب أن تتضمن بيانات المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ، في الوضع المثالي، نوعين رئيسيين من البيانات: ١) ملاحظات حول ما يفعله الأشخاص أو لا يفعلونه و٢) تقارير عن المحادثات مع الأشخاص لفهم كيف يفكرون فيما يفعلون ولماذا يفعلون ما يُقدِمون عليه. وهذا يشمل أيضًا لحظات الصمت والحقائق غير المعلنة والمعاني وملاحظات حول مشاهداتك للمعرفة الضمنية والقواعد غير المعلنة ومدونة قواعد السلوك الموجودة في البيئة قيد الدراسة.

في خضم ملاحظة ما يفعله الأشخاص، تدفعنا أسئلة البحث إلى ملاحظة عدد من الأمور، من بينها:

- المعرفة والمواقف والسلوك العادي لأفراد المجتمع (مثلاً، ممارسات تربية الأطفال، أو ممارسات الطهي، أو استخدام المياه)؛
- التسلسلات الهرمية للسلطة وتحديد مكانة الأشخاص داخل المجتمع أو المؤسسة (مثل، العلاقات والتفاعلات بين الرجال والنساء، والبالغين والأطفال، وقادة المجتمع وأفراده)؛
- استخدام الأشخاص للبنية التحتية أو التكنولوجيا (مثل، كيفية استخدام الأشخاص للمساحات الفارغة في المنازل الجديدة أو كيفية استخدامهم للهواتف الذكية في العمل)؛
- تنفيذ برامج التنمية (مثل سلوك موظفي المنظمة غير الحكومية والتفاعلات بين الموظفين وأفراد المجتمع)؛
- الثقافة التنظيمية (مثل، التفاعلات بين الموظفين في مكتب المنظمة غير الحكومية، والاجتماعات الرسمية في مكتب المنظمة غير الحكومية، والزيارات لمرافقة موظفي الخطوط الأمامية خلال جدول أعمالهم اليومي).

كتابة الملاحظات الميدانية: يتم تسجيل بيانات المُلاحَظَة بالمُشارَكَة في شكل ملاحظات ميدانية. وغالبًا ما تكون الملاحظات الميدانية تسجيلاً وصفيًا لمشاهدات الباحث وتجاربه خلال العمل الميداني. يقدّم المربع ٤-٥ نموذجًا، مُعَدًا للاستخدام في تسجيل الملاحظات الميدانية، يستند إلى مدونة مفيدة من إعداد لورينا جيبسون (Lorena Gibson, 2013). ويطبّق النموذج مبدأين مهمين؛ أولاً، يجب أن نتأكد من تسجيل أكبر عدد ممكن من التفاصيل العملية. ثانيًا، نحتاج إلى فصل الملاحظات عن التفسيرات، حتى نظل على وعي ودراية بالفرق

المربع ٤-٥ نموذج الملاحظات الميدانية

الموقع:
التاريخ، الوقت:
الملاحظات:
حاول أن تلتزم بالحقائق الملحوظة واذكر:
مَن
ماذا
متى
أين
ماذا يفعل الأشخاص
وماذا يقولون
التفسيرات:
ما الذي تكشفه لي ملاحظاتي فيما يتعلق بسؤال البحث؟
ما أهمية ما لاحظته؟
لماذا يتصرف الأشخاص بهذا الشكل؟
كيف أصبح الوضع بهذا الشكل؟
الانعكاسية:
ما الفكرة التي أُخذت عنّي؟
كيف أثرت في البيانات؟
ما شعوري حيال ما لاحظته؟
الخطوات التالية:
هل هناك أي شيء سأفعله بشكل مختلف المرة القادمة؟
ما الأدلة التي يمكنني متابعتها؟
هل كُشفت الفجوات؟

بينها. يمكنك استخدام النص المكتوب بخط عريض كعناوين لملاحظاتك الميدانية. ويخبرك النص العادي أسفل العناوين المكتوبة بخط عريض مضمون ذلك القسم.

يبدأ النموذج بتفاصيل عملية عن الموقع والتاريخ والوقت. وهذه بيانات سياقية مهمة تساعد على تنظيم الملاحظات الميدانية ويمكن أن تكون مهمة للتحليل.

الفئة التالية هي "الملاحظات". في هذا القسم، اكتب وصفك لما حدث. يجب أن تكون هذه الأوصاف مليئة بالتفاصيل، بحيث يتم تسجيل الملاحظات المُحدَّدة بدقة (بدلاً من كتابة ملخصات سريعة وافتراض أنها ستكون مفهومة). لذا، على سبيل المثال، بدلاً من كتابة "بدا أن هناك علاقة طيبة بين المزارع والمسؤول"، يجب أن نكتب شيئًا مثل "عندما دخل المزارع إلى المكتب وقف المسؤول لتحيته وسأله عن عمه. بعد ذلك، عرض على المزارع احتساء الشاي والذي رفض بأدب". تتمثل الركيزة الأساسية للملاحظات الميدانية في هذا النوع من التفاصيل المُحدَّدة، التي تلمح إلى المسائل المهمة ولكنها تظل تفصيلية وقائمة على الأدلة. عند إبداء الملاحظات، نسعى إلى إرجاء إصدار الأحكام في الوقت الحالي، حتى نتوصل إلى فهم السلوك في سياقه ونتفهم السبب الذي يجعل تصرف الأشخاص بالطريقة التي يتصرفون بها منطقيًا.

في مرحلة "التفسيرات"، نستحضر أحكامنا مرة أخرى. تتجاوز التفسيرات ما يمكن ملاحظته مباشرةً، للمضي قدمًا نحو تقديم إجابة عن أسئلة البحث. وعند تقديم التفسيرات، قد نقارن الطرائق المختلفة للقيام بالأشياء، أو نبرز كيف تختلف الممارسة عما يُذكر في المقابلات، أو ما تتوقعه السياسات. قد نصدر حكمًا عما إذا كان السلوك قريبًا مما هو موصى به أم لا. أو قد نفسر السلوك في ضوء النظرية أو التوقعات الأخرى التي كانت لدينا. في مثال بيانات المُلاحَظَة بالمُشارَكَة في المربع ٤-١، تمثل أوصاف ممتلكات الأشخاص وأفعالهم *الملاحظات*، بينما يشكل تصنيف هؤلاء الأشخاص على أنهم ينتمون إلى مجموعة ذات وضع اجتماعي واقتصادي معين *التفسير*.

في إطار "الانعكاسية"، نسجّل أفكارنا وانطباعاتنا النقدية حول مشاركتنا في عملية جمع البيانات. ونفكر في نظرة الأشخاص في الموقع الميداني لنا، أو سبب استجابتهم بتلك الطريقة. وندرس استجاباتنا ومشاعرنا في الموقف ونوثقها كجزء من السياق الذي يجري تسجيل البيانات فيه.

أخيرًا، ننتقل إلى التركيز العملي الموجّه نحو المستقبل، مع ملاحظة ما تعلمناه والخطوات القادمة المحتملة. هل يوحي ما لاحظناه اليوم بضرورة تبني أساليب استعلام جديدة؟ هل هناك شيء تمنيت لو سألت عنه؟

عمليًا، تستغرق عملية كتابة الملاحظات الميدانية وقتًا طويلاً وتتطلب جهدًا وعملاً كبيرين. في ساعات النهار، يكتب الباحثون ملاحظات موجزة، أو "ملاحظات سريعة" في الموقع الميداني ويدوّنون الكلمات المفتاحية فقط أو الأفكار الرئيسية التي ستحفز ذاكرتهم عندما يحين الوقت لكتابة الملاحظات الميدانية الكاملة. عادةً ما تُكتب الملاحظات الميدانية يوميًا، حيث لا تزال ذاكرة الباحث حديثة ويمكن استحضار التفاصيل إلى الذهن بسهولة. ومن المهم ترك وقت كافٍ لكتابة الملاحظات. وفي واقع الأمر، قد تستغرق كتابة الملاحظات الميدانية التي تم رصدها في يوم واحد ساعتين على الأقل. في دراسة عن حماية الأطفال في سيراليون، خطط تصميم البحث للباحثين كتابة ملاحظاتهم الميدانية على أجهزة الكمبيوتر المحمولة، لإتاحة مشاركة البيانات فيما بين أعضاء فريق البحث بسهولة. ومع ذلك، تعني السرعة البطيئة في الكتابة والكميات الكبيرة من البيانات أنه كان لابد من تعيين طابعين محترفين لكتابة الملاحظات المُدوَّنة بخط يد الباحثين وهو ما تسبب في حدوث صعوبات لوجستية إضافية كبيرة، حيث كان على قادة الفريق إدارة شؤون الطابعين والتحقق من جودة عملهم (الفريق الكولومبي المعني بالأطفال الذين يعيشون ظروفًا عصيبة، ٢٠١١). وإننا نقدم هذا المثال للتأكيد على الحاجة إلى كتابة ملاحظات ميدانية جيدة وأنه من الضروري تخصيص وقت كافٍ لكتابة الملاحظات.

النشاط ٤-٢ التدريب على كتابة الملاحظات الميدانية

اقضِ يومًا في زيارة موقع ميداني، مع وضع سؤال بحث في ذهنك. واستخدم نموذجًا لتسجيل ملاحظاتك. واستخلص المعلومات مع زميل لك بعد ذلك وتحقق مما إذا كنت قد سجلت تفاصيل كافية وما إذا كانت تفسيراتك مبررة ومدعومة بالبيانات. وناقش أنواع الأشياء المختلفة التي لاحظتها وما إذا كانت ملاحظاتك شاملة وما يمكنك تضمينه في المرة القادمة حتى تضيف قيمة إلى ملاحظاتك.

النشاط ٤-٣ التمييز بين الملاحظة والتفسير والانعكاسية

اقرأ الملاحظات الميدانية الافتراضية أدناه وحدّد ما إذا كانت كل جملة هي مثال على الملاحظة، أو التفسير، أو الانعكاسية (أو شيء آخر). إذا كان لديك ثلاثة أقلام ملوّنة مختلفة، فيمكنك وضع خط تحت الجمل أو تمييزها وفقًا لذلك.

١٥ يونيو ٢٠١٥، الساعة ٨,٤٥ صباحًا، مدخل المركز الصحي

مشيت إلى المركز الصحي لأصل قبل موعد العمل المحدد (الساعة ٩ صباحًا). يتكون المبنى المشيد من الآجر من طابق واحد وتعلو بابه لافتة خشبية باهتة. ويبتعد المبنى قليلاً عن الطريق الترابي ويحيط به سور خرساني يعلوه أسلاك. بالمقارنة مع مساكن القرية المتعانقة، بدا موقع المركز الصحي وانعزاله غريبًا، كأنه لا ينتمي إلى هذا المكان.

تذمرت الأسرة التي كنت أقيم معها من أن موظفي الرعاية الصحية لا يحضرون في الموعد المحدد وفي كثير من الأحيان لا يحضرون على الإطلاق. واشتكت الأم بمرارة من أنها بذلت جهدًا كبيرًا حتى تأخذ رضيعها لتلقي التطعيم في ١٢ أبريل، كما طلبت منها القابلة، فقط لتجد نفسها ممنوعة من الدخول. حاولت أن استفسر منها عن السبب ولكنني لم أفهم ما إذا لم تكن هناك تطعيمات متوفرة، أو لم تكن هناك مواعيد متاحة، أو لم يكن هناك أحد لإعطاء التطعيم للرضيع. لا أعتقد أنها تستوعب أسباب وحيثيات المركز الصحي، أو حتى يجب أن تتوقع تفسيرًا منطقيًا.

ومن ثمّ، خلال مسيري إلى المركز الصحي، تساءلت قليلاً عما إذا كانت الفرصة ستسنح لي لملاحظة الأضرار التي يتسبب فيها الأشخاص الذين لا يحضرون إلى العمل، أو يحضرون متأخرين. ما حصل هو أنني عندما وصلت، كان الباب مفتوحًا ويتم كنس المدخل ودخل بعض الأشخاص، الذين ألقى عامل النظافة عليهم التحية والذي يبدو أنه معتاد على حضورهم. (أعتقد أنهم كانوا موظفين ولكنني سأحاول معرفة المزيد). في غضون ١٠ دقائق (في تمام الساعة ٨,٥٥) وصلت الطبيبة متأنقة تحمل في يدها حقيبة رسمية وحياها زملاؤها: "صباح الخير، يا دكتورة".

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

التحديات والاستجابات

في هذا القسم، نناقش ثلاثة تحديات رئيسية أمام بحث المُلاحَظَة بالمُشارَكَة والاستجابات المحتملة للتعامل مع تلك التحديات.

إمكانية الوصول والمقبولية

تتسم المُلاحَظَة بالمُشارَكَة بأنها طريقة مكثفة وربما تدخلية. وغالبًا ما يشعر الأشخاص بالخجل من الخضوع للملاحظة ويقلقون من إصدار أحكام بشأنهم أو تقييمهم. ويجب تعزيز الشعور بالثقة فيما بين المشاركين والباحثين، حتى يتمكن المشاركون من إتاحة إمكانية وصول الباحثين طوعًا ودون شك أو شعور بالخطر. يمكن أن تتفاوض الجهة المانحة أو المنظمة غير الحكومية حول (أو تطلب) منحك إمكانية الوصول من قادة المجتمع أو المخبرين الرئيسيين. يمكن أن يمنحك قائد المجتمع إمكانية الوصول إلى مناسبة مجتمعية. غير أن هذا لا يعني بالضرورة تقبّل أفراد المجتمع لك أو منحك إمكانية الاطلاع على حياتهم. ويجب التفاوض بشأن إمكانية الوصول تلك باستمرار والتي تقوم على الاحترام والثقة.

يعد التحدث باللغة المحلية بطلاقة مسألة رئيسية للتمكن من فهم ما يحدث. في الوضع المثالي، يتحدث باحثو المُلاحَظَة بالمُشارَكَة باللغة المحلية بطلاقة، بحيث تُتاح لهم فرصة الوصول إلى الحياة اليومية. عند إجراء البحث في مجتمعات بلغات مختلفة، أو إذا لم يكن الباحث الرئيسي يتحدث اللغة المحلية، غالبًا ما يتم تشكيل فريق بحث من المراقبين المشاركين. وعند العمل مع فريق من المراقبين المشاركين، من المهم عقد اجتماعات منتظمة للتأكد من جمع البيانات المناسبة والقابلة للمقارنة. علاوة على ذلك، فإن التدريب والاجتماعات المنتظمة لاستخلاص المعلومات (ربما أسبوعيًا) يُعتَبَران نشاطان أساسيان.

بدلاً من ذلك، من الممكن إجراء المُلاحَظَة بالمُشارَكَة بمساعدة مترجم فوري. يمكن أن يرافق المترجم الفوري الباحث الرئيسي في الجولات الميدانية ويسهل المحادثات ويقدم تعليقات مستمرة إلى الباحث حول ما يحدث. في مثل هذه الحالات، من الأفضل تدريب المترجم الفوري ومعاملته على أنه باحث مساعد؛ حيث إن قدرته على ملاحظة الأحداث التي تهم البحث أساسية فيما يتم تسجيله على أنه بيانات. وبالمثل، إذا كان المترجم الفوري يستطيع كتابة ملاحظات ميدانية، فإن هذا يقلل من عدد الترجمات التي تمر بها البيانات قبل تسجيلها (مقارنةً بالمترجم الفوري الذي يُبلغ المعلومات إلى الباحث والذي يقوم بعد ذلك بتسجيل روايته للأحداث). عندما تكون الأمور العملية للغاية، مثل استخدام قنوات تصريف المياه، ذات أهمية أساسية، تصبح المهارات اللغوية أقل أهمية إلى حدٍ ما ولكن عندما يكون هدف البحث فهم العمليات الإنسانية والاجتماعية، تصبح اللغة أساسية. وفي مثل هذه الحالات، ربما يكون من المثالي توظيف باحثين يجيدون اللغة المحلية.

تحيز الباحث

يتطلب بحث المُلاحَظَة بالمُشارَكَة مشاركة عميقة من جانب الباحث. الباحث هو مَن يجري الملاحظات وهو مَن يكتبها. إلى جانب الملاحظات، يسجّل الباحث أيضًا خبراته كمشارك وأفكاره عن دوره في الموقع الميداني وتفسيراته أو نظرياته حول السبب الذي يجعل الأمور تسير بهذه الطريقة. في كل خطوة خلال عملية المُلاحَظَة بالمُشارَكَة، يؤدي الباحث نفسه دورًا مهمًا في تحديد ما يستحق الملاحظة، ثم تسجيل البيانات وتفسيرها. ويلعب الباحث دورًا مهمًا في صياغة البيانات. ويمكن أن تحظى المرأة بإمكانية وصول إلى أماكن مختلفة أكثر من الرجل. وقد يحظى شخص كبير السن بمعاملة مختلفة عن شخص أصغر سنًا. ويمكن أن يجد الشخص كثير الكلام والاجتماعي من السهل بدء محادثات مع أشخاص غرباء. قد يجد الشخص الذي يتمتع بسنوات من الخبرة في إدارة التنمية من الصعب الهرب من أهداف ومؤشرات اللغة والقيمة مقابل المال لمحاولة فهم البرامج باللغة المحلية ومن وجهات نظر السكان المحليين. وكما هو متوقع، فإن البيانات التي نجمعها عن طريق المُلاحَظَة بالمُشارَكَة ليست بيانات موضوعية فَحَسْب وإنما تشكلها وجهات نظرنا ومواقفنا. ويعد إدخال وجهات نظرنا للتأثير في البيانات جزءًا أساسيًا من العملية وهو ما يجعل الطريقة التي نستخدمها مفيدة وحكيمة، غير أنه من المهم أن نكون على دراية بكيفية تشكيل موقفنا للبيانات.

لمواجهة هذه المشكلة، تظهر الانعكاسية كأحد الحلول التي تحظى بأهمية بالغة. ليس من الممكن، أو المرغوب، محو تأثير الباحث على البيانات، ولكن من الممكن توثيقه والتفكير فيه مليًا، ثم بذل جهود حثيثة لتنويع البيانات إذا لزم الأمر. وإذا بدا النوع الاجتماعي بُعدًا مهمًا، فمن الممكن الاستعانة بباحث إضافي من النوع الاجتماعي المعاكس للباحث الأصلي. ويمكن أن يبذل مدير البرنامج جهودًا، عن وعيْ، للاستماع إلى أصوات المجتمع بدلاً من فرض لغة الإدارة. ويستطيع الباحث الذي يرى نفسه خجولاً العمل على إيجاد طرائق لبدء المحادثات. ومن ثمّ، تخدم الانعكاسية غرضين: ١) تنبه الباحث إلى التحيزات أو المخاطر المحتملة في مقاربته؛ ما يسمح بإدخال تعديلات على إستراتيجية جمع البيانات و٢) تُظهر وعيًا نقديًا بمشاركة الباحث والقيود التي قد تُعيق تلك المشاركة.

القضايا الأخلاقية

تثير المُلاحَظَة بالمُشارَكَة تحديات خاصة أمام القضايا الأخلاقية الرئيسية المتمثلة في تفادي الضرر والموافقة المستنيرة وعدم الكشف عن الهوية.

تفادي الضرر: ذكرنا أعلاه أن بحث المُلاحَظَة بالمُشارَكَة غالبًا ما يسعى للوصول إلى ما هو "غير نظامي" أو "غير رسمي". ومن الممكن أن يُسفِرَ الكشف عن الصُوَر التي تحيد بها ممارسات الأشخاص أو آرائهم عن "الصورة التي يُفتَرَض أن تكون عليها" عن مخاطر قد تُعَرِّضُ هؤلاء المشاركين للضرر. وفي دراسة فحص الواقع الموصوفة أعلاه، كان المشاركون متخوفين من تقديم شكوى علنية بشأن الخدمات؛ بسبب الشعور بالقلق من تعرضهم للوصم أو الحرمان من الخدمات نتيجة ذلك. ومع ذلك، فقد كشفوا عن شكواهم لفريق البحث. ويعد التأكد من عدم الكشف عن الهوية أمرًا مهمًا هنا، كما هو الحال مع مبدأ الموافقة المستنيرة.

الموافقة المستنيرة: عادةً ما تشترط المشاريع البحثية أن يقدم المشاركون موافقتهم المستنيرة طوعًا. وهذا يعني تفهم المشاركين لطبيعة البحث وآثاره المحتملة وأنه لا يقع عليهم ضغط أو إكراه للمشاركة. وبالنسبة إلى أي أشخاص يمكن أن تكون قد سلطت عليهم الضوء في ملاحظاتك الميدانية، يظل هذا المبدأ أساسيًا. ومع ذلك، عند إجراء الملاحظة في مكان عام، ليس من اللائق أو الممكن دائمًا طلب الموافقة المستنيرة من كل شخص يمر من ذلك المكان. في مثل هذه الحالات، من المهم مناقشة القضايا الأخلاقية مع مستشارين محليين وعدم إخفاء حقيقة أنك تجري بحثًا وأن تكون صريحًا بشأن بحثك مع أي شخص يبدي اهتمامًا أو يظهر في البحث في أي شيء تجاوز حدود ملاحظة عابرة.

عدم الكشف عن الهوية: يجب أن يكون المشاركون في البحث متأكدين دائمًا من عدم الكشف عن هويتهم: أي أنه لا ينبغي تحديد هويتهم في تقرير بحثي. ويتجلى التحدي الرئيسي في بحث المُلاحَظَة بالمُشارَكَة في مرحلة اختيار الحالة. إذا كانت الحالة المختارة محددة للغاية، أو من المحتمل أن تكون واضحة للأشخاص الذين يعرفون السياق، فيجب على الباحث أن يضع في الاعتبار حقيقة أنه يمكن التعرف على المجتمع من تقرير البحث وكذلك الشخصيات البارزة في ذلك المجتمع. ومن ثمّ، يجب توخي المزيد من الحذر بشأن ما يتم الكشف عنه بخصوص المجتمع أو الأفراد بهدف تفادي إلحاق الضرر. من ناحية أخرى، إذا كان المجتمع مشابهًا للعديد من المجتمعات الأخرى، فتصبح هذه القضايا أقل إزعاجًا.

الملخص

المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ هي طريقة للتعرّف على *ما يفعله الأشخاص* وهي مفيدة في فهم الممارسات الحالية في المجتمع، أو دراسة كيفية تجاوب برنامج تنمية مع المجتمع والمشاركة فيه. وتعد المُلاحَظَة بالمُشارَكَة طريقة مكثفة وتستغرق وقتًا طويلاً لتنفيذها بشكل كامل، ولكن يمكن للعديد من المشاريع الاستفادة من المُلاحَظَة بالمُشارَكَة حتى وإن تم تطبيقها على نطاق صغير. ويجري تسجيل بيانات المُلاحَظَة بالمُشارَكَة في المذكرات الميدانية، حيث من المهم التمييز بين الملاحظة والتفسير. ويمكن أن تثير المُلاحَظَة بالمُشارَكَة تحديات أخلاقية مهمة والتي تتطلب اهتمامًا خاصًا وإشرافًا دقيقًا.

المراجع

Australia–Indonesia Basic Education Program (2010) *Indonesia Reality Check Main Study Findings: Listening to poor people's realities about basic education,* Australia Indonesia Partnership, <www.oecd.org/derec/australia/48473826. pdf> [accessed 31 July 2015].

Columbia Group for Children in Adversity (2011) *An Ethnographic Study of Community-based Child Protection Mechanisms and Their Linkage with the National Child Protection System of Sierra Leone,* London: Interagency Learning Initiative on Community-Based Child Protection Mechanisms and Child Protection Systems, <http://childprotectionforum. org/wp/wp- content/uploads/downloads/2011/11/Ethnographic-Phase-Report-Final-7-25-11.pdf> [accessed 27 July 2015].

Gibson, L. (2013) 'A template for writing fieldnotes', in Anthropod [blog] <http:// anthropod.net/2013/08/14/a-template-for-writing-fieldnotes> (posted 14 August 2013) [accessed 27 July 2015].

Kostelny, K., Wessells, M., Chabeda-Barthe, J. and Ondoro, K. (2013) *Learning about Children in Urban Slums: A Rapid Ethnographic Study in Two Urban Slums in Mombasa of Community-based Child Protection Mechanisms and their Linkage with the Kenyan National Child Protection System, London: Interagency Learning Initiative on Community-Based Child Protection Mechanisms and Child Protection Systems,* <http://childprotectionforum. org/ wp/wp-content/uploads/downloads/2013/05/Mombasa-Ethnographic-Report1.pdf> [accessed 27 July 2015].

Morgan, N., Naz, S. and Sanderson, D. (2013) *Pakistan floods response 2010–12,* London: Christian Aid, <www.christianaid.org.uk/Images/Pakistan-floods- evaluation-August-2013.pdf> [accessed 27 July 2015].

Sida (2012) *Reality Check Bangladesh 2011: Listening to Poor People's Realities about Primary Healthcare and Primary Education – Year 5,* Dhaka: Embassy of Sweden and Swedish International Development Cooperation Agency (Sida), <http://reality-check-approach.com/wp-content/uploads/2013/10/ Sida-BD-Reality-Check-2011.pdf> [accessed 27 July 2015].

مراجع إضافية

Emerson, R. M., Fretz, R. I. and Shaw, L. L. (1995) *Writing Ethnographic Fieldnotes,* Chicago IL: University of Chicago Press.

تعقيب على الأنشطة

تعقيب على النشاط ٤-١ تصميم دراسة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ

ثمة مجموعة من الخيارات المختلفة المعقولة. هنا، نقدّم مثالاً واحدًا فقط ولكن هناك بالطبع تصميمات أخرى ملائمة، طالما أنها مدروسة بعناية ومُفسرة.

١. سنصمّم دراسة مختلطة الطرائق، باستخدام المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ في الفصول الدراسية، والمقابلات مع المعلمين والطلاب. وستسمح لنا المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ برصد ديناميكيات فصول تعزيز الصحة الجنسية، وما إذا كان المعلّمون يطبقون المنهج كما هو متوقع، وكيف يتجاوب الطلاب. وستتناول المقابلات آراء المعلمين والطلاب حول فصول تعزيز الصحة الجنسية.

٢. سيضطلع الباحثون بدور المراقبين المشاركين. وسنقوم بتعيين باحثين شباب يتشاركون بعض الصفات مع الطلاب، حتى يتمكنوا، على الأقل إلى حدٍ ما، من المشاركة في الفصول الدراسية مع الطلاب وقضاء أوقات الاستراحة في الدردشة معهم.

٣. سنختار أربع مدارس ونسند إلى كل باحث مسؤولية مدرستين في نفس المجتمع. وسنختار المجتمعات استنادًا إلى بُعد مقارنة مهم وذي صلة، مثل حضر/ريف، أو منطقة شمالية/جنوبية. داخل المجتمعات، سنختار المدارس بناءً على مقارنة مهمة، مثل المدارس التي يكون فيها البرنامج أكثر نجاحًا وأقل نجاحًا. وإذا جرى تنفيذ البرنامج في مزيج من المدارس المشتركة وغير المختلطة، فسنسعى إلى عكس هذا التنوع.

٤. داخل المدارس، سنختار فصلاً واحدًا لمراقبته، بما في ذلك المعلم والبالغين الآخرين في الفصل الدراسي (إذا كان ذلك مناسبًا) والطلاب في ملاحظاتنا.

٥. سيقضي الباحثون أسبوعين في كل مدرسة. وسيستغرقون خمسة أيام في إجراء المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ وسيستخدمون الوقت المتبقي في المقابلات. وسيحضر الباحثون اجتماعات المدرسة وصفوف الثقافة الجنسية وسيقضون الوقت مع الطلاب قبل الدوام المدرسي وبعده وفي أثناء أوقات الاستراحة، لفهم ثقافتهم المحلية. وسيطلبون إذنًا لقضاء بعض الوقت في غرفة الموظفين، أو لتناول الغداء أو قضاء وقت فراغ آخر مع المعلمين. وسيراقب الباحثون جميع إشارات المعلمين إلى الجنس أو النشاط الجنسي على مدار اليوم لفهم كيفية استيعاب المعلمين لهذه المسائل. كما سيراقبون جميع إشارات الطلاب لهذه المسائل. علاوة على ذلك، سيراقبون تنظيم فصول التربية الجنسية ومشاركة الطلاب واستجاباتهم.

تعقيب على النشاط ٤-٣

٦. نستهل الدراسة بمعرفة أن تقييم الأثر كان سلبيًا. وقد يقودنا هذا الإدراك إلى التشديد على النقاط السلبية وهو ما يجعلنا نذكر أنفسنا بإفساح المجال أمام ظهور النقاط الإيجابية حول البرنامج. وتجعلنا خبرتنا الخاصة كبالغين نتوقع عدم شعور المعلمين والطلاب بالارتياح للتحدث عن الجنس، غير أننا نذكر أنفسنا بأننا نجري بحثًا في مكان وزمان مختلفين للغاية. ويتضمن تدريب الباحثين الانتباه إلى أهمية عدم إصدار الأحكام، والشعور بالراحة، والانفتاح. أخيرًا، يجب أن نلاحظ ردود المشاركين في البحث على الباحثين. وقد استهدفنا تعيين باحثين شباب يستطيع المشاركون إيجاد صلة تجمعهم بهم بسهولة ولكننا نقرّ بأن الاختلافات لا تزال قائمة وواضحة. وربما يكون من الصعب أن يكتسب الباحث ثقة كل من الطلاب والمعلمين.

تعقيب على النشاط ٤-٣ التمييز بين الملاحظة والتفسير والانعكاسية

الجملة	الملاحظة، أو التفسير، أو الانعكاسية
مشيت إلى المركز الصحي لأصل قبل موعد العمل المحدد (الساعة ٩ صباحًا).	ملاحظة تحديد السياق
يتكون المبنى المشيد من الآجر من طابق واحد وتعلو بابه لافتة خشبية باهتة. ويبتعد المبنى قليلاً عن الطريق الترابي ويحيط به سور خرساني يعلوه أسلاك.	ملاحظة
بالمقارنة مع مساكن القرية المتعانقة، بدا موقع المركز الصحي وانعزاله غريبًا، كأنه لا ينتمي إلى هذا المكان.	تفسير
تذمرت الأسرة التي كنت أقيم معها من أن موظفي الرعاية الصحية لا يحضرون في الموعد المحدد وفي كثير من الأحيان لا يحضرون على الإطلاق. واشتكت الأم بمرارة من أنها بذلت جهدًا كبيرًا حتى تأخذ رضيعها لتلقي التطعيم في ١٢ أبريل، كما طلبت منها القابلة، فقط لتجد نفسها ممنوعة من الدخول. حاولت أن استفسر منها عن السبب ولكنني لم أفهم ما إذا لم تكن هناك تطعيمات متوفرة، أو لم تكن هناك مواعيد متاحة، أو لم يكن هناك أحد لإعطاء التطعيم للرضيع.	ملاحظة (عما يقوله الأشخاص)
لا أعتقد أنها تستوعب أسباب وحيثيات المركز الصحي، أو حتى يجب أن تتوقع تفسيرًا منطقيًا.	تفسير
ومن ثمّ، خلال مسيري إلى المركز الصحي، تساءلت قليلاً عما إذا كانت الفرصة ستسنح لي لملاحظة الأضرار التي يتسبب فيها الأشخاص الذين لا يحضرون إلى العمل، أو يحضرون متأخرين.	انعكاسية
ما حصل هو أنني عندما وصلت، كان الباب مفتوحًا ويتم كنس المدخل ودخل بعض الأشخاص، الذين ألقى عامل النظافة عليهم التحية والذي يبدو أنه معتاد على حضورهم.	ملاحظة
(أعتقد أنهم كانوا موظفين ولكنني سأحاول معرفة المزيد).	تفسير (والخطوات القادمة)
في غضون ١٠ دقائق (في تمام الساعة ٨,٥٠) وصلت الطبيبة متأنقة تحمل في يدها حقيبة رسمية وحياها زملاؤها: "صباح الخير، يا دكتورة".	ملاحظة

الفصل الخامس

طرائق جمع البيانات التشاركية

الخلاصة

يتمثل أحد المبادئ الرئيسية للتنمية والعمل الإنساني في التأكد من مشاركة المستفيدين المقصودين والمجموعات المستهدفة في القرارات التي قد تؤثر في حياتهم. وبناءً عليه، تُستخدم أدوات التعلّم والعمل التشاركية بانتظام من قِبَل الممارسين في مجال التنمية، بهدف تمكين البالغين والأطفال من تحليل مواقف حياتهم، وتحديد الحلول للمشكلات المحلية، والتأثير في الجهات المسؤولة، وتقييم أثر برامج التنمية. يعرّفك هذا الفصل على البحث التشاركي، وهي مقاربة بحثية تدعم استخدام أدوات التعلّم والعمل التشاركية. ويقدّم لك بعضًا من الأدوات والطرائق العديدة التي يمكن أن تساعد على جمع البيانات التشاركية في مراحل مختلفة من دورة البرنامج، ويناقش بعض التحديات والعقبات التي تقف حائلاً دون استخدام هذه الطرائق.

الكلمات المفتاحية: بحث نوعي، بحث عملي، طرائق تشاركية، مشاركة، تفكير، مساءلة

أهداف التعلُّم

بعد قراءة هذا الفصل، ستصبح قادرًا على:

- شرح منافع وقيود استخدام طرائق جمع البيانات التشاركية في البحث النوعي
- إدراك الاعتبارات اللازمة لتهيئة بيئة مواتية وتمكينية لاستخدام طرائق جمع البيانات التشاركية في البحث النوعي
- وصف مجموعة متنوعة من طريقة جمع البيانات التشاركية التي يمكن استخدامها في مراحل مختلفة من دورة البرنامج من أجل تسهيل تخطيط البرنامج ومتابعته وتقييمه
- تحديد الخطوات العملية اللازمة لتخطيط وتسهيل جمع البيانات باستخدام طرائق تشاركية

المصطلحات الرئيسية (التعريفات)

- ***المجتمع:*** مجموعة من الناس يتشاركون شيئًا ما، قد يكون ذلك العيش في المنطقة الجغرافية نفسها أو المشاركة في المواقف أو الاهتمامات أو أنماط الحياة المشتركة.
- **المشاركة *المجتمعية:*** عملية (ومقاربة) يتحمل فيها أفراد المجتمع المحلي جزء من المسؤولية ويصبحون وكلاء لصحتهم وتنميتهم.

- ***التعلّم والعمل التشاركي:*** مجموعة من الطرائق والمقاربات المستخدمة في البحث العملي، والتي تمكن مجموعات وأفراد متنوعين من التعلم والعمل واتخاذ الإجراءات معًا بطريقة تعاونية، للتركيز على القضايا ذات الاهتمام المشترك، وتحديد التحديات، وتوليد استجابات إيجابية بطريقة تعاونية وديمقراطية.

مقدمة إلى البحث التشاركي

يمنح البحث التشاركي أفراد المجتمع (من البالغين والأطفال) فرصة القيام بدور فعال في توجيه البحث. ويدرك أن أفراد المجتمع يمتلكون ثروة من المعرفة والمهارات المحددة التي يمكن أن تسهم في عملية البحث. وانطلاقًا من روح الاحترام المتبادل للمهارات المتنوعة والمعرفة، يشجع البحث التشاركي الباحثين وأعضاء المجتمع على العمل معًا والتعلّم من بعضهم البعض، وتجميع المعرفة ووضع سياق للتحليل (Wallerstein and Duran, 2003).

تُطلق العديد من المسميات على البحث التشاركي. ربما سمعت عن "البحث التشاركي المجتمعي" (Minkler and Wallerstein, 2003)، أو "بحث العمل التشاركي" (Lewin, 1946)، أو "التقدير الريفي التشاركي" (Chambers, 1994)، أو "بحث التعلّم والعمل التشاركي" (Rifkin and Pridmore, 2001). بينما هناك اختلافات طفيفة بين هذه المفاهيم، فإنها تشترك جميعًا في الالتزام بإجراء بحث يقدم سياقًا لأفراد المجتمع من أجل استخلاص المعرفة حول مجتمعهم، واكتساب فهم أعمق للمشكلات المحلية، والاستفادة من هذه المعرفة في الحث على التغيير (Minkler and Wallerstein, 2003). ومن ثمّ، لا يتعلق البحث التشاركي بالمشاركة فحسب؛ إنما يتمحور أيضًا حول التأثير في التنمية والمساهمة فيها.

البحث التشاركي كأداة تمكين

أوضح باولو فريري (Paulo Freire, 1973)، وهو معلم برازيلي، كيف يمكن للتعلّم من خلال البحث التشاركي التحفيز على التفكير في العوامل التي تجعل الناس فقراء ومستضعفين، وربما اكتساب وعي أكثر أهمية بشأن تلك العوامل. ويزعم فريري بأن ذلك ضروري لحدوث التغيير الاجتماعي. من هذا المنظور، يتبين أن البحث التشاركي لديه القدرة على تمكين الأشخاص من إدراك العوامل التي تؤثر فيهم، ومنحهم الثقة إما للمطالبة بالتغيير أو اتخاذ الإجراءات اللازمة، من خلال مبادرتهم الخاصة. على سبيل المثال، قد يدرك أفراد المجتمع المشاركون في بحث عن الرعاية التي يقدمها الأقرباء أن هذا النوع من الرعاية لا يؤدي دائمًا إلى حصائل إيجابية للأطفال. ويمكن أن يسفر هذا الفهم الجديد عن تضافر جهود أفراد المجتمع واضطلاعهم بدور أكثر فعالية في دعم الأطفال الذين يتلقون الرعاية التي يقدمها الأقرباء (Chukwudozie et al., 2015). وقد يؤدي أيضًا إلى قيام أفراد المجتمع بتنظيم عريضة للمطالبة بالدعم السياسي للتغييرات في تشريعات الرعاية التي يقدمها الأقرباء.

البحث التشاركي لتعزيز الأثر

يمتلك السكان المحليون قدرًا كبيرًا من الخبرة فيما يصلح، وما لا يصلح، وسبب ذلك (Moser, 1998). ومن ثمّ، يتناسب البحث التشاركي بشكل جيد للغاية مع أعمال التنمية. في الواقع، تم وضع مفهوميْ "التقدير الريفي التشاركي" و"التعلّم والعمل التشاركي" خصيصًا لجمع مدخَلات محلية ووضع سياق لبرامج التنمية (Chambers, 1994; 1997). وبناءً عليه، لدى البحث التشاركي باع طويل في مجال التنمية، ما يمكّن مؤسسات التنمية من إشراك الأفراد الأكثر تهميشًا في المجتمع في عملية التخطيط للبرامج ومتابعتها وتقييمها. ويستطيع الممارسون في مجال التنمية تسهيل العمليات التشاركية مع كل من الأفراد والمجموعات (على سبيل المثال، المجتمع)، وهو ما يتيح لهم تجميع إما صوت جماعي أو أصوات الأفراد. بغض النظر عن المقاربة التي تطبّقها، فهذا لا يؤدي فقط إلى زيادة إحساس المجتمع المحلي بالملكية تجاه أنشطة التنمية، والالتزام بها، والمشاركة فيها، ولكنه يضمن أيضًا توافقها مع الاحتياجات والموارد المحلية.

البحث التشاركي يمكن أن يثري أعمال سياسة المناصرة الأوسع نطاقًا

يمكن أن يؤثر البحث التشاركي في الجهات المسؤولة، بما في ذلك مؤسسات التنمية ذاتها. وغالبًا ما تستفيد طرائق جمع البيانات التشاركية من وسائل الإيضاح البصرية، وتتجاوز العقبات الثقافية واللغوية، ويمكن أن تزود الجهات المسؤولة بنظرة ثاقبة على المشكلات ومجموعة من الأشخاص غير المألوفين لهم. ومن ثمّ، يمكن أن تقدم التمثيلات المرئية حجة مقنعة للجهات المسؤولة، والتي قد تؤدي بدورها إلى الحث على التغيير. ويمثل الممارسون في مجال التنمية الجهات المسؤولة ويتحملون مسؤولية التعلّم من المعلومات التي يجمعونها من خلال طرائق جمع البيانات التشاركية، فضلاً عن الاستفادة منها (Newman and Beardon, 2011). على سبيل المثال، يمكن أن يعملوا مع المشاركين في الدراسة على تعميم الاستنتاجات على جهات مسؤولة أخرى. ويمكن أن يكون ذلك من خلال توزيع تقارير أو عرض ملصقات مع مرئيات وملخصات لاستنتاجات الدراسة. بهذه الطريقة، يمكن أن تقدم طرائق جمع البيانات التشاركية لأفراد المجتمع منصة للدعوة إلى إحداث تغيير على عدة مستويات.

لماذا نشير إلى الأدوات التشاركية على أنها طرائق بحث؟

كما ناقشنا في الفصل الأول، فإن الأصوات المحلية مهمة وفعالة في تحديد شكل سياسة التنمية وبرامجها. ومع ذلك، مع تزايد الضغط على الممارسين في مجال التنمية لاستخدام أدلة قوية لتوجيه البرامج والإستراتيجية، ثمة خطر من أن التسهيل المحلي للعمليات التشاركية، مهما كانت أهميتها، لن يؤخذ على محمل الجد، أو لن يرتقي إلى أكثر من كونه مجرد شهادات لافتة لتوضيح الأدلة "الدامغة". وبناءً عليه، فإننا نحتاج إلى التعامل مع الأصوات المحلية على أنها بيانات، والاقتراب من العمليات التشاركية على غرار عمليات جمع الأدلة. وبهذا الشكل، سنتمكن من تجميع الأصوات المحلية كدليل نوعي، وزيادة احتمالية تدفق وجهات النظر المحلية على النظام وتوجيه السياسة والممارسات.

ومع ذلك، فهي ليست مسألة "إعادة تجميع" العمليات التشاركية فحسب، ولكنها تتعلق بكيف يمكنك، كباحث، تسجيل الاستنتاجات التي تَمَّ الخُلوص إليها، وتحليلها، وتقديم تقاريرك عنها بطريقة منهجية. ونحن نزعم بأن ذلك من شأنه أن يساعد على سد الفجوة بين الجهود المحلية لتسهيل العمليات التشاركية والتعلّم على كافة المستويات في مؤسسة التنمية. ونقدّم لك في هذا الفصل عددًا من طرائق جمع البيانات التشاركية، ونوجّهك عبر عملية استخدام هذه الطرائق لجمع البيانات النوعية بأسلوب منهجي.

طرائق جمع البيانات التشاركية

تمثل طرائق جمع البيانات التشاركية مزيجًا من المقاربات، والأدوات، والاتجاهات، والسلوكيات التي تمكّن الأطراف المعنيّة في البرنامج، الأطفال والبالغين على حدٍ سواء، من الاضطلاع بدور فعال في إنتاج المعرفة.

كُتبت العديد من الموارد التي تصف طرائق جمع البيانات التشاركية (انظر المربع ٥-١). وكثيرًا ما يُشار إليها باسم "الأدوات التشاركية" وهي تستهدف جمهورًا معينًا، مثل الممارسين في مجال التنمية الذين يعملون في إطار الحد من مخاطر الكوارث *(مثل مجموعة أدوات تقدير مواطن الضعف والقدرات (VCA Toolbox))*، أو الجوع وسبل المعيشة *(مثل ٨٠ أداة للتنمية التشاركية (80 Tools for Participatory Development))*، أو الصحة وفيروس نقص المناعة البشرية (HIV) *(مثل أدوات معًا الآن (Tools Together Now))*، أو هؤلاء المشاركون في المتابعة والتقييم (مثل أدوات متابعة وتقييم مشاركة الأطفال). وبالنظر إلى تنوع الموارد المتاحة، من المحتمل أن تجد المورد الذي يناسب مجال عملك.

تتوفر مئات الطرائق، وقد يكون من الصعب اختيار أي الطرائق التي ستستخدمها في المشروع. تحدّد *أدوات معًا الآن: ١٠٠ أداة تشاركية لتعبئة المجتمعات من أجل فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز (Tools Together Now: 100 Participatory Tools to Mobilise Communities for HIV/AIDS)*، الصادرة عن التحالف الدولي لفيروس نقص المناعة البشرية (HIV)/الإيدز (٢٠٠٦)، عادةً سبع فئات من الطرائق التشاركية:

١. *أدوات التخطيط:* تسعى إلى وضع خرائط تحتوي على معلومات عن الحقائق والممارسات المحلية.
٢. *أدوات تحليل الوقت:* تركز على الجوانب الزمنية في حياة المجتمع، وتدرس، مثلاً، التغييرات التي تطرأ مع مرور الوقت أو فيما بين فصول السنة.
٣. *أدوات الروابط والعلاقات:* تسعى إلى تصور الروابط بين العوامل المختلفة التي تعزز السلامة أو الصحة أو تقوضهما.
٤. *الأدوات التجريبية:* تسعى إلى إبراز تجارب أفراد المجتمع.
٥. *أدوات تحديد الأولويات والقياس الكمي:* تساعد أفراد المجتمع على السعي إلى التوصل إلى توافق في الآراء من خلال التصنيف وتسجيل النقاط.
٦. *تقنيات تخطيط العمل:* تضع منهجًا لعملية التخطيط والتقييم.
٧. *أدوات التدريب:* تؤهل الميسرين لاستخدام الأدوات بطريقة مرنة وفعالة وشاملة وتشاركية.

تسلّط هذه الفئات الضوء على حقيقة أنه يمكن استخدام طرائق جمع البيانات التشاركية لأغراض مختلفة، والكشف عن أنواع عديدة من المعلومات. ولا تختلف الطرائق فقط من حيث نوع المعلومات التي تولدها؛ وإنما يتطلب البعض منها مهارات محددة، لكل من التسهيل (مثل مهارات التعامل مع الآخرين) والمشاركة (مثل مهارات القراءة والكتابة الأساسية)، بينما يتطلب البعض الآخر المزيد من الوقت والمواد عن غيرها، وبعضها أنسب للأشخاص الذين تجمعهم صفات مشتركة (على سبيل المثال، النوع الاجتماعي أو السن أو العِرق أو الحالة الصحية).

المربع ٥-١ الموارد المختارة المتاحة مجانًا على الإنترنت

International HIV/AIDS Alliance (2006) *Tools Together Now: 100 Participatory Tools to Mobilise Communities for HIV/AIDS*, <www.aidsalliance.org/assets/000/000/370/229-Tools-together-now_original.pdf>.

Pretty, J. et al. (1995) *Participatory Learning and Action: A Trainer's Guide*, <http://pubs.iied.org/pdfs/6021IIED.pdf>.

Save the Children (2008) *A Kit of Tools for Participatory Research and Evaluation with Children, Young People and Adults*, <http://resourcecentre.savethechildren.se/library/kit-tools-participatory-research-and-evaluation-children-young-people-and-adults- compilation>.

Lansdown, G. and O'Kane, C. (2014) *Tools for Monitoring and Evaluating Children's Participation*, <http://resourcecentre.savethechildren.se/library/toolkit-monitoring-and- evaluating-childrens-participation-tools-monitoring-and-evaluating>.

IFRC (2007) VCA Toolbox, <www.ifrc.org/Global/Publications/disasters/vca/vca-toolbox-en.pdf>.

Geilfus, F. (2008) *80 Tools for Participatory Development*, <http://betterevaluation.org/resources/guide/80_tools_for_participatory_development>.

ومن ثمّ، قد يكون من الصعب تحديد المزيج المناسب من الطرائق التي ينبغي استخدامها في الدراسة. ولمساعدتك على حسم قرارك، يمكنك مراعاة ما يلي:

- *هدف الدراسة وسؤال البحث:* ما الطرائق التي يمكن أن تساعدك على توليد معلومات ذات صلة بدراستك؟
- مهارات الميسر: مَن المسؤول عن تيسير ورش العمل؟
- الموقع: ما البيئة اللازمة لخلق ظروف مواتية لنجاح الطرائق التي ستُستَخدَم؟
- التوقيت: هل هناك وقت في العام، أو خلال اليوم، من المرجح أن تعمل فيه الطرائق بشكل أفضل؟ وكم من الوقت لديك لتيسير ورش العمل باستخدام طرائق جمع البيانات التشاركية؟
- المواد: ما المواد المطلوبة لتسهيل عمل الطرائق؟ وهل لديك ميزانية لذلك؟
- المشاركون: ما الطرائق الأكثر ملاءمة لتشكيل مجموعة المشاركين؟ وما مخاطر التحيز مع هؤلاء المشاركين بالتحديد؟ وهل سيكون من الممكن تثليث البيانات مع مصدر آخر أو مصادر أخرى؟
- *الأخلاقيات:* ما المشكلات والصعاب التي يمكن أن تواجهها؟ وكيف يمكنك التخفيف من شدتها بأفضل شكل؟ وهل من الممكن الحصول على موافقة المشاركين في البحث؟

على الرغم من أنه يمكنك تحديد الطرائق الأنسب من غيرها، بالنظر إلى موضوعك والمشاركين، فمن المهم أن تستخدم الطرائق بمرونة وتكيّفها مع سياقك المحدد (Rifkin and Pridmore, 2001). تجدر الإشارة إلى أن الطرائق الواردة في هذا الفصل أو في مصادر أخرى غير ثابتة بأي حال، ويمكن تعديلها لتناسب مختلف المشاركين والسياقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. وقد تعمل بعض الطرائق بشكل جيد على الفور، بينما تتطلب أخرى مزيدًا من التسهيل، أو قد تحتاج إلى التخلي عنها تمامًا. بصفتك مُيسرًا، يجب أن تكون مستعدًا لإجراء تغييرات "على الفور"، ويجب ألا تتوقع الامتثال للإرشادات الواردة في الأدبيات، وإنما تجعل الأدوات فعالة في سياقك.

الجدول ٥-١ مصفوفة الطرائق

الطريقة	الصفحة	ملاءمة السياق				ملاءمة المخبرين			الملاءمة في إطار دورة البرنامج			مخرجات البيانات النوعية		
		الأعمال الإنسانية	التنمية	الأفراد	المجموعات	البالغين	الأطفال	مهارات قراءة وكتابة متنوعة	التخطيط	المتابعة	التقييم	مرئي	شفهي	كتابي
شجرة المشكلة	٧	•	•••	•	•••	•••	••	•	•••	•	••	••	•••	•
خريطة الجسد	٨	•••	•••	••	•••	••	•••	••	•••	•••	•••	•••	•••	•
مخطط التقدير على شكل حرف "H"	١٠	•••	•••	•	•••	•••	••	••		•••	•••	•••	•••	•
قصص التغيير	١٢	•••	•••	•••	••	•••	•••	•		••	•••			•••
الرسوم البيانية اليومية	١٣	•••	•••	•••	••	•••	•••	•	•••		••	•••	•••	•
البيانات التاريخية	١٥	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•	•••			•••	•••	••
ترتيب التفضيلات	١٧	••	•••		•••	•••	•••	•••	•••			•••	••	•
خرائط المجتمعات المحلية	١٩	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•••	•	••	•••	••	•
المخطط العنكبوتي	٢١	•••	•••	•	•••	•••	•••	•••	•		•••	•••	••	•

تمثل النقاط مستوى الملاءمة: كلما زاد عدد النقاط، كانت الطريقة أكثر ملاءمة.

يوضح هذا الفصل الآن تفاصيل مجموعة من طرائق جمع البيانات التشاركية. كما يتم خلال هذا الفصل توضيح ما الفئة من الفئات السبع التي تنتمي إليها الطريقة وكذلك الغرض منها فيما يتعلق بالنقاط المختلفة داخل دورة البرنامج التي يمكن استخدام الطرائق النوعية فيها (كما هو موضح في الفقرات التي يجاورها شكل الدوامة). انظر أيضًا الجدول ١-٥ للحصول على نظرة عامة على الطرائق المختلفة ومدى ملاءمتها لجوانب مختلفة من البحث.

شجرة المشكلة

تمكن "شجرة المشكلة" المشاركين من استكشاف الأسباب والتأثيرات الكامنة وراء مشكلة أو قضية ما بشكل مرئي وجماعي. وفيها نستخدم جذع الشجرة وجذورها وفروعها بشكل مجازي كمنصة للعصف الذهني وتحديد ومناقشة الروابط بين أسباب مشكلة أو قضية ما وتأثيراتها.

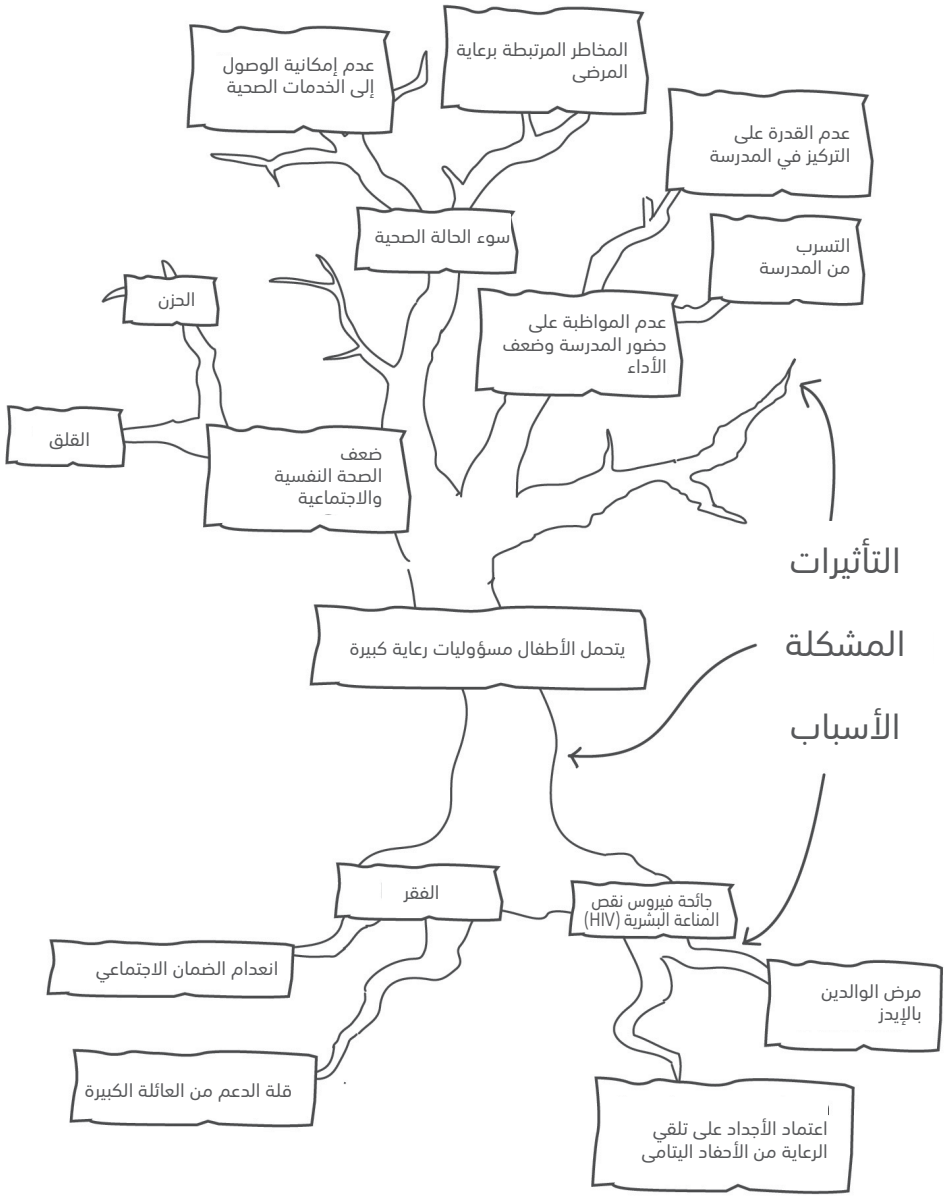

الشكل ١-٥ مثال على شجرة المشكلة

نظرًا لأن مخططات شجرة المشكلة تساعدك في تحليل أسباب مشكلة أو قضية ما وتأثيراتها، فإن استخدامها مفيد بشكل خاص في مرحلة التخطيط للبرنامج. كما يمكن استخدامها لتقييم عنصر معين في البرنامج، ومراجعة المسارات لإجراء التغيير وكذلك تقييم حصائل التدخل.

٤٥-٦٠ دقيقة.

لوح ورقي قلاب وأقلام وقصاصات الملاحظات اللاصقة وربما مسجل صوت رقمي لتسجيل المناقشات.

تحقق طريقة شجرة المشكلة نتائج أفضل عند العمل في مجموعات، قد تتمثل في مناقشة جماعية مركزة صغيرة بها من ستة إلى ثمانية أشخاص، أو كبيرة كاجتماع مجتمعي أكبر. ومع ذلك، يمكن استخدامها أيضًا مع الأفراد وتكون بمثابة نشاط لإثارة الحوار في مقابلة. ويمكن استخدامها مع البالغين والأطفال، بغض النظر عن قدرتهم على القراءة والكتابة.

١. اشرح الغرض من التمرين وتأكد من أن المشاركين قد اتفقوا على المشكلة أو القضية التي ستتم مناقشتها. من المهم أن يشعر كل مشارك بالحماس تجاه المشكلة.
٢. اكتب أو ارسم المشكلة أو القضية التي تريد مناقشتها في منتصف اللوحة الورقية وارسم جذعًا حولها. يمثل الجذع المشكلة أو القضية.
٣. ينبغي بعد ذلك تشجيع المشاركين على تحديد جميع الأسباب الجذرية الرئيسية للمشكلة أو القضية. يجب إضافة كل سبب أسفل الجذع، في الجذور.
٤. لكل سبب جذري للمشكلة، اسأل المشاركين عن رأيهم في سبب حدوثه، وارسم جذورًا أصغر تنبع من الجذور الرئيسية، مع توضيح تفاصيل الأسباب "الثانوية". يمكن مناقشة الأسباب الأولية والثانوية بشكل جماعي، ويمكنك، كميسر، كتابة المواضيع على شجرة المشكلة. أو يمكن تشجيع المشاركين على كتابة الأسباب أو رسمها على قصاصات الملاحظات اللاصقة ثم وضعها على الشجرة المرسومة.
٥. بعد ذلك، شجع المجموعة على تحديد التأثيرات الرئيسية للمشكلة أو القضية ورسم الفروع التي توضح هذه التأثيرات.
٦. اطلب من المشاركين تحديد التأثيرات "الثانوية" لكل من التأثيرات الرئيسية ورسمها على الشجرة كفروع أصغر تخرج من الفروع الكبيرة. يوضح الشكل ٥-١ مثالاً لشجرة مشكلة تبحث في أسباب وتأثيرات تحمل الشباب مسؤولية الرعاية في غرب كينيا.
٧. ناقش شجرة المشكلة مع المجموعة. ماذا توضح؟ كيف تتعلق بحياتهم؟ ما الروابط والعلاقات بين الأسباب والتأثيرات؟ ما أخطر تأثيرات المشكلة أو القضية؟ ما الأسباب والتأثيرات التي تتغير؟ ولأي سبب؟
٨. اعمل مع المشاركين لتحويل "شجرة المشكلة" إلى "شجرة حلول". أولاً، ناقش الحلول الممكنة للأسباب والتأثيرات التي تم تحديدها على الشجرة. ثانيًا، اطلب من المشاركين كتابة الحلول الموصى بها أو رسمها على قصاصات الملاحظات اللاصقة ولصقها على الجذور والفروع المناسبة.

تمثل الشجرة المكتملة مصدرًا قيمًا للبيانات، حيث توفر فهمًا متعمقًا لأسباب وتأثيرات مشكلة أو قضية، وكذلك توفر المناقشات التي تجري في عملية تكوين الشجرة معلومات لا تقل عنها قيمة. لذلك يوصى بأن تسجل المناقشات صوتيًا أو بالفيديو، أو على الأقل أن تطلب من شخص ما تدوين ملاحظات مفصلة للغاية من المناقشات. يجب أن تتضمن الملاحظات أيضًا معلومات عن عدد المشاركين في التمرين وخلفياتهم. هذه الملاحظات، أو التسجيلات الصوتية أو المرئية، بالإضافة إلى الشجرة المكتملة تشتمل على بيانات يمكن استخدامها للإجابة عن سؤال البحث الخاص بك (انظر الفصل السابع حول كيفية تصنيف البيانات النوعية وفهرستها وتحليلها).

خريطة الجسد

كما يوحي الاسم، إن "خريطة الجسد" هو *أداة تخطيط* تستخدم رسمة الجسد للتعرف على وجهات نظر مجموعة من الأشخاص وكيف يواجهون موقفًا أو برنامجًا معينًا. يمكن إجراء هذا المخطط قبل التدخل وبعده، وبالتالي تسليط الضوء على التغييرات المتصورة. حتى إذا لم يتم تحديد خط الأساس، فيمكن تشجيع المشاركين على العودة بالذاكرة للتفكير فيما مضى وتدوين ملاحظات حول التغييرات المتصورة الناتجة عن برنامج ما. لذلك يمكن استخدام خريطة الجسد لفهم التصورات المحلية لمجموعة من الأشخاص والتغييرات التي ربما مروا بها بعد البرنامج.

يمكن استخدام خريطة الجسد في أي وقت ضمن دورة البرنامج. على سبيل المثال، يمكن استخدام خريطة الجسد لتحليل وفهم قضية ما في سياق معين، كجزء من التخطيط لبرنامج ما. كما يمكن استخدامه لدراسة تجارب المستفيدين من البرنامج أثناء تنفيذه ولاستكشاف تصورات الناس عن أثر البرنامج.

٦٠-٩٠ دقيقة.

لوح ورقي قلاب وأقلام وقصاصات الملاحظات اللاصقة وشريط لاصق وربما مسجل صوت رقمي لتسجيل المناقشات.

يعمل تمرين خريطة الجسد بشكل أفضل في المجموعات الصغيرة التي تضم من ٤ إلى ١٨ فردًا. ومع ذلك، يمكن استخدامها أيضًا مع الأفراد وتكون بمثابة نشاط لإثارة الحوار في مقابلة. يعمل هذا التمرين جيدًا بشكل خاص مع الأطفال، ولكن يمكن استخدامه أيضًا مع البالغين. إذا كانت لديك مجموعة كبيرة من المشاركين، فيمكنك تقسيمهم إلى مجموعات أصغر مُكَوَّنة من أشخاص ينتمون إلى نفس الفئة العمرية ونفس النوع الاجتماعي، وما إلى ذلك. ويمكن استخدام هذه الطريقة مع كافة الأفراد، بغض النظر عن مستوى إلمامهم بالقراءة والكتابة.

١. اشرح الغرض من خريطة الجسد واتفق مع المشاركين على ما يجب توضيحه على الخريطة. يعتمد هذا على ما يركز عليه بحثك.
٢. امنح المجموعة لوحة ورقية مرسوم عليها شكل الجسد، أو الصق أربع لوحات ورقية معًا وادعُ أحد المتطوعين للاستلقاء على اللوحة حيث يقوم متطوع آخر من نفس النوع الاجتماعي برسم شكل جسده. تأكد من استخدام قلم قابل للمسح!

٣. اشرح أن هذا الجسد يمثل نموذجًا تقليديًا لفتى أو فتاة أو رجل أو امرأة من مجتمعهم (على سبيل المثال، شخص يعاني من فيروس نقص المناعة البشرية، أو استفاد من البرنامج) وشجعهم على استخدام أجزاء الجسم بشكل مجازي للاستكشاف تصوراتهم عن هذا الشخص وتسجيلها (انظر الشكل ٥-٢ أدناه للحصول على أمثلة).

٤. لمعرفة الاختلافات والتغييرات، يمكنك توضيح أن الجسد الآن يمثل فردًا استفاد من البرنامج. شجع المشاركين على استخدام الجسد لمناقشة وصياغة تصوراتهم حول كيفية مساهمة البرنامج في تغيير الفرد. يمكنك التعديل في الأداة ورسم خط عمودي أسفل منتصف الجسم. وبذلك يمثل أحد الجانبين تصورات الوضع "السيئ" أو الوضع قبل البرنامج، بينما يمثل الجانب الآخر تصورات عن الوضع "الجيد" أو الوضع بعد البرنامج. على سبيل المثال، يمكن أن يمثل أحد الجانبين طفلًا يعيش في الشارع قبل التدخل، بينما يمثل الجانب الآخر طفلًا يعيش في الشارع

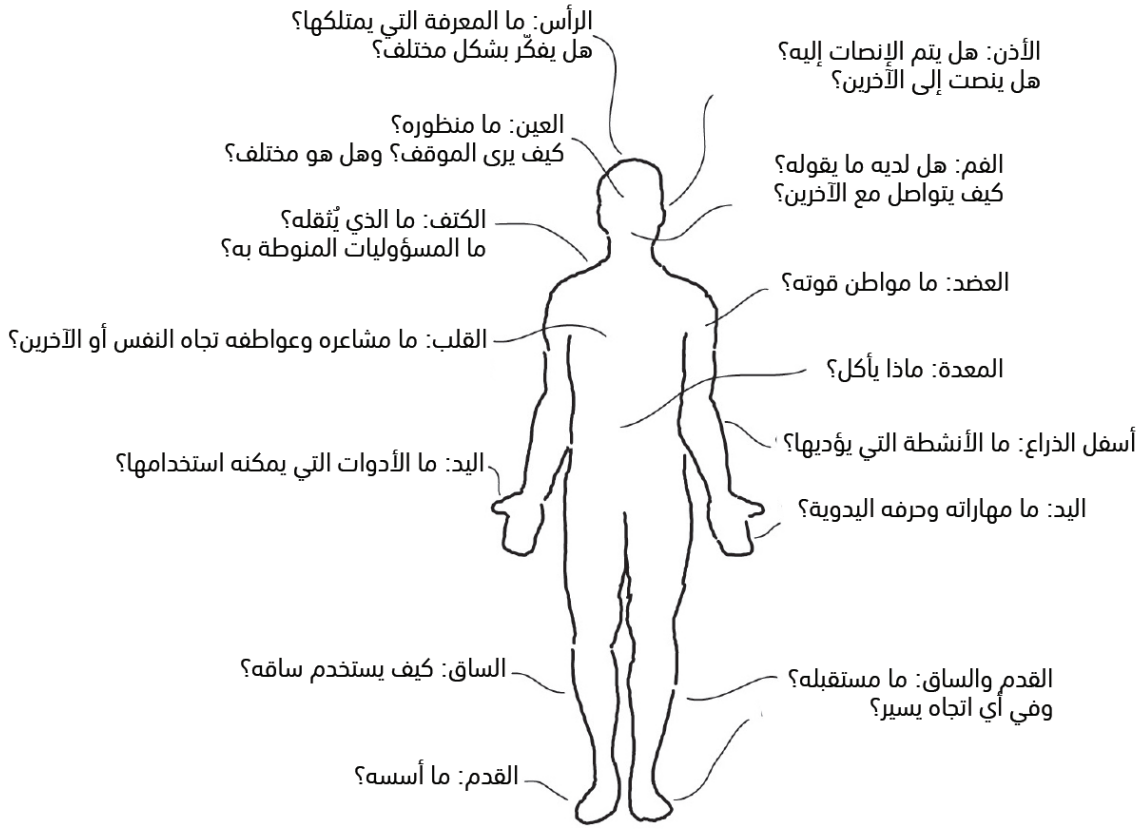

الشكل ٥-٢ مثال على كيفية استخدام أجزاء الجسد بشكل مجازي لإثارة حوار

٥. شجع المشاركين على تدوين إما نقاط العمل المحتملة، التي يمكن أن تساعد الشخص على الخروج من الوضع "السيئ"، أو التفسيرات، المتعلقة بالتغييرات التي لوحظت في سيناريو "قبل وبعد"، على الملاحظات اللاصقة. شجع المشاركين على وضع الملاحظات اللاصقة على خريطة الجسد.
٦. ناقش خريطة الجسد والاستنتاجات التي تظهر. ما مدى تمثيل التجارب التي تم تحديدها في خريطة الجسد؟ ما الاختلافات التي قد توجد بين الرجال والنساء، أو بين الفتيان والفتيات؟ ما أهم التغييرات التي لوحظت؟ احرص على توجيه دفة المناقشة نحو موضوع البحث.

يمكن أن تُنتج طريقة خريطة الجسد الكثير من المعلومات المفيدة حول التصورات المحلية لكيفية مرور مجموعة من الأشخاص بموقف أو برنامج ما. يسمح لك الأول باستخدام خرائط الجسد لتحليل الأوضاع، بينما يجعل الآخر خرائط الجسد مفيدة لمتابعة البرنامج وتقييمه، والتعرف على أهم قصص التغيير. وبغض النظر عن الغرض من خرائط الجسد، فإن المناقشات التي تتم أثناء عملية إنشائها يتمخض عنها معلومات مفيدة ويجب أن تَحرِصَ على تسجيلها إما بالصوت أو بالفيديو، أو على الأقل أن تطلب من شخص ما تدوين ملاحظات مفصلة من المناقشات.

مخطط التقدير على شكل حرف "H"

تعد طريقة التقدير على شكل حرف "H" *أداة تجريبية* يمكن استخدامها لتحديد التصورات المحلية لنقاط القوة والضعف في البرنامج وكذلك للحصول على التوصيات المحلية حول كيفية إجراء تحسينات على البرنامج.

يمكن استخدام هذه الطريقة لمتابعة التقدم وتقييم أثر البرنامج.

٤٥-٦٠ دقيقة.

لوح ورقي قلاب وأقلام

تحقق طريقة مخطط التقدير على شكل حرف "H" نتائج أفضل عند العمل في مجموعات، تتضمن عددًا قليلًا من ستة إلى ثمانية أشخاص في مناقشة جماعية مركزة، أو منتدى مجتمعي كبير العدد. ومع ذلك، يمكن استخدامها أيضًا مع الأفراد وتكون بمثابة نشاط لإثارة الحوار في مقابلة. ويمكن استخدامها مع البالغين والأطفال على حد سواء. كما يمكن أيضًا استخدامها مع مجموعات مختلطة الأشخاص أو في مجموعات صغيرة من أشخاص ينتمون إلى نفس الفئة العمرية ونفس النوع الاجتماعي، وما إلى ذلك.

١. اشرح الغرض من التمرين وتأكد من أن المشاركين على دراية بالبرنامج الذي ستتم مناقشته.
٢. في منتصف لوحة ورقية كبيرة، اكتب حرف "H" كبير واجعله يتضمن العناوين التالية (انظر الشكل ٥-٣):
   - اسم البرنامج
   - نقاط القوة والنجاحات ☺
   - نقاط الضعف والتحديات ☹
   - توصيات لإدخال تحسينات

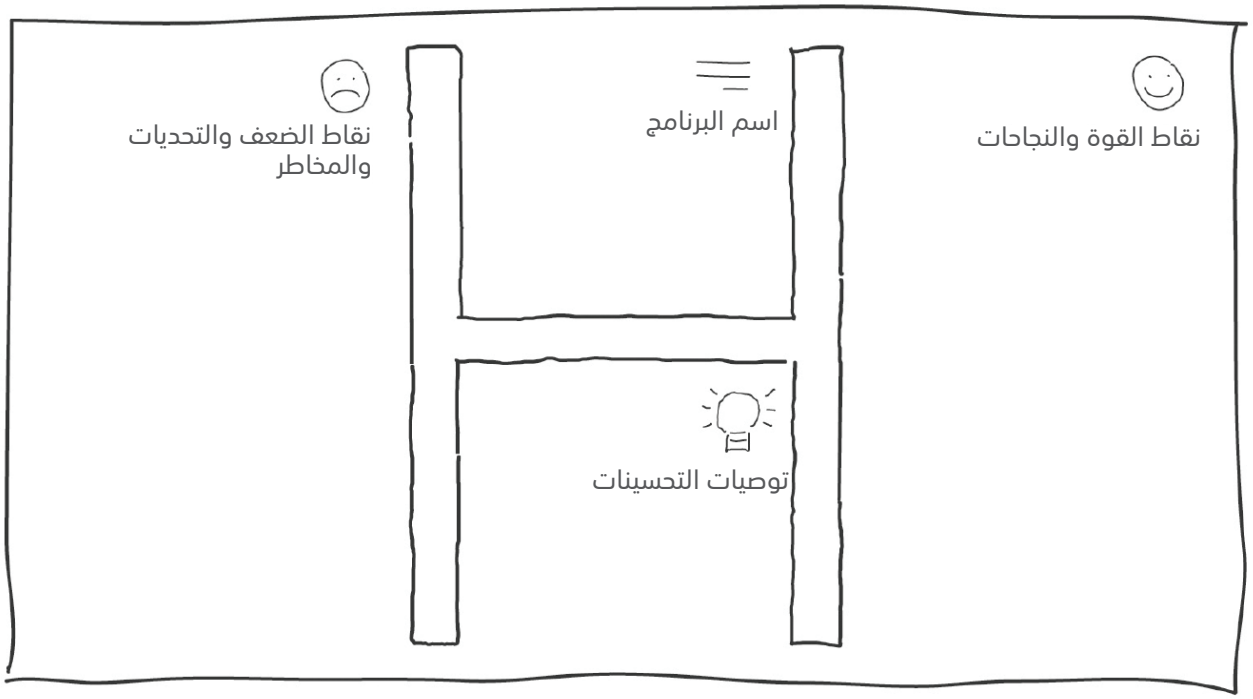

الشكل ٥-٣ مخطط التقدير على شكل حرف "H"

٣. اطلب من المشاركين كتابة اسم البرنامج الذي يستفيدون منه في الجزء الأوسط العلوي. ويمكنهم هنا تدوين ملاحظات حول هويتهم (على سبيل المثال، أربعة فتيان وست فتيات، الأعمار بين ١٢ و١٧ عامًا).
٤. ابدأ بيمين اللوحة، اطلب من المشاركين التفكير أولاً، ثم اذكر بعض نقاط القوة والنجاحات في البرنامج الذي كانوا جزءًا منه. وفي هذه الأثناء، ناقش نطاق ومدى كل من هذه النجاحات (أي هل تم استبعاد بعض الأشخاص؟) بالإضافة إلى بعض العوامل التي ربما تكون قد ساهمت في تحقيق نقاط القوة والنجاحات هذه.
٥. انتقل إلى يَسار الحرف "H" واطلب من المشاركين طرح الأفكار وذكر نقاط الضعف والتحديات والتهديدات التي يتعرض لها البرنامج. ناقش بعض الأسباب الكامنة وراء هذه التحديات.
٦. أسفل الخط الأوسط للحرف "H"، اطلب من المشاركين إضافة أفكارهم وتوصياتهم الخاصة بكيفية تحسين البرنامج. وفي هذه الأثناء، ناقش كيف يمكن تطبيق كل توصية.

يعتبر مخطط التقدير على شكل حرف "H" في حد ذاته مصدرًا قيمًا للبيانات، حيث يوفر نظرة عامة لما تراه الأطراف المعنية في البرنامج على أنه نقاط قوة وضعف رئيسية بالإضافة إلى توصياتهم للتحسين. للمساعدة في تحليلك لهذه المعلومات، يمكنك تشجيع المشاركين على ترتيب القوائم داخل المخطط، حيث يشير الرقم واحد إلى أكبر نقطة قوة أو ضعف أو أكثر إطار عمل واعد. لتسجيل المناقشات، سجل الجلسة إما صوتيًا أو مرئيًا (فيديو)، أو على الأقل اطلب من شخص ما تدوين ملاحظات مفصلة عن المناقشات ثم استخدمها، إلى جانب مخطط التقدير على شكل حرف "H" المكتمل، للإجابة عن سؤال البحث الخاص بك.

قصص التغيير

تعد طريقة "قصص التغيير" *أداة تجريبية* تستند إلى طريقة "التغيير الأكثر أهمية" (راجع Dart and Davies, 2003). تقوم هذه الطريقة على جمع ومناقشة واختيار القصص المتعلقة بالتغييرات التي حدثت في سياق معين كنتيجة لبرنامج. يمكن أن تكون هذه التغييرات إيجابية أو سلبية، وقد تشمل تغييرات في المعرفة أو المهارات أو الاتجاهات أو القيم أو السلوك وكذلك الوصول إلى الخدمات وجودتها. يمكن الحصول على قصص التغيير بعدة سُبُل مختلفة ومبتكرة، من بينها الصور التشاركية (انظر الفصل السادس) والمذكرات والرسومات والدراما. ونركز في هذه المذكرة الإرشادية على القصص المكتوبة التي تم جمعها خلال انعقاد ورشة العمل.

يمكن جمع قصص التغيير في نهاية البرنامج لتحديد التغييرات التي لاحظها المشاركون منذ بداية ذلك البرنامج (التقييم). كما يمكن جمعها كل ثلاثة أو ستة أشهر لتحديد التغييرات التي حدثت على مدار الشهرين الماضيين (المتابعة).

٩٠-١٢٠ دقيقة.

ورق وأقلام ولوح ورقي قلاب وأقلام تحديد.

أولاً وقبل كل شيء، تحدث قصص التغيير بشكل فردي، ولكن يمكن مناقشتها على مستوى المجتمع ومجموعة الأقران. إذا تمت مناقشة القصص بشكل جماعي، فيمكن تشجيع المشاركين على العمل معًا وتجميع قصص التغيير على حسب المواضيع المُتناوَلَة وترتيبها وفقًا لأهميتها. وكما هو موضح هنا، تعمل هذه الطريقة بشكل أفضل مع الأفراد الذين يستطيعون الكتابة، ولكن يمكن تكييفها بسهولة لتناسب أي شخص أمّي من خلال تشجيعه على الرسم ورواية التغييرات على مدوِّن الملاحظات.

١. اشرح الغرض من التمرين وتأكد من فهم المشاركين له.
٢. استخدم لوحة ورقية لإجراء عصف ذهني مع المشاركين وتدوين الملاحظات حول جميع التغييرات التي لاحظوها.
٣. وزع أوراقًا وأقلامًا على المشاركين واطلب منهم كتابة مقالتين صغيرتين حول التغيير الإيجابي والسلبي الذي لاحظوه خلال عدد محدد من الأشهر أو السنوات. يمكن تعزيز كتابة كل مقال من خلال أخذ الأسئلة التالية في عين الاعتبار:
   - لماذا من المهم وصف هذا التغيير الإيجابي أو السلبي؟
   - كيف يرتبط هذا التغيير بحياتك و/أو حياة الناس في مجتمعك؟
   - في رأيك، ما الذي ساهم في حدوث هذا التغيير؟
٤. بمجرد أن ينتهي المشاركون من كتابة القصص، شجعهم على قراءتها ومشاركتها. وفي هذه الأثناء، أجرِ مناقشة تمكّن المشاركين من تحديد الأنماط المشتركة والتوصل إلى اتفاق حول بعض أهم التغييرات الإيجابية والسلبية.

تعد قصص التغيير بيانات مهمة. كما يمكن أن تشكل المناقشات، إذا تم تسجيلها، جزءًا من عملية جمع البيانات الخاصة بك. ويعتبر ترتيب قصص التغيير خطوة أولى مهمة في تحليل البيانات ويوفر لك معلومات أساسية حول التصورات المحلية للتقدم والأثر.

الرسوم البيانية اليومية

تعد طريقة "الرسوم البيانية اليومية" *أداة تخطيط* تسمح للمشاركين باستكشاف روتين حياتهم اليومية. فهي تجعل المشاركين يخططون بشكل مرئي للأنشطة التي يقومون بها في اليوم العادي. تسمح الرسوم البيانية اليومية لك وللمشاركين بتحديد الاختلافات بين أنشطتهم اليومية (Rifkin and Pridmore, 2001). على سبيل المثال، يمكن أن يشمل ذلك تحديد تحمل بعض الأطفال عبء تقديم الرعاية، أو تحديد الاختلافات بين الرجال والنساء، أو بين أولئك الذين يعيشون في المناطق الريفية والحضرية.

تعد الرسوم البيانية اليومية أداة جيدة بشكل خاص لتقدير الاحتياجات وتحليل الأوضاع. يمكنك تكرار التمرين في نهاية البرنامج لمعرفة ما إذا كان الأشخاص يستغلون وقتهم بشكل مختلف حاليًا.

٩٠ دقيقة

ورق A4 ولوح ورقي قلاب وأقلام جافة وأقلام رصاص.

يمكن استخدام الرسوم البيانية اليومية مع كل من الأفراد ومجموعات الأقران. توضح هذه المذكرة الإرشادية أولاً الرسوم البيانية اليومية للأفراد ثم تجمعهم في مجموعات الأقران لمناقشة أوجه الاختلاف والتشابه وكذلك للاتفاق على رسم بياني يومي متوسط ممثل لهم. ويمكن استخدام الرسوم البيانية اليومية هته مع كل من الأطفال والبالغين. وكما هو موضح هنا، تعمل هذه الطريقة بشكل أفضل مع الأفراد الذين يستطيعون القراءة والكتابة، ولكن يمكن تكييفها بسهولة لتناسب الذين لا يعرفون القراءة والكتابة من خلال تشجيعهم على الرسم ورواية التغييرات على مدون الملاحظات.

١. اشرح الغرض من التمرين وتأكد من أن المشاركين يفهمون ما طلب منهم القيام به. قدم لهم مثالاً لما قد يبدو عليه الرسم البياني اليومي (انظر الشكل ٥-٤ للحصول على مثال).
٢. اطرح أفكارًا حول عدد من العوامل التي قد يرغب المشاركون في تضمينها، مثل ساعات النوم، ووقت الترفيه، والوقت الذي يقضى مع أشخاص مختلفين، والمشاركة في برنامج، وساعات الطهي، والتنظيف، وممارسة الأنشطة المُدرة للدخل، والدراسة، وما إلى ذلك.
٣. امنح المشاركين ورقة وأقلام رصاص واطلب منهم رسم مخططهم اليومي، مع تسجيل الساعات التي يقضونها في الأنشطة المختلفة في يوم عادي من أيام الأسبوع. كرر التأكيد على أنهم بحاجة إلى اعتبار الـ ٢٤ ساعة في اليوم.
٤. امنح المشاركين ورقة أخرى واطلب منهم إنشاء رسمهم البياني اليومي، مع تسجيل الساعات التي يقضونها في الأنشطة المختلفة في يوم عطلة نهاية الأسبوع العادي.
٥. بمجرد إنشاء الرسوم البيانية اليومية، اطلب منهم أن يجتمعوا في مجموعات ذات خصائص متشابهة (النوع الاجتماعي، الفئة العمرية، العرق، إلخ) أو تجارب متشابهة (متزوج، مصاب بفيروس نقص المناعة البشرية، لديه مسؤوليات تقديم الرعاية). في هذه المجموعات، يمكن للمشاركين تحديد الأنماط المشتركة وإنشاء رسم بياني يومي يمثل المجموعة.
٦. إذا كان هناك أكثر من مجموعة، فاطلب منهم أن يجتمعوا معًا لمناقشة أوجه التشابه والاختلاف. على سبيل المثال، إذا كانت لديك مجموعتان - مجموعة من الرجال ومجموعة من النساء - يمكن لهاتين المجموعتين الاجتماع معًا ومناقشة الاختلافات بين روتينهم اليومي.

توفر كل من الرسوم البيانية اليومية الفردية والرسوم البيانية الجماعية للأقران بيانات قيمة تتعلق بالأنشطة التي تشغل حياة الناس اليومية. تتمخض عن المناقشات ظهور رُؤى وأفكار هامة، ومن الجدير الاستفادة من تلك المناقشات. لذا، فإنه من الجيّد أن تحرص على تسجيل المناقشات صوتيًا أو بالفيديو أو أن تطلب من شخص ما تدوين ملاحظات مفصلة.

الشكل ٥-٤ رسم بياني يومي رسمته فتاة من كينيا تبلغ ١٤ عامًا

البيانات التاريخية

تعد طريقة "البيانات التاريخية" *أداة تجريبية* تتضمن وضع مخطط للأحداث المهمة تاريخيًا في جدول زمني. تساعدك البيانات التاريخية على تحديد التجارب السابقة التي يمكن أن تساعدك أنت والمشاركين في وضع سياق للوضع الحالي للفرد أو المجتمع وفهم هذا الوضع (Rifkin and Pridmore, 2001). نظرًا لأنه من الممكن وضع العديد من الأحداث التاريخية المختلفة، فمن المهم أن يتم إنجاز التمرين في إطار موضوع البحث الخاص بك. على سبيل المثال، يمكن للأفراد تحديد الأحداث التي مثلت أهمية كبيرة في حياتهم (مثل الهجرة أو الوفيات داخل الأسرة أو المشاركة في برامج التنمية). من ناحية أخرى، يمكن لأعضاء المجتمع، كمجموعة، تحديد الأحداث المتعلقة بإنتاج الغذاء وأنماط المرض والأحداث السياسية والتقاليد الثقافية وتطوير البنية التحتية وتوفير الخدمات وغيرها من الأشياء.

تعد البيانات التاريخية مفيدة بشكل خاص لتقدير الاحتياجات وتحليل الأوضاع حيث يمكن أن تساعدك المعلومات المتعلقة بالأحداث الماضية والتاريخية على فهم الوضع الحالي للأفراد أو المجتمعات.

٤٥-٦٠ دقيقة.

أقلام وورق (للأفراد)، أو لوح ورقي قلاب وقلم تحديد (للمجموعات).

إذا كان هدفك هو تحديد الأحداث الرئيسية في حياة الأفراد، من أجل فهم وضعهم الحالي، فيجب الحصول على البيانات التاريخية من أفراد. من ناحية أخرى، إذا كنت تحاول فهم الأحداث المجتمعية الرئيسية (مثل حالات الجفاف أو تفشي الأمراض) وكيف أثرت على الوضع الحالي، فيجب الحصول على البيانات التاريخية من مجموعة من أفراد المجتمع. يمكن استخدام هذه الطريقة مع كل من الأطفال والبالغين. وكما هو موضح، تعمل هذه الطريقة بشكل أفضل مع الأفراد الذين يستطيعون القراءة والكتابة، ولكن يمكن تكييفها بسهولة لتناسب الذين لا يعرفون القراءة والكتابة من خلال تشجيعهم على الرسم ورواية التغييرات على مدون الملاحظات.

١. اشرح طريقة البيانات التاريخية وتأكد من أن المشاركين يعرفون كيفية استخدامها. اتفق على ما تركز عليه البيانات التاريخية (على سبيل المثال، الجفاف أو أنماط هطول الأمطار، أو الهجرة الفردية والتنقل).
٢. اعرض مثالاً للبيانات التاريخية المقدمة إما من فرد (انظر الشكل ٥-٥ للحصول على مثال) أو من مجموعة، اعتمادًا على هدفك.
٣. اطلب من الأفراد أو مجموعات الأفراد رسم خط أفقي أو عمودي يمثل فترة زمنية يمكنهم تذكرها. من المحتمل أن تكون الجداول الزمنية للأطفال بالسنوات، كما يوضح الشكل ٥-٥. بينما يمكن أن تكون الجداول الزمنية التي كتبها أعضاء المجتمع المسنون بالعقود.
٤. اطلب من الشخص أو مجموعة الأشخاص تحديد الأحداث المهمة على طول الخط.
٥. يمكنك بعد ذلك مناقشة هذه البيانات التاريخية وتوضيح أهمية الأحداث المحددة وصلتها باليوم.

١٩٩٤ وُلدت في قرية سيمجا.
١٩٩٦ بدأت مرحلة رياض الأطفال.
١٩٩٧ ذهبت للإقامة مع شقيقتي حيث استمريت في الدراسة.
١٩٩٨ انتقلت إلى الصف الثاني.
١٩٩٩ تُوفي شقيقنا الأكبر وعدت إلى المنزل لحضور الجنازة.
٢٠٠٠ كنت في الصف الثالث في مكان يدعى قرية أوبوك.
٢٠٠١ تُوفيت شقيقتي في ذلك العام أيضًا. كانت هزيلة، ثم تُوفيت.
٢٠٠٢ عُدت حتى أمكث مع والدتي.
٢٠٠٣ تُوفيت والدتي الحقيقية، ثم تزوج أبي بامرأة أخرى.
٢٠٠٤ استمريت في الدراسة وأصبحت في الصف الخامس.
٢٠٠٥ أصبح أبي هزيلاً أيضًا، ثم تُوفي. في النهاية، ظللت مع زوجة أبي.
٢٠٠٦ كنت في الصف السابع.
٢٠٠٧ الآن، أنا في الصف الثامن. لا زلت أقيم مع زوجة أبي. أنا بخير معها.

الشكل ٥-٥ مثال على البيانات التاريخية لفتاة من كينيا تبلغ من العمر ١٣ عامًا مصابة بفيروس نقص المناعة البشرية

تقدم البيانات التاريخية والمناقشات اللاحقة بيانات مهمة لأي دراسة حيث يمكن أن تساعد الرؤية التاريخية على فهم الوضع الحالي بشكل أفضل.

ترتيب التفضيلات

تُعد طريقة "ترتيب التفضيلات" *أداة لتحديد الأولويات والقياس الكميّ* تمكن أعضاء المجتمع من التوصل إلى توافق في الآراء حول القضايا أو الإجراءات التي يجب إعطاؤها الأولوية. إنها تتضمن مقارنة الخيارات المختلفة والتصويت عليها (International HIV/AIDS Alliance, 2006 وRifkin and Pridmore, 2001).

إن طريقة ترتيب التفضيلات جيدة بشكل خاص لتقدير الاحتياجات لأنها تتضمن تصنيف أفراد المجتمع وترتيب احتياجاتهم حسب أولويتها. يمكن أيضًا استخدام ترتيب التفضيلات كجزء من مراجعة ما بعد العمل، إذا كان البرنامج سيستمر وقد نشأت احتياجات جديدة.

٤٥-٦٠ دقيقة.

لوح ورقي قلاب وأقلام.

يتطلب ترتيب التفضيلات وجود مجموعة أو مجتمع. يمكنك إما القيام بترتيب التفضيلات مع المجتمع بأكمله، أو تقسيم المشاركين إلى مجموعات الأقران تنتج كل منها ترتيب التفضيلات الخاص بها. ويمكن استخدامها مع البالغين والأطفال، بغض النظر عن مستوى قدرتهم على القراءة والكتابة. يرجى ملاحظة أن عملية التصويت قد لا تتم بسهولة في جميع البيئات، وقد تعتبر غير مناسبة في حالات نادرة.

١. ابدأ التمرين بقائمة محددة من القضايا والمشكلات، أو الإجراءات والحلول لتحديد الأولويات. يمكن إنشاء هذه القائمة من طرائق جمع البيانات التشاركية الأخرى، مثل طريقة شجرة المشكلة. وربما تكشف المقابلات النوعية ومناقشات مجموعة التركيز عن عدد من المشكلات والحلول التي ترغب في أن يرتبها المجتمع حسب درجة أولويتها وأفضليتها. تتكون أفضل قائمة لهذه الطريقة من خمسة إلى ثمانية خيارات للمقارنة.
٢. اشرح الغرض من التمرين وتأكد من أن المشاركين يفهمون ما طلب منهم القيام به. قدم لهم مثالاً لترتيب التفضيلات (انظر الجدولين ٥-٢ و٥-٣).
٣. إذا كنت تعمل في بيئة مجتمعية، فيمكنك إما المضي قدمًا مع المجموعة الكبيرة أو تقسيم الأشخاص إلى مجموعات أقران (على سبيل المثال، وفقًا للنوع الاجتماعي أو حالة التوظيف أو العمر أو العرق).

الجدول ٥-٢ مثال على التصويت المزدوج على مشكلات المجتمع

المشكلات الصحية	الديدان الطفيلية المنقولة بالتربة	الملاريا	حمى الضنك	مرض النوم	الدوسنتاريا
الديدان الطفيلية المنقولة بالتربة	–	الملاريا	الديدان الطفيلية المنقولة بالتربة	الديدان الطفيلية المنقولة بالتربة	الدوسنتاريا
الملاريا	–	–	الملاريا	الملاريا	الملاريا
حمى الضنك	–	–	–	حمى الضنك	الدوسنتاريا
مرض النوم	–	–	–	–	الدوسنتاريا
الدوسنتاريا	–	–	–	–	–

الجدول ٥-٣ مثال لترتيب التفضيلات من خلال التصويت المزدوج

	عدد مرات التفضيل	الترتيب
الملاريا	٤	١
الدوسنتاريا	٣	٢
الديدان الطفيلية المنقولة بالتربة	٢	٣
حمى الضنك	١	٤
مرض النوم	٠	٥

٤. لكل مجموعة، ارسم مصفوفة يكتب فيها كل خيار عبر الصف العلوي وأسفل العمود الأيسر (انظر الجدول ٥-٢ للحصول على مثال).
٥. اشطب جميع المربعات التي تحتوي على الزوج نفسه من الخيارات بالإضافة إلى جميع المربعات الموجودة أسفل خط الأزواج المزدوجة، لأنها مجرد تكرار للخيارات الزوجية.
٦. ابدأ بالمربع العلوي الأيمن، وادعُ المشاركين للمقارنة بين الخيارين. من المثال الوارد في الجدول ٥-٢، يمكنك أن تسأل المشاركين عن أي المشكلتين الصحيتين التي يرون أنها الأكبر في مجتمعهم: الدوسنتاريا أم الديدان الطفيلية المنقولة بالتربة؟ اسمح للمجموعة بمناقشة الخيارات قبل أن تطلب منهم اتخاذ القرار. قد تحتاج إلى إجراء تصويت عن طريق رفع الأيدي. اكتب تفضيلاتهم الجماعية في المربع.
٧. كرر الخطوة ٦ لكل من المربعات المتبقية، مع تسجيل تفضيلاتهم داخل المصفوفة.
٨. على لوحة ورقية أخرى، ارسم مصفوفة فيها الخيارات التي تمت مقارنتها (انظر الجدول ٥-٣ للحصول على مثال).
٩. ابدأ في حساب عدد المرات التي تم فيها تسجيل كل خيار على أنه الخيار المفضل.
١٠. رتب الخيارات وفقًا لعدد المرات التي تم تفضيلها فيها. وبهذا تكون المجموعة قد تم ترتيب خياراتها.
١١. إذا قسمت المجتمع إلى مجموعات من الأقران، فقد يكون لديك أكثر من مصفوفة ترتيب التفضيلات، وقد لا يكون هناك اتفاق بالضرورة بينها. على سبيل المثال قد يكون للنساء والرجال، أو البالغين والأطفال، تفضيلات مختلفة. اغتنم هذه الفرصة لمناقشة الاختلافات مع المجتمع. يمكنك بعد ذلك إما تكرار التمرين مع المجتمع بأكمله، أو يمكنك ببساطة إضافة درجات التفضيل من كل مجموعة للحصول على ترتيب تفضيلات المجتمع ككل.

تمكّنك طريقة ترتيب التفضيلات أنت والمجتمع المحلي من فهم أولوياته بالإضافة إلى الفروق داخل المجتمع. إن لهذه الطريقة آثارًا فورية على إعداد البرامج، وستؤدي إلى تحسين وعي المجتمع، كما أنها توفر لك أيضًا نظرة ثاقبة على المشكلات أو الإجراءات التي يعتبرها المجتمع أكثر أهمية وصلة لتتم معالجتها. ولكن الأهم من ذلك، أن المناقشات الجارية في عملية ترتيب التفضيلات تزودك أنت والمجتمع المحلي بفهم لبعض الأسباب التي تجعل الناس يختارون خيارًا واحدًا دون الآخر. إذا قام الرجال والنساء أو البالغون والأطفال بإجراء ترتيب التفضيلات بشكل منفصل، فيمكن أن يسهل ذلك التحليل القائم على النوع الاجتماعي أو التحليل بين الأجيال للبيانات النوعية. من المهم أن يتم تسجيل هذه المناقشات وأن تشكل جزءًا من بياناتك النوعية.

رسم خرائط المجتمعات المحلية

تعد طريقة "رسم خرائط المجتمعات المحلية" *أداة رسم خرائط* تمكن أعضاء المجتمع من رسم مجتمعهم وإبراز الأماكن والحدود والأشخاص والبنية التحتية أو الموارد ذات الأهمية (Rifkin and Pridmore, 2001).

يمكنك تحديد تركيز خريطة المجتمع استنادًا إلى هدف دراستك. إذا كنت مهتمًا بمعرفة كيفية تكيف الناس مع الفقر، فيمكنك أن تطلب من المجتمع رسم خريطة الموارد. بصفتك ممارسًا في مجال التنمية، قد تكون مهتمًا بالتدخلات الأخرى المتاحة في سياق معين، ويمكنك دعوة المجتمع لرسم خريطة الخدمات والمرافق والأنشطة ذات الصلة بقضية معينة.

يمكن أن تساعدك خرائط المجتمع في إشراك أفراد المجتمع في بداية المشروع لينضموا إليه، حيث تتيح لهم التعبير عن معرفتهم بشكل مرئي. يمكن استخدام هذه المعرفة لتعزيز الوعي بنقاط القوة والضعف المحلية ولإثارة المناقشة حول أهمية العناصر المختلفة المرسومة في الخريطة، وأي شواغل بشأن المجتمع، وما يرغبون بتغييره.

١٢٠ دقيقة

لوح ورقي قلاب وأقلام.

يمكن رسم خرائط المجتمع بشكل فردي أو من قبل مجموعات صغيرة من الأقران. للتأكد من مشاركة الجميع، من المستحسن ألا يتجاوز عدد أفراد المجموعة ثمانية أشخاص أو يسمح العدد بجلوسهم جميعًا حول الورقة التي يتم رسم الخريطة عليها. ويمكن استخدامها مع البالغين والأطفال، بغض النظر عن مستوى قدرتهم على القراءة والكتابة.

١. اشرح الغرض من التمرين وتأكد من أن المشاركين يفهمون ما طلب منهم القيام به. قدم لهم أمثلة لخرائط المجتمع. يوضح الشكل ٥-٦ خريطة مجتمع رسمها أطفال يتحملون مسؤوليات تقديم الرعاية في ريف غرب كينيا، حيث تعرض بشكل واضح مركز المجتمع (المبنى ذو الهوائي، ومجمع مبانٍ به مخزن حبوب وأحواض تغطيس الماشية).

٢. قسّم المجتمع إلى مجموعات من الأقران، وامنح كل مجموعة لوحة ورقية وأقلام. سيسمح لك ذلك بمقارنة المجموعات المختلفة ومناقشة الفروق. اطلب من كل مجموعة القيام بعصف ذهني وطرح أفكار حول أنواع الأشياء التي يريدون تضمينها في خريطتهم، قد تكون أي شيء مهمٍ بالنسبة لهم، أو يمكن أن تركز الخريطة على أشياء معينة، بناءً على هدف الدراسة، مثل الخدمات الصحية أو توزيع الأراضي.

٣. اطلب من مجموعات الأقران رسم خرائطهم، بدءًا بتحديد حدود مجتمعهم ورسم الطرق والمسارات الرئيسية.

٤. اجمع المجموعات معًا وأجرِ مناقشة عن الخرائط. شجع المشاركين على طرح أسئلة حول العناصر التي تظهر في الخرائط المختلفة. وفي هذه الأثناء، حدد أوجه التشابه والاختلاف بين مجموعات الأقران.

من المرجح أن ترسم المجموعات خرائط مختلفة تمامًا للمجتمع نفسه، حيث قد يعكس تركيزهم أو مركز المجتمع تصوراتهم المتفاوتة لما هو مهم بالنسبة لهم. تشكل الخرائط والمناقشات حول الاختلافات الجماعية بيانات مهمة. كما توفر خرائط المجتمع للباحثين معلومات أساسية لا تقدر بثمن حول المجتمع. ويمكن لهذه الخرائط تزويدك بالنقاط المرجعية التي يمكن أن تسهل الفهم والمناقشات التي تتم بينك وبين أفراد المجتمع، سواء عند إجراء المقابلات أو تقدير الاحتياجات.

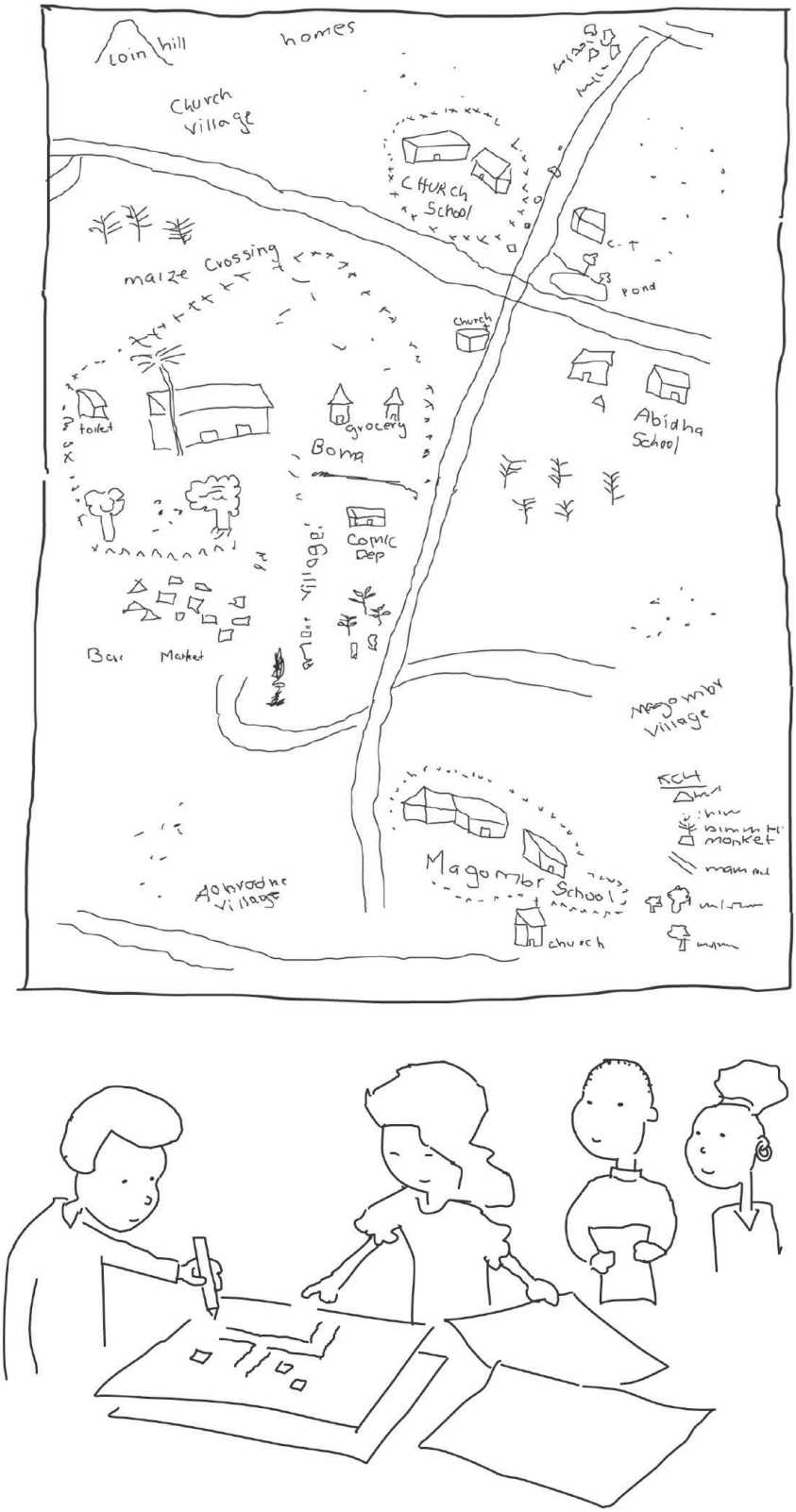

الشكل ٥-٦ خريطة مجتمع رسمها أطفال يتحملون مسؤوليات تقديم الرعاية في غرب كينيا

المخطط العنكبوتي

تعد طريقة "المخطط العنكبوتي" *أداة تخطيط* تسمح لك وللمجتمع بتقدير تصورات المجتمع المحلي للتغيير الناتج عن برنامج ما، مع إبراز نقاط القوة والقيود في البرنامج. يسمح لك المخطط العنكبوتي بتقدير التغيير باستخدام ما بين خمسة إلى ثمانية مؤشرات من خلال تحديد درجة لكل مؤشر على المخطط، يمكن وضع الدرجات معًا على شبكة العنكبوت لتوضيحها. إذا تم ذلك قبل وبعد البرنامج، فيمكن أن يوضح المخطط العنكبوتي التغيير الملحوظ.

يمكن استخدام المخطط العنكبوتي لتقدير تصورات الناس حول معارفهم ومهاراتهم وسلوكياتهم فيما يتعلق بقضية ما أو بمشاركتهم في برنامج تنموي. استخدم Rifkin and Pridmore (٢٠٠١) مخطط عنكبوتي لتقدير مشاركة المجتمع وحدد خمسة مؤشرات: ١) تقدير الاحتياجات، ٢) القيادة (يقوم القادة المحليون بإشراك المجتمع الأوسع)، ٣) التنظيم (الروابط التي تجمع بين البرنامج وأنشطة أخرى)، ٤) تعبئة الموارد (المساهمات المحلية في المشروع)، ٥) الإدارة (يقوم أعضاء المجتمع بدور إداري). تشير الدرجة ١ أو ٢ إلى مشاركة ضعيفة، بينما تشير الدرجة ٤ أو ٥ إلى مشاركة كبيرة (انظر الشكل ٥-٧).[١]

يمكن استخدام المخطط العنكبوتي لتقييم ومراجعة جوانب معينة من البرنامج، مثل المشاركة أو تغيير البرنامج.

١٢٠ دقيقة

لوح ورقي قلاب وأقلام.

من الأفضل تسهيل استخدام المخطط العنكبوتي في إطار المجموعة أو المجتمع المحليّ. يمكنك استخدام تمرين المخطط العنكبوتي مع المجتمع بأكمله أو تقسيم المجتمع إلى مجموعات من الأقران التي تنتج

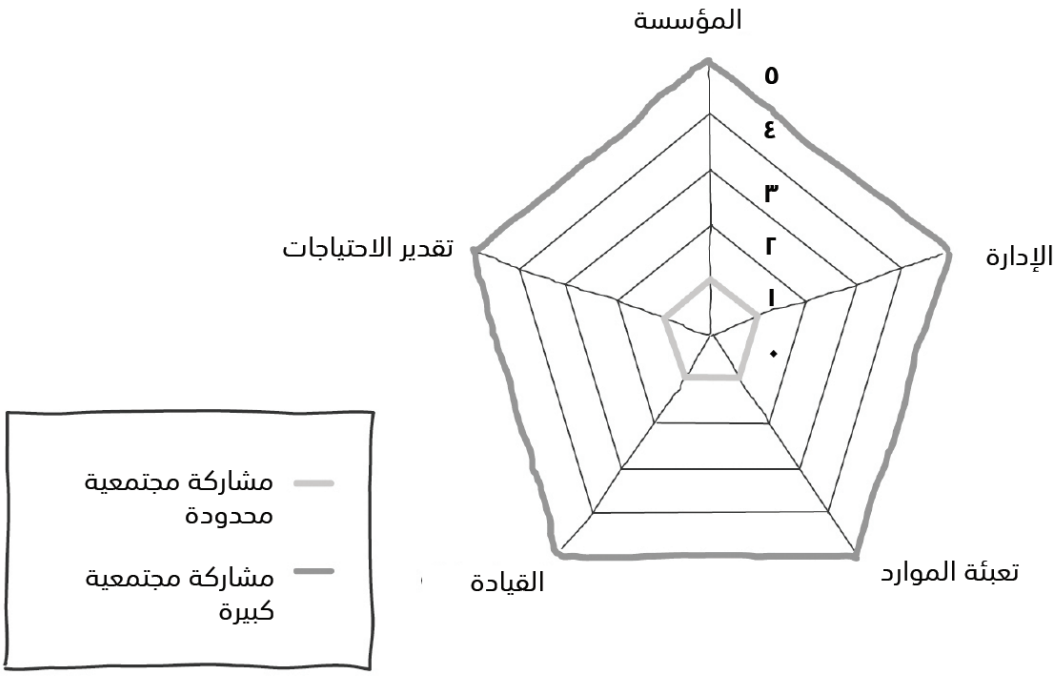

الشكل ٥-٧ مخطط عنكبوتي لتقدير مشاركة المجتمع
المصدر: Baatiema et al. (2013).

كل منها المخطط العنكبوتي الخاص بها. يمكنك بعد ذلك ضم مجموعات الأقران معًا وتشجيعهم على استكشاف الاختلافات في المفاهيم بين المجموعات. ويمكن استخدامها مع البالغين والأطفال، بغض النظر عن مستوى قدرتهم على القراءة والكتابة.

١. اشرح الغرض من التمرين واعمل مع أفراد المجتمع لتحديد ما الذي سيقومون بتقديره وكذلك المؤشرات التي ينبغي استخدامها. قد يقومون بتقدير مشاركة المجتمع أو جدارة المجتمع في أي مجال ذي صلة بالبرنامج. إذا كنت تعمل في برنامج يسعى إلى بناء قدرة المجتمعات على الاستجابة للصعوبات التي يواجهها الأيتام والأطفال الضعفاء (OVC)، فيمكنك التفكير في المؤشرات التالية: المعرفة والمهارات المتعلقة برعاية الأيتام والأطفال الضعفاء، والفرص المتاحة لأفراد المجتمع لمناقشة محنة الأيتام والأطفال الضعفاء والتخطيط لحلها، والاعتراف بنقاط القوة المحلية والموارد اللازمة لمواجهة الصعوبات، والثقة في القدرة على دعم الأيتام والأطفال الضعفاء، وتماسك المجتمع، والعلاقات مع مصادر الدعم الخارجية (Skovdal and Campbell, 2010).
٢. لكل مؤشر، اعمل مع أفراد المجتمع لتحديد بضعة أسئلة يمكنهم مناقشتها من أجل منحه درجة.
٣. وضح لهم كيفية رسم مخطط عنكبوتي يتضمن المؤشرات المتفق عليها. اشرح للمشاركين أن كل ذراع من أذرع المخطط العنكبوتي يمثل جزءًا من سلسلة متواصلة، وله درجة تتراوح من ١ إلى ٥. ضع الدرجات الخمس على كل ذراع من أذرع المخطط العنكبوتي (انظر الشكل ٥-٧ للحصول على مثال).
٤. قسّم المجتمع إلى مجموعات من الأقران واطلب منهم رسم المخططات العنكبوتية الخاصة بهم، وكذلك مناقشة كل مؤشر من مؤشراتهم ومنحه درجة. بمجرد حصول كل مؤشر على درجة، يمكن رسم خط بين الدرجات مما يشكل شبكة عنكبوت.
٥. اجمع المجموعات معًا وامنحهم فرصة لتقديم مخططاتهم، مع شرح أسباب الحصول على تلك الدرجات.
٦. بمجرد عرض جميع المخططات، من الممكن رؤية أوجه الاختلاف والتشابه بين مجموعات الأقران التي يمكنها بعد ذلك استكشاف هذه الاختلافات ومناقشتها.
٧. إذا تم إجراء هذا النشاط في بداية البرنامج، كجزء من تقدير الاحتياجات أو خط الأساس، فيمكن حفظ المخطط العنكبوتي وتكرار التمرين، في نهاية البرنامج مثلاً، لتوضيح التغيير بشكل مرئي (إذا اختلفت الدرجات عن خط الأساس!).

تمكّنك طريقة المخطط العنكبوتي من جمع المعلومات بشكل منهجي عن المؤشرات الرئيسية المتعلقة بموضوع ما، مثل مشاركة المجتمع في برنامج أو الجدارة التي أصبح يتسم بها أفراد المجتمع المحلي كنتيجة لاستفادتهم من البرنامج. يمكن استخدام هذه الطريقة كأداة متابعة لتحديد نقاط الضعف والقوة في البرنامج. وكما هو الحال مع معظم طرائق جمع البيانات التشاركية، فإن الحصيلة، وهي توضيح مرئي للتغيير، ليست هي المكون الوحيد للبيانات، حيث يجب تسجيل المناقشات التي أدت إلى الدرجات وكذلك المناقشات التي تستكشف وتشرح الاختلافات بين مجموعات الأقران إذ تشكل جزءًا من عملية جمع البيانات.

ما التالي؟

لقد قدمنا الآن تسع طرائق مختلفة لجمع البيانات التشاركية وقدمنا بعض الخطوات العملية لكيفية إدارة ورش العمل باستخدام هذه الطرائق. يقدم لك الفصل التالي طريقة تشاركية إضافية لجمع البيانات تسمى الصور التشاركية.

تتميز هذه الطريقة عن غيرها من طرائق جمع البيانات التشاركية بكونها مرنة ويمكن استخدامها بسُبُل مختلفة لا حصر لها، وتخدم أغراضًا مختلفة، ويمكن استخدامها في مراحل مختلفة من دورة المشروع (انظر الشكل ١-٣ في الفصل الأول). لذا من المهم ألا تستخدم إرشاداتنا باعتبارها الطريقة الوحيدة لجمع البيانات التشاركية، ولكن يمكنك أن تستلهم من اقتراحاتنا أثناء وضع خططك الخاصة. تحتاج إلى وضع موضوع البحث في الاعتبار وتكييف الطرائق ليس لتتناسب مع موضوعك فحسب، ولكن لتتناسب أيضًا مع اهتمامات وقدرات المجتمع.

بصفتك ممارسًا في مجال التنمية، ربما تكون قد استخدمت أدوات تشاركية من قبل، مثل تلك التي سبق أن ذكرناها في هذا الكتاب. ولكن كيف يختلف استخدامها كطرائق تشاركية لجمع البيانات؟ يكمن الاختلاف الرئيسي في أنك تبذل قصارى جهدك لفهم المناقشات التي تجري في العملية وكذلك ملاحظة المجموعة والقوى المُحرِّكَة، وتأثيرها على توليد البيانات. تعد هذه المناقشات بالإضافة إلى التمثيلات المرئية، التي ينتجها أفراد المجتمع، أشكالًا مهمة من البيانات التي يمكن تحليلها بشكل منهجي، تمامًا مثل نصوص المقابلات الفردية. بشكل مثالي، يجب أن تكون قادرًا على تسجيل المناقشات بالصوت أو الفيديو وتفريغ هذه التسجيلات، في حالة إذا حصلت على موافقة مستنيرة تتيح لك القيام بذلك. وعلى أقل تقدير، يجب أن يوجد مدون ملاحظات مخصص يسجل تفاصيل المناقشات بالإضافة إلى تفاعلات المشاركين.

العديد من الطرائق التي سبق أن ذُكرت هنا تُعَدُّ مناسبة أيضًا للتقديرات "القبلية والبَعديّة". وفي حين أنه يمكن لهذه الطرائق أن تثير نقاشًا حول التغيير في المجتمع ويمكن أن توفر للمجتمعات تمثيلًا مرئيًا لهذا التغيير الملحوظ، يجب أن تكون حريصًا بشأن إسناد التغيير إلى برنامج معين. على الرغم من أنه يمكن أيضًا مناقشة المجتمع لهذا الأمر بشكل مفيد، إلا أنه لا يمكن قياس الإسناد إلا باستخدام تصميم بحث كمي معقد.

العثرات الشائعة التي تعترض استخدام طرائق جمع البيانات التشاركية

لا يخلو استخدام طرائق جمع البيانات التشاركية من التحديات. يعتمد نجاح الطرائق التشاركية، إلى حد كبير، على الميسر الذي يدرك كيف تشكل العلاقات والتفاعلات البشرية التصورات المحلية للأحداث، وإنتاج المعلومات (البيانات). لمساعدتك على التبحر في العلاقات الاجتماعية المعقدة وجمع وجهات نظر جميع أفراد المجتمع، سنناقش الآن بعض العثرات الأكثر شيوعًا في استخدام طرائق جمع البيانات التشاركية.

تعقيد المجتمع

لا ينبغي التقليل من دور الطبيعة الفوضوية "للمجتمع". يتم استخدام العديد من طرائق جمع البيانات التشاركية في بيئة مجتمعية، لذا من المهم أن تحدد ما تعنيه بكلمة "المجتمع".

تميل المجتمعات إلى الارتباط ببعضها البعض من خلال وجود شيء مشترك (Howarth, 2001). يمكن أن يتضمن ذلك وجود غاية مشتركة. على سبيل المثال، قد يكون لمجموعة من النساء غاية مشتركة وهي حماية مجموعة من الأطفال المعرضين للخطر. يمكن أن يتكون المجتمع أيضًا من أشخاص يتشاركون نفس المعتقد، مثل الدين، أو نفس الهواية، مثل كرة القدم. يمكن أن يتكون المجتمع أيضًا من مجموعة من الأشخاص الذين يتشاركون هوية، مثل أولئك المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية، أو الذين يتشاركون مساحة جغرافية، مثل قرية. من المهم أن ندرك أنه يمكن للأشخاص الانتماء إلى أكثر من مجتمع وأن الناس داخل المجتمع الواحد قد لا يتشاركون دائمًا نفس القيم والأجندات، حتى لو كانوا جزءًا من المجتمع نفسه.

النشاط ٥-١: التفكير في تنوع المجتمعات

المجتمعات ليست كيانات متجانسة. وفي هذا الصدد، يُشجعك هذا النشاط على التفكير في تنوع المجتمع.

١. اكتب قائمة بالمجتمعات التي تنتمي إليها.
٢. فكر فيما يؤهلك لأن تكون عضوًا في هذه المجتمعات وكيف يقوم كل مجتمع من هذه المجتمعات بدور في تحسين حالتك.

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

علاقات السلطة

أي مجتمع تَحكُمُه ديناميكيات السلطة والسياسة، وقد يكون من الصعب جدًا التعرف عليها بالنسبة للميسرين الذين من خارج هذا المجتمع. ولكن هذا لا يعني أنها غير موجودة. لذلك يجب أن تكون حريصًا على عدم اعتبار وظائف وهياكل مجتمعية معينة أمرًا مفروغًا منه، ولكن يجب الانتباه إلى دور الديناميكيات القائمة على النوع الاجتماعي والعرق والعلاقات بين الأجيال، وإلى أي خلافات محتملة بين العائلات والجيران، ودور قادة المجتمع في تشكيل تلك الهياكل المجتمعية. قد تسلط طرائق جمع البيانات التشاركية الضوء على القضايا داخل المجتمع مما يحث على التغيير وتحدي العلاقات السلطوية والوضع الراهن. لا يرحب أصحاب السلطة بهذه التغييرات دائمًا، وفي بعض البيئات المليئة بالخصومات والعداوات، يمكنها أن تجعل المجتمع أكثر ضعفًا وتهميشًا.

المشاركة

تعني المشاركة معاني مختلفة لمختلف الناس (Fraser, 2005) ويمكن استخدامها إما لتسهيل التغيير التحويلي أو لتكون بمثابة تمويه لإقناع السكان المحليين بقبول أجندات الآخرين (Cooke and Kothari, 2001). وغالبًا ما تُستخدم المشاركة لتعني شيئًا ما بينهما. بصفتك ميسرًا، يجب أن تكون مدركًا لدورك في تيسير العملية وكيف يمكن لمصالح مؤسستك أن تؤثر على البيانات. لذا، عليك الموازنة بين عمليات التيسير التي تفوض السلطة والسيطرة إلى المجتمع وتلك التي تتيح لأعضاء المجتمع أن يكون لهم رأي في وضع جدول الأعمال، مع الاستمرار في العمل ضمن إطار عمل مؤسستك.

بناء القدرات

احرص على عدم الاستهانة بالحاجة إلى بناء القدرات. تحتاج أنت والمجتمع إلى التدريب والتجهيز بشكل كامل لتيسير ورش العمل باستخدام طرائق جمع البيانات التشاركية. يمكن أن يؤدي الدعم والتدريب غير الكافيين إلى لامبالاة المجتمع وإحباطه وتثبيطه، مما يجعل من الصعب عليك وعلى المجتمع جمع معلومات مفيدة للدراسة. كما أنه من نافلة القول أن أنشطة بناء القدرات تتطلب منك، أو من أفراد المجتمع، التوفر على معرفة أو خبرة لدمجها والبناء عليها.

التزامات الوقت

قد تكون طرائق جمع البيانات التشاركية مستهلكة للوقت. حتى لو لم تستغرق ورشة العمل أكثر من ساعتين، فإن الوقت المُخصَّص للاستعدادات التي تسبق انعقاد الورشة وكتابة المناقشات التي تُطرَحُ أثناءها يزيدان بشكل كبير الوقت المُستغرَق في إجراء البحث. بالنسبة لأفراد المجتمع، يمكن أن يمثل وقت التطوع تحديًا وقد يشعر بعض الأعضاء بأنهم مرهقون ومثقلون بالعملية.

كيف تكون ميسرًا جيدًا

التيسير هو ما يميز طرائق جمع البيانات التشاركية عن طرائق البحث الأكثر تقليدية، على سبيل المثال عندما يطرح الباحث أسئلة تعكس اهتماماته. من خلال تولي دور الميسر، يقوم الباحث بتسليم قَدْرٍ من السلطة والتحكم إلى المشاركين، مما يمكنهم من توجيه العملية وأن يصبحوا باحثين في مواقف حياتهم الخاصة. ولتحقيق ذلك، يتعين على الميسر القيام بما يلي:

- *قدّم نفسك واشرح سبب وجودك.*
- *تحلّ بالشفافية والوضوح:* تحتاج إلى كسب ثقة المشاركين، ويُعَدُّ التحلي بالشفافية والوضوح بشأن هدفك ودورك في تسهيل هذه الأنشطة أحد السُبُل الكفيلة لتحقيق ذلك.
- أظهر الاهتمام: إظهار اهتمام حقيقي بمواقف في حياة المشاركين هو من أيضًا من بين سُبُل كسب الثقة، لذا كن مستعدًا وملتزمًا ومهتمًا.
- ضع القواعد الأساسية: اعمل مع المشاركين لوضع قواعد أساسية تتضمن احترام الآراء المتنوعة، والسرية، والالتزام بالوقت، والمشاركة النشطة.
- اصدر تعليمات واضحة: اشرح الطرائق بعناية شديدة وتأكد من أن جميع المشاركين يعرفون كيفية استخدامها وكذلك مدى ملاءمتها.
- ادعم العملية التشاركية: يتضمن ذلك عدم التركيز بشكل كبير على المحتوى والمخرجات المحددة (مثل خريطة المجتمع والتفريغ الصوتي للمناقشات المسجلة)، ولكن الاهتمام بالعملية ككل وكيف تساهم في التعلم. اسمح للمشاركين بالقيام بدور نشط واحرص على عدم فرض أفكارك الخاصة.
- افهم المشاركين: يتعيّن عليك إجراء تقدير مستمر لديناميكيات المجموعة ودور السلطة في تشكيلها. كن على دراية أيضًا بالقدرات المختلفة لأعضاء المجموعة واستخدم الطرائق التي تناسب جميع مجموعات المهارات ومستويات الارتياح. على سبيل المثال، يمكنك استخدام الطرائق بشكل مختلف قليلاً اعتمادًا على ما إذا كنت تعمل مع أطفال أم كبار. وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن تكييف معظم الطرائق التشاركية لتتناسب مع الأطفال.

- *تحلّ بالمرونة:* قم بتعديل الطرائق لتناسب فهمك للمشاركين والسياق، واحرص على استخدام المواد المحلية حيثما أمكن. توقع أن تسير الأمور بشكل مختلف عما هو مخطط له، لذا كن مستعدًا لتفسير الموقف وتكييف الأدوات على الفور لتتناسب مع القدرات المتنوعة للمشاركين واتجاهات المناقشات.
- كن شاملًا: تأكد من منح جميع أفراد المجتمع حتى الأفراد الأكثر تهميشًا، ومنهم الأطفال، فرصة المشاركة في الدراسة والمساهمة فيها.
- كن على دراية بديناميكيات المشاركين وغير المشاركين والأثر الذي يمكن أن تحدثه هذه الديناميكيات على النشاط وحصائله.
- ابنِ الثقة بين المشاركين: إذا كان المشاركون يأتون من شتى طبقات المجتمع والخلفيات، فعليك بناء الثقة بينهم. ويمكن القيام بذلك من خلال أنشطة التعارف وكسر الجليد وأنشطة بناء الثقة.
- *تعرف على الموارد المحلية:* من المرجح أن يشعر المشاركون بالتحفيز وبإنهم معنيون بالمشاركة إذا استنَدْتَ إلى المعرفة والمهارات والأصول الموجودة داخل المجتمع.

هدفك هو تسهيل المشاركة في ورش عمل جمع البيانات بطريقة تتجاوز التسلسل الهرمي للسلطة وأنظمة القيم والمعرفة المتضاربة، وضمان أن يعمل الناس معًا بنجاح لتوليد معرفة جديدة. وهذا يتطلب مهارات تواصل جيدة بين الأشخاص وبين الثقافات.

- *كن مشاركًا ومستمعًا نشطًا:* لا يقتصر الاستماع على سماع ما يقوله الشخص فحسب، بل يتعلق أيضًا بإظهار أنك تسمع وتفهم ما يقال. يمكنك القيام بذلك بلغة جسدك، على سبيل المثال عن طريق الجلوس أمام الشخص الذي يتحدث والنظر إليه. تجنب الجلوس مع تشبيك الذراعين، وأومئ برأسك استجابة لما يقال. يمكن لتعبيرات الوجه، مثل الابتسام أو إظهار المفاجأة أو الحزن، أن تساعد المتحدث أيضًا على رؤية أنك تستمع. يمكن أيضًا أن تكون تعبيرات التحفيز التشجيعية ("آه"، "مم"، "أرى"، وما إلى ذلك) مفيدة أيضًا. أزل جميع عوامل التشتيت المحتملة مثل الشاشات والهواتف والأنشطة الأخرى التي قد تشتت الانتباه عن المناقشة أو تعكر صفوها.
- كن فضوليًا واطرح أسئلة فعالة: يمكنك المساعدة في تسهيل التعلم والتفكير داخل المجتمع من خلال طرح سلسلة من الأسئلة التي يمكن أن تشرح لماذا ومتى وأين ومن وماذا وكيف تتجلى مشكلة ما في المجتمع. يمكنك أن تطلب من المشاركين أمثلة ملموسة لتوضيح أسبابهم أو لتوسيع وشرح وجهات نظرهم بشكل أكبر. كما أن طرح الأسئلة يوضح أيضًا اهتمامك بالشخص الذي يتحدث. امتنع عن الحديث عن نفسك كثيرًا وهذا يشمل التعبير عن أفكارك الخاصة، لأن ذلك قد يؤدي إلى تحيز المناقشة.
- اسمح بالصمت: في بعض الأحيان، مع الأشخاص الخجولين أو المتوترين أو المجموعات غير المعتادة على الأنشطة الجماعية، قد يستغرق حث المجموعة على التحدث وقتًا. يمكن أن تساعد أنشطة التعارف وكسر الجليد أحيانًا، لكن يمكن أيضًا أن تدفع لحظات الصمت الناس لبدء المناقشات.

- *كن صبورًا وهادئًا:* من المرجح أن يقوم المشاركون بدور نشط في البحث إذا شعروا أن هناك مجالًا للتجربة والخطأ. وهذا يتطلب منك أن تكون هادئًا وألا تكون صارمًا بشأن الالتزام بالمواعيد النهائية أو اتباع البروتوكولات.
- كن متسامحًا ومتقبلًا للأفكار الجديدة: لن يتم طرح الآراء ووجهات النظر المتنوعة إلا إذا شعر المشاركون أن الجميع، ومنهم الميسر، يحترمون وجهات النظر المختلفة. حتى إذا لم توافق على ما يقال، فاحترم أن هناك آخرين يتبنون هذا الرأي وتعامل معه مثل أي وجهة نظر أخرى يتم التعبير عنها.
- *كن على دراية بقناعاتك الخاصة وكيف ستؤثر تجاربك ومعتقداتك على تفسيرك لمواقف معينة:* تُعرف هذه العملية أيضًا باسم "الانعكاسية"، وهي أن يتمتع الباحث بوعي ذاتي بالتأثير الذي تحدثه معتقداته وخبراته على تفسيراته للبيانات. لذا من المهم التحقق من هذا دائمًا، خاصةً إذا كانت القضايا التي تتم مناقشتها لا تتماشى مع معتقداتك الخاصة أو تتعارض معها.

يمكن القول أن وظيفة ميسِّر لطرائق جمع البيانات التشاركية تتطلب مهارات خاصة وشروطًا مُحدَّدة قد لا تنطبق على جميع الأشخاص. فالأمر يتطلب منك ملاحظة التفاعلات البشرية وتفسيرها وتيسيرها في الحال، وذلك في سبيل تسهيل التعلم وتوليد المعلومات بطريقة تشاركية. وكلما كنت أكثر استعدادًا، سيتوفر لديك ما تحتاج من الوقت والطاقة لتكون ميسرًا "جيدًا". لذلك، بالرغم من أنه لا يمكنك التخطيط لكل الاحتمالات، إلا أنه من المهم جدًا أن تضع إرشادات لكل طريقة من الطرائق التي تتوقع استخدامها، بالإضافة إلى تحديد تفاصيل حول تسلسلها. للمساعدة في التخطيط، يمكنك التفكير في النقاط التالية:

- *الوقت والموارد:* من المهم لك أن تكون واقعيًا بشأن ما يمكن تحقيقه في حدود الوقت والميزانية المتاحين. خطط مسبقًا بافتراض أن العملية ستستغرق وقتًا أطول وتكلفة أكثر مما كان متوقعًا في الأصل. ركز على "ما يجب معرفته" بدلاً من "ما الجيّد معرفته" إذا كان الوقت قصيرًا.
- مهارات الميسر: عند اختيار الميسر، سواء كنت أنت أو زميلًا آخر، تأكد من أن لديه المواقف والسلوكيات التي تمت مناقشتها أعلاه. قد تحتاج إلى الترتيب لتدريب الميسر.
- مترجم مدرب ومحايد: إذا كنت تعمل في بيئة متعددة اللغات وتحتاج إلى ترجمة، فمن المهم أن تختار مترجمًا مدربًا ومحايدًا يقوم بالترجمة مباشرة وليس بالتفسير. ويجب مراعاة أنه يمكن أن تفقد الكثير من المعلومات أثناء الترجمة، سواء أثناء المناقشات أو في مرحلتي الكتابة والتحليل.
- الغرض من الدراسة: يجب أن يوجه سؤال البحث عملية التخطيط. قسّم سؤال البحث إلى أهداف صغيرة. عندما تُجمع المعلومات التي تم الحصول عليها من كل هدف، ستكون في وضع يسمح لك بالإجابة عن سؤال البحث. حيث يمكن أن تساعدك هذه الأهداف الصغيرة في تحديد الطرائق المناسبة، وكذلك مَن يجب إشراكه.

- *الطرائق التشاركية التي يجب استخدامها:* تعرف على عدد كبير من طرائق جمع البيانات التشاركية (انظر المربع ٥-١ للعثور على مصادر). حدد الطرائق المناسبة لاستكشاف كل هدف من أهدافك.
- ضع ملاحظات إرشادية: بمجرد تحديد الطرائق التي ستستخدمها لإنتاج المعلومات التي يمكن أن تجيب عن سؤال بحثك، ضع ملاحظات إرشادية لكل طريقة من الطرائق. يجب أن تتضمن هذه الملاحظات جدول الجلسة ويجب أن تحدد الأدوار والمسؤوليات والمواد المطلوبة والوقت المستغرق في كل نشاط، بالإضافة إلى سرد التعليمات خطوة بخطوة.
- الحصول على البيانات وتخزينها: فكر في كيفية استخدام كل طريقة لإنتاج البيانات. ضع خططًا لجمع هذه البيانات وتخزينها في مكان آمن. نناقش هذا بمزيد من التفصيل أدناه.
- أخلاقيات البحث وحماية الأطفال: كما هو الحال في أي نوع من الأبحاث، يجب أن يكون الميسرون الرئيسيون حساسين للمخاطر وأن يحافظوا على سلامة المشاركين. تحتاج إلى الحصول على موافقة مستنيرة، وضمان السرية وكذلك تشجيع جميع المشاركين على الحفاظ على سرية المناقشات. إذا كنت تعمل مع الأطفال، فأنت بحاجة أيضًا إلى وضع آليات لحماية الأطفال، مثل عدم السماح لميسر بالغ أن يكون بمفرده مع الأطفال (انظر الفصل الثاني لمزيد من التفاصيل).

الحصول على البيانات وإدارتها

خلال هذا الفصل، أكدنا على أهمية الحصول على المعلومات الناتجة عن استخدام طرائق جمع البيانات التشاركية. والسبب في ذلك هو أن البحث النوعي الجيد قادر على تفسير الكيفية التي تظهر بها بعض الاستنتاجات والآراء. بصفتك باحثًا نوعيًا، فأنت بحاجة إلى توضيح كيفية توصلك إلى خلاصة معينة. تتمثل الخطوة الأولى والمهمة في تحقيق ذلك في تسجيل ما يقال وما يلاحظه فريق البحث.

في حين أنه من السهل تسجيل مقابلة بين شخصين وكتابة محتواها، إلا أنه من الصعب جدًا تسجيل المناقشات التي تجرى بين مجموعة من الأشخاص. ونظرًا للأدوار والمسؤوليات العديدة التي تقع على عاتق الميسر، فإننا نوصي بوجود مسجل لكل جلسة؛ إنه الشخص الذي يتابع المناقشات ويدون الملاحظات

النشاط ٥-٢ ما مقومات الميسر الجيد؟

يشجعك هذا النشاط، باستخدام خريطة الجسد، على التفكير في المهارات والمعرفة والمواقف والسلوكيات التي يجب أن يتحلى بها الميسر الجيد أو تلك التي لا يجب أن يتحلى بها.

١. ارسم صورة لجسد.

٢. استخدم الرسم التوضيحي للجسد كاستعارة لتوضيح المهارات والمعرفة والمواقف والسلوكيات التي يحتاجها الميسر التشاركي المسؤول عن الأنشطة التعليمية أو الإجراءات (استلهم من خريطة الجسد الموضحة في الشكل ٥-٢). يمكنك تدوين المعرفة والمواقف والسلوكيات الخاصة بالميسر الجيد على الجانب الأيسر من الجسد وتلك الخاصة بالميسر غير الجيد على الجانب الأيمن من الجسد.

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

وينظم جميع المعلومات التي تم جمعها. وبشكل أكثر تحديدًا، يتمثل دور **المُسجل** في:

- تسجيل كل ما يقال، يتحقق ذلك على أفضل نحو من خلال التسجيل الصوتي أو الفيديو للجلسات. ولكن إذا لم يكن ذلك ممكنًا، فيجب على المُسجل أن يكتب ما يقال بأكبر قدر ممكن من التفاصيل.
- كتابة تفاصيل المشاركين (العمر والنوع الاجتماعي والعرق والوضع الوظيفي وما إلى ذلك).
- الحصول على موافقة مستنيرة من المشاركين، على استخدام البيانات المسجلة في دراسة بحثية.
- تدوين ملاحظات بشأن البيئة المادية والاجتماعية التي تُعقد فيها الجلسة، والسلوك والتفاعل البشري، واستخدام اللغة، والتواصل غير اللفظي، مثل كيفية تفاعل البالغين والأطفال أو الرجال والنساء.
- التقاط صور أو تصوير فيلم فيديو لما يحدث؛ بغرض النسخ الاحتياطي والتخزين وتحليل البيانات. من المهم أن يلتقط المُسجل صورة لكل مُخرج مرئي (على سبيل المثال، خرائط المجتمعات المحلية أو شجرة المشكلة).
- كتابة أفكار وتفسيرات لما يتم ملاحظته (مع الحفاظ على درجة من الانعكاسية).
- التأكد من أن جميع البيانات الناتجة عن العملية محفوظة في مكان آمن، قد يطلب المشاركون صندوقًا ذا قفل لتخزين جميع مخرجاتهم المرئية وملاحظاتهم، بينما قد يحتاج المُسجل إلى جهاز كمبيوتر محمي بكلمة مرور أو جهاز USB ليخزن بأمان الصور، والتفريغ الصوتي للمناقشات المسجلة أو التأملات المكتوبة يدويًا، وملفات الصوت أو الفيديو الرقمية، ومسودة الملاحظات، والنسخ الممسوحة ضوئيًا من نماذج الموافقة.

إن هذه الجهود المبذولة لالتقاط الأفكار والمناقشات المحلية بالإضافة إلى العملية التي يقوم فيها المشاركون بتركيز نطاق أفكارهم وتسجيل أهم الأفكار على مخطط، تمنحك بيانات ملموسة يمكن النظر إليها وتحليلها في مرحلة لاحقة. في الواقع، تشكل المخرجات المرئية، الناتجة عن طرائق جمع البيانات التشاركية، خطوة أولى مهمة في تحليل البيانات. كما أنها توفر لك مؤشرًا مهمًا لما يراه المشاركون على أنه استنتاجات رئيسية ويودون أن يمثل محور تركيز الدراسة. وبصفتك باحثًا يتعامل باستخدام الطرائق التشاركية، فإنك تتحمل مسؤولية احترام هذا التركيز في تحليلك المستمر. ولكن هذا لا يعني أنه لا يمكنك تحديد مواضيع جديدة أو الإبلاغ عن استنتاجات أخرى.

الملخص

قدم لك هذا الفصل "البحث التشاركي"، الذي يتناول المعلومات الأساسية والأساس المنطقي لهذه المقاربة البحثية، بالإضافة إلى بعض الطرائق العملية التي يمكنك استخدامها لتسهيل التعلم بين المشاركين والحصول على بيانات لدراستك. كما أوضح الفصل ما يلزم لتكون باحثًا تشاركيًا جيدًا أو ميسرًا لطرائق جمع البيانات التشاركية، وهذا يشمل الوعي بالعثرات التي قد تعترض استخدام طرائق جمع البيانات التشاركية، بالإضافة إلى المهارات والسلوكيات التي يمكن أن تنمي العملية التشاركية.

وأخيرًا، ناقش الفصل بعض السُبُل التي يمكنك من خلالها الحصول على البيانات الناتجة عن الطرائق التشاركية النوعية.

ملاحظة ختامية

١. لا ينبغي إعطاء درجة ٠ لأن هذا يعني عدم المشاركة على الإطلاق. سيكون هناك دائمًا مستوى معين من المشاركة حتى ولو كانت ضئيلة.

المراجع

Baatiema, L., Skovdal, M., Rifkin, S. and Campbell, C. (2013) 'Assessing participation in a community-based health planning and services programme in Ghana', *BMC Health Services Research* 13 (1): 233.

Chambers, R. (1994) 'Participatory rural appraisal (PRA): analysis of experience', *World Development* 22 (9): 1253–68.

Chambers, R. (1997) *Whose Reality Counts?: Putting the First Last*, London: Intermediate Technology.

Chukwudozie, O., Feinstein, C., Jensen, C., O'Kane, C., Pina, S., Skovdal, M. and Smith, R. (2015) 'Applying community-based participatory research to better understand and improve kinship care practices: insights from the Democratic Republic of Congo, Nigeria, and Sierra Leone', *Family and Community Health* 38 (1): 108–19.

Cooke, B. and Kothari, U. (2001) *Participation, the New Tyranny?*, London: Zed Books.

Dart, J. and Davies, R. (2003) 'A dialogical, story-based evaluation tool: the most significant change technique', *American Journal of Evaluation* 24 (2): 137–55, doi: 10.1177/109821400302400202.

Fraser, H. (2005) 'Four different approaches to community participation', *Community Development Journal* 40 (3): 286–300.

Freire, P. (1973) *Education for Critical Consciousness*, New York NY: Seabury Press.

Howarth, C. (2001) 'Towards a social psychology of community: a social representations perspective', *Journal for the Theory of Social Behaviour 31* (2): 223–38.

International HIV/AIDS Alliance (2006) *Tools Together Now: 100 Participatory Tools to Mobilise Communities for HIV/AIDS*, Brighton: International HIV/AIDS Alliance, <www.aidsalliance.org/assets/000/000/370/229-Tools-together-now_original.pdf> [accessed 30 July 2015].

Lewin, K. (1946) 'Action research and minority problems', *Journal of Social Issues* 2 (4): 34–46.

Minkler, M. and Wallerstein, N. (2003) 'Introduction to community based participatory research', in M. Minkler, N. Wallerstein and B. Hall (eds), *Community-based Participatory Research for Health*, pp. 3–26, San Francisco CA: Jossey-Bass Wiley.

Moser, C. (1998) 'The asset vulnerability framework: reassessing urban poverty reduction strategies', *World Development* 26 (1): 1–19.

Newman, K. and Beardon, H. (2011) 'How wide are the ripples?: From local participation to international organisational learning', *Participatory Learning and Action* 63: 11–18.
Rifkin, S. and Pridmore, P. (2001) *Partners in Planning: Information, Participation and Empowerment*, London: TALC and Macmillan Education.
Skovdal, M. and Campbell, C. (2010) 'Orphan competent communities: a framework for community analysis and action', *Vulnerable Children and Youth Studies* 5 (S1): 19–30.
Wallerstein, N. and Duran, B. (2003) 'The Conceptual, Historical, and Practice Roots of Community Based Participatory Research and Related Participatory Traditions', in M. Minkler, N. Wallerstein and B. Hall (eds), *Community-based Participatory Research for Health*, pp. 27–51, San Francisco CA: Jossey-Bass Wiley.

تعقيبات على الأنشطة

تعقيب على النشاط ٥-١: التفكير في تنوع المجتمعات

ستوضح الأمثلة الخاصة بك مدى تنوع المجتمعات وكيف تتداخل وربما حتى كيف تؤثر على السلوك.

تعقيب على النشاط ٥-٢: ما مقومات الميسر الجيد؟

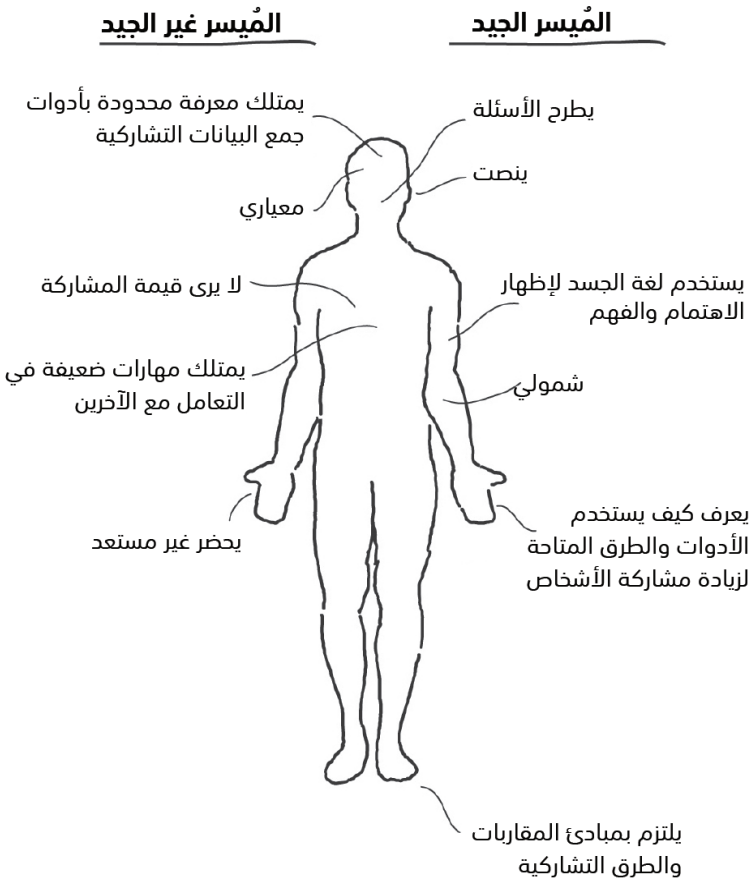

الشكل ٥-٨ خريطة جسد توضح خصائص ميسر البحث التشاركي الجيد أو غير الجيد

الفصل السادس

الصور التشاركية (Photovoice): المنهجية والاستخدام

الخلاصة

يصف هذا الفصل كيف يمكن للممارسين في مجال التنمية استخدام الصور التشاركية لتحسين هذا المجال والاستجابات الإنسانية. إضافة إلى ذلك، يقدم إرشادات من ١٠ خطوات حول كيفية تخطيط مشروع للصور التشاركية وتصميمه. تعد الصور التشاركية طريقة بحثية تشاركية تُمكّن أفراد المجتمع من التقاط صور لتصوراتهم عن حياة المجتمع والظروف المحلية، التي تؤثر في حياتهم أو برنامج ما، ووصف هذه التصورات. تشجع هذه الطريقة المشاركين بنشاط على استخدام الصور الفوتوغرافية لمشاركة وجهات نظرهم عن حياة المجتمع، من خلال روايات مكتوبة أو منطوقة حول أهمية صورهم. طريقة الصور التشاركية في متناول الأفراد من معظم الأعمار ومهما تباينت قدراتهم ويمكن أن تكون نشاطًا ممتعًا وجذابًا، مما يسهل التواصل بغض النظر عن الحواجز الثقافية واللغوية، وحتى القيود التي تفرضها التسلسلات الهرمية للسلطة.

الكلمات المفتاحية: التصوير، الصور التشاركية، المناصرة، بحث تشاركي، بحث نوعي

أهداف التعلُّم

بعد قراءة هذا الفصل، ستصبح قادرًا على:

- شرح ماهية الصور التشاركية بالتفصيل وتوضيح المعلومات الأساسية حولها،
- تحديد مزايا استخدام الصور التشاركية وعيوبها،
- وضع خطة لتنفيذ طريقة الصور التشاركية،
- إجراء بحث نوعي باستخدام الصور التشاركية.

المصطلحات الرئيسية (التعريفات)

- *الصور التشاركية (Photovoice):* منهجية تمكّن الناس من تعريف وتمثيل وتحسين مجتمعهم وظروف حياتهم من خلال التصوير الفوتوغرافي.
- البحث التشاركي المجتمعي: مقاربة بحثية تمكّن المشاركين من جمع المعلومات والتفكير فيها واستخدامها كفرصة لتشجيع مستوى معين من العمل.

مقدمة إلى الصور التشاركية

إن الصور التشاركية هي إحدى طرائق البحث التشاركي المجتمعي التي استحدثتها كارولين وانج وزملاؤها في التسعينيات (Wang and Burris, 1997 وWang et al., 1998).

تقتضي طريقة الصور التشاركية تسليم كاميرات إلى مجموعة من الأشخاص وتشجيعهم على سرد قصصهم من خلال التصوير الفوتوغرافي مع تسجيل انطباعاتهم ووجهات نظرهم حول قضية ما. يمكن تشجيعهم على تصوير قصص حول مشكلة صحية أو ظروف حياتهم أو برنامج ما. ومع ذلك، لا ينبغي الاعتماد على الصور فحسب، بل يجب أن تُكتمل بقصة مكتوبة أو منطوقة تشرح أهمية الصورة ومغزاها، أو تُستخدم لإثارة نقاشات تتعلق بها بين مجموعة من الأشخاص.

نظرًا لالتقاط الصور من قبل أفراد المجتمع أنفسهم، توفر الصور التشاركية للمشاركين مستوى من التحكم فيما يريدون مشاركته والقصص التي يتم سردها. حيث يضع المشاركون جدول سرد القصص أو المناقشة مما يمكنهم من أن يصبحوا باحثين في حياتهم ومجتمعاتهم.

يمكن أن يكون للصور، إلى جانب الشهادات الشخصية، تأثير قوي على الأشخاص الذين يشاهدونها. حيث يمكنها إسماع الأصوات المخفية أو المكتومة. وتساعد الآخرين على التصور الواقعي للمشكلات من خلال توضيح الشواغل والحلول الملموسة. يمكن للصور أن تتجاوز بشكل فعال الحواجز الثقافية والتسلسل الهرمي للسلطة، وتحفز ردود الفعل العاطفية التي قد تؤدي إلى التغيير. بالتالي، توفر الصور التشاركية فرصة ممتازة لأفراد المجتمع للوصول إلى الأطراف المعنية الأكثر قوة، مثل الممارسين في مجال التنمية وواضعي السياسات والمسؤولين الحكوميين، ولمناصرة التغيير (Pies and Parthasarathy, 2007). ويساعد في ذلك حقيقة أن نشاط التقاط الصور التشاركية غالبًا ما تُبادر به جهات فاعلة خارجية قد تكون مهتمة بالحصول على لمحة عن كيفية رؤية أفراد المجتمع لمجتمعهم أو ظروف الحياة التي يجدون أنفسهم فيها، وقد يكونون أكثر استجابة بشكل فعال للقصص التي يتم سردها في إطار مشروع الصور التشاركية.

أصبحت الصور التشاركية طريقة بحثية شائعة جدًا ويستخدمها بحماس عددٌ لا يحصى من الممارسين في مجال التنمية والمهنيين الصحيين والباحثين حول العالم. وتم الاعتراف، منذ فترة طويلة، بقيمتها كوسيلة لإشراك الفئات المهمشة. لا تقتصر مصادر المعلومات المهمة على الصور الفوتوغرافية والقصص فحسب، بل توفر أيضًا عملية التقاط الصور ومناقشتها ومشاركتها فوائد عظيمة. تشير الأبحاث إلى أن عملية الصور التشاركية يمكن أن تساهم في التطوير الذاتي للمشاركين من خلال تعزيز الاعتراف بالحاجة إلى التغيير، وتحسين الوعي الذاتي بالظروف المحلية، والجدارة والثقة الشخصية، وكذلك الوعي بالموارد الاجتماعية وقدرات حل المشكلات (Castleden et al., 2008 وSkovdal, 2011 وTeti et al., 2013). بعبارة أخرى، تتمتع عملية تصوير الصور التشاركية بالقدرة على تمكين المشاركين. هذا، بالإضافة إلى التركيز على المناصرة والتغيير، هو ما يميز الصور التشاركية عن طرائق البحث الأخرى القائمة على الصور. وخَلُصَ كل من وانج وبوريس (Wang and Burris, 1997: 370) إلى أن الصور التشاركية ترمي إلى تحقيق ثلاثة أهداف:

- تمكين الناس من تسجيل نقاط قوة مجتمعهم واهتماماته والتفكير فيها،
- تعزيز الحوار النقدي والمعرفة حول القضايا المهمة من خلال مناقشات جماعية كبيرة وصغيرة للصور،
- الوصول لصانعي السياسات.

إن استخدام الصور التي التقطها المشاركون في الدراسة لتعزيز التعلم والحث على التغيير هو ما يجعل الصور التشاركية إضافة قيّمة لطرائق جمع البيانات النوعية التقليدية. إن هدف الصور التشاركية المتعلق بالعدالة الاجتماعية يجعلها أداة بحث ذات قيمة خاصة للممارسين في مجال التنمية الذين يعملون في المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلم (MEAL) والسياسة والمناصرة.

منذ استخدام الصور التشاركية لأول مرة بين النساء في مقاطعة يونان الريفية في الصين (Wang and Burris,1997)، وُظِّفَتْ لتحقيق مجموعة متنوعة من الأغراض، مع كل من البالغين والأطفال، ومنها ما يلي:

- **إشراك الشباب** في تقديرات احتياجات المجتمع (Stack et al., 2004)؛
- **إشراك أفراد المجتمع** في تقديرات صحة المجتمع (Wang and Pies, 2004)؛
- **تعزيز الوعي النقدي** والمشاركة النشطة على صعيد القاعدة الشعبية (Carlson et al., 2006)؛
- **تحديد إستراتيجيات مواجهة** المخاطر التي يتعرض لها الأطفال الذين يعيشون في ظروف صعبة (Skovdal, 2011و Skovdal et al., 2009)؛
- **استكشاف تجارب النساء** مع سرطان الثدي (Poudrier and Mac-Lean, 2009)؛
- **استكشاف كيف تنظر مجموعات الأقليات إلى نفسها** (Graziano, 2004)؛
- **تعزيز تمكين المرأة** (Duffy, 2011)؛
- **التعلم من تجارب الأطفال** اليتامى والمصابين بفيروس نقص المناعة البشرية الذين يعيشون في منزل جماعي في أوغندا (Fournier et al., 2014)؛
- **إشراك سكان المجتمع في تقييم** مبادرة صحة المجتمع في الولايات المتحدة (Kramer et al., 2013)؛
- تحديد **الخصائص البيئية** المرتبطة باستخدام التبغ بين الشباب في الولايات المتحدة وفهمها (Tanjasiri et al., 2011)؛
- **تحديد الحلول** للمشكلات المحلية (Downey et al., 2009)؛
- **كتدخل للحد من وصمة العار الذاتي** وتعزيز اتخاذ إجراءات استباقية للتصدي إلى التحيز والتمييز بين الأشخاص المصابين بأمراض عقلية (Russinova et al., 2014)؛
- **وتعزيز المزيد من السلوكيات الصحية** بين الشباب (Short, 2006).

ناقشنا، في الفصل الخامس، مساهمة المعلم البرازيلي باولو فريري ((Paulo Freire (1973) في تشكيل وتعزيز استخدام طرائق جمع البيانات التشاركية. يقول فريري إنه من خلال عملية التعلم وزيادة الوعي الذاتي يكسب الفقراء والمهمشون الثقة في قدرتهم على تحدي الهياكل التنظيمية والأنظمة التي تساهم في تهميشهم. وتحول الصور التشاركية هذين المبدأين إلى ممارسة عملية.

خذ، على سبيل المثال، فئة من تلاميذ المدارس الذين، في ظل الظروف العادية، قد لا تتاح لهم فرصة التفكير بشكل جماعي ونقدي في العوامل التي تؤثر على حياتهم اليومية وادعوهم إلى التغيير. إذا دعوتهم للمشاركة في مشروع صور تشاركية، فيمكنهم من خلال الصور توضيح مخاطر المشي أو ركوب الدراجات إلى المدرسة وإبراز هذه المخاطر والتفكير فيها. قد تكون هذه المخاطر نتيجة حركة المرور الكثيفة على الطرق التي لا تحتوي على ممرات للمشاة أو عبور الطرق بدون إشارات مرور. يمكنهم تحديد المخاطر الرئيسية بشكل جماعي وتقديم صورهم وقصصهم إلى القادة المحليين، الذين قد يقررون الاستثمار في إجراء تغييرات في البنية التحتية، مثل تركيب جسور للعبور أو إشارات المرور لتقليل خطر الذهاب إلى المدرسة.

الصور التشاركية في دورة البرنامج

يمكن إنجاز مشاريع الصور التشاركية وتوجيهها في أي مرحلة من مراحل دورة البرنامج.

في ***مرحلة التخطيط***، يمكن لأفراد المجتمع (البالغين وكذلك الأطفال) استخدام الصور التشاركية لتناول المشكلات التي تؤثر عليهم وللتوصل إلى فهم أفضل للسياق الذي يُنَفَّذُ فيه البرنامج. وبالإضافة إلى فهم المشكلات التي تؤثر على أفراد المجتمع، قد يشمل الأمر تحليلًا للإستراتيجيات التي يتبعونها لمواجهة تلك المشكلات، تمنحنا الصور التشاركية معلومات متعمقة بشأن الموارد الكامنة وهياكل الدعم التي يمكنك البناء عليها وتعزيزها من خلال البرنامج. إن استخدام الصور التشاركية لجمع أصوات المجتمع في مرحلة التخطيط يمكن أن يساعد في ضمان أن يستهدف البرنامج احتياجات الأشخاص المفصلة ويتوافق مع واقع حياتهم (Skovdal et al., 2014).

خلال ***مرحلة التنفيذ***، يمكن استخدام الصور التشاركية كأداة للمتابعة والتقييم التكوينيّ لفهم العوامل السياقية والتشغيلية المختلفة التي تساهم في نجاح البرنامج أو فشله ورسم خريطة لها، مع إبراز الدروس البرنامجية المهمة التي يمكن أن تؤدي إلى تغييرات في البرنامج الحالي أو المستقبلي. على سبيل المثال، يمكن أن توفر الصور التشاركية لأفراد المجتمع فرصة لتصوير أي عواقب محتملة غير مقصودة لبرنامج ما وتوضيحها. ويمكن للوكالة المنفِّذة للبرنامج استخدام هذه المعلومات لإجراء تحسينات عليه. يمكن أيضًا استخدام الصور التشاركية لفهم ما يساعد على نجاح البرنامج، مما يشجع الوكالة المنفِّذة على تطبيق المزيد من "أسباب النجاح".

في ***مرحلة التقييم***، يمكن تسليم الكاميرات لأفراد المجتمع مع دعوتهم لتصوير قصص التغيير. قد تكون لهذه القصص أهمية كبيرة أو صغيرة ويمكن أن توضح كل من التغييرات الإيجابية والسلبية. لكن المهم هو أن قصص التغيير تعكس التغييرات المتصورة محليًا كنتيجة لبرنامج ما، والتي قد تعكس الحصائل المتوقعة أو لا تعكسها. بالإضافة إلى النظر إلى التغييرات المتصورة، يمكن أيضًا استخدام الصور التشاركية لجمع وجهات نظر المجتمع حول نقاط قوة البرنامج وقيوده في مرحلة التقييم، مما يساهم في فهم العوامل التي مكنت أو حظرت أثر البرنامج.

التخطيط والتصميم

تعد الصور التشاركية عملية بحث متطلبة، فهي تتطلب تكريس وقت طويل وتخصيص موارد كثيرة كما يحتاج الميسرون إلى إظهار مجموعة متنوعة من المهارات الشخصية وأن يتمتعوا بمعرفة متعمقة بالصور التشاركية. في حين أن هذا الفصل لا يمكنه تناول المهارات الشخصية، إلا أنه يمكن أن يوفر فهمًا متعمقًا للصور التشاركية ويُلقي نظرة ثاقبة على متطلبات الميسر.

لإعداد مشروع الصور التشاركية ذي جدوى في سياق معين، هناك عدد من الأشياء التي يجب مراعاتها. لذا، سنقوم في هذا القسم الموسع بما يلي: ١) تحديد بعض الأسئلة التي يجب أن تطرحها على نفسك مبكرًا في المرحلة الاستهلالية، ٢) مناقشة الجوانب المختلفة لعملية التخطيط. يتبع هذا القسم إرشادات مكونة من ١٠ خطوات حول كيفية تنفيذ مشروع الصور التشاركية. تم استلهام هذين القسمين من الدليل الممتاز الذي أصدره كل من بلاكمان وفايري *The PhotoVoice Manual* (Blackman and Fairey, 2007) واعتمدا على الملاحظات الإرشادية السابقة التي وصفها سكوفدال وزملاؤه (Skovdal and colleagues 2014) لمنظمة أنقذوا الأطفال (Save the Children).

أسئلة يتعين التفكير فيها

قبل البدء في التخطيط، يجب التفكير في الأسئلة التالية:

ما الغرض من مشروع الصور التشاركية؟ ما السؤال البحثي الذي يسعى إلى تسليط الضوء عليه؟ وكما هو الحال مع أي طريقة بحث، تتطلب الصور التشاركية أن تكون واضحًا بشأن الغرض منها منذ البداية. في أي مرحلة من دورة البرنامج تنوي استخدام الصور التشاركية ولأي غرض؟ هل لإشراك الأطفال والشباب واستخدام أصواتهم لتوجيه عملية تطوير البرنامج؟ أم هل تريد استخدام الصور التشاركية لتكوين رؤى متبصرة وأدلة حول أحد البرامج؟ سيساعدك الوضوح المتعلق بالغرض من مشروع الصور التشاركية على توضيح مقدار العدالة الاجتماعية التي تتوخاها وتسعى إلى تحقيقها، كما سيساعدك على تحديد الفريق المناسب لتسهيل المشروع.

من أين سيأتي التمويل؟ بالنظر إلى الوقت الذي يستغرقه تسهيل مشروع الصور التشاركية وكثافة الموارد البشرية اللازمة لتحقيق هذه الغاية، فإن أخذ التكلفة في الحسبان قد يحدد نطاق المشروع. لذلك من المهم أن تكون واقعيًا بشأن الموارد المتعلقة بكُلٍ من الوقت الذي يكرسه الموظفون لتسهيل المشروع والأموال اللازمة لتغطية تكاليف ذلك. ويوصى بوضع ميزانية في مرحلة البداية. وفي هذا الصدد، يجب أن تأخذ في الاعتبار احتياجاتك المتعلقة بالمعدات والسفر والموارد البشرية وخطط النشر والميزانية الكافية لتغطية التكاليف الطارئة. سيساعدك هذا في تحديد ما إذا كان التمويل يجب أن يكون داخليًا أم خارجيًا أم مزيجًا من الاثنين.

ما مقدار الوقت المطلوب؟ لا توجد قواعد ثابتة فيما يتعلق بالمدة المثالية لمشروع الصور التشاركية. يمكن أن تتراوح المدة التي تستغرقها مشاريع الصور التشاركية ما بين يوم واحد وسنة، أو حتى أكثر من ذلك، إذ يَعتمِدُ الأمر في النهاية على كيفية تصميم المشروع. لتحديد مدة مشروع الصور التشاركية المخطط له، عليك التفكير في مقدار الوقت الذي تستطيع أنت والمشاركين الالتزام به أو الذي تعتقد أنك ستحتاجه لالتقاط صور مُعَبِّرة عن قصصهم.

قد يكون من السهل التقاط صور مُعَبِّرة عن بعض القصص، بينما تتطلب قصص أخرى مزيدًا من التَفَكُّر أو تعتمد على مواسم معينة أو متغيرة. في بعض الظروف، قد يكفي منح المشاركين أسبوعًا لالتقاط صور مُعَبِّرة عن قصصهم. وفي ظروف أخرى، قد يكون من المفيد أن يجتمع المشاركون معًا في ورشة عمل للتَفَكُّر في صورهم، حيث تشكل هذه الورشة فرصة للقيام بعدة مشاورات بشأن الصور التي سيلتقطونها عند عودتهم إلى مجتمعاتهم (Castleden et al., 2008). يدعم فوغان (Vaughan, 2014) استخدام الصور التشاركية بهذه الطريقة وعلى مدى فترة زمنية طويلة، حيث يقول إن التَفَكُّر والتفكير النقدي يتطوران بمرور الوقت وأن الأمر يستغرق وقتًا لتطوير علاقات المجموعة التي يمكنها دعم الإجراءات والنشر الفعال لمعالجة القضايا التي تم تحديدها من خلال التصوير الفوتوغرافي. *مَن الذي يجب أن تشاركه؟* يعتمد نجاح مشروع الصور التشاركية جزئيًا على مشاركة الأطراف المعنية والشركاء الرئيسيين. قد تتضمن هذه الأطراف المعنية:

- ***الإدارة العليا:*** نظرًا لكثافة الموارد التي تتطلبها مشاريع الصور التشاركية، من المهم أن تدرك الإدارة العليا داخل مؤسستك إمكانات الصور التشاركية وتدعمها. لذا، تأكد من أنها مشاركة معك منذ البداية.
- ***الميسرون ذوو الخبرة:*** يمكن أن ينجح مشروع الصور التشاركية أو يفشل بسبب الميسر (الميسرين). برجاء مراجعة الفصل الخامس لمناقشة ما يتطلبه الأمر لتكون ميسرًا جيدًا. وعلى الرغم من أنك قد تكون قادرًا على تسهيل العملية بنفسك، أو على الأقل أجزاء منها، فقد تدرك أيضًا متى قد يكون شخص آخر أكثر ملاءمة لهذا الدور. في هذه الحالة، يمكنك التواصل مع الزملاء أو الميسرين الخارجيين الذين لديهم خبرة وتجربة سابقة في تيسير ورش العمل التشاركية أو، من الأفضل، الصور التشاركية.
- ***المنظمات المحلية:*** من المستحسن أن يتم تنفيذ المشروع بالشراكة مع منظمة محلية. يمكن أن تكون المنظمة بمثابة الجهة الراعية للمشاركين ويمكن أن تساعدك في التأكد من تنفيذ المشروع بطريقة تراعي أساليب العمل المعمول بها على المستوى المحلي. كما يمكن أن تساعد المنظمة المحلية أيضًا في توعية المجتمع الأوسع بالمشروع، فضلاً عن دعم نشر الاستنتاجات.
- ***الإدارات الحكومية المحلية:*** من خلال الشراكة مع إدارات حكومية محليّة، يمكنك جذب انتباههم والمساعدة في ضمان الاستماع إلى الأصوات المحلية. يؤدي إجراء مشروع الصور التشاركية بمشاركة إدارات حكومية محليّة إلى زيادة احتمالية أن تؤدي استنتاجات البحث إلى إجراء تغيير على مستوى تقديم الخدمة والسياسة.

كيف سيتم نشر الاستنتاجات؟ نظرًا لأن منح أفراد المجتمع فرصة التعبير هو جوهر طريقة الصور التشاركية، فمن المهم منذ البداية التفكير في من يجب أن يكون الجمهور المستهدف. يمكنك تحديد ذلك من منظور البحث أو المناصرة أو تنمية المجتمع.

- ***جمهور البحث:*** تتمتع استنتاجات مشروع الصور التشاركية بميزة بحثية ويمكن أن تقدم رُؤى وأدلة حول عدد من المشكلات التي تهم الأكاديميين وصانعي السياسات والقرارات.

- ***جمهور المناصرة:*** على المستوى المحلي، توفِّر الصور والتعليقات التوضيحية المرافِقة لها قصصًا قوية يمكن أن تساعد مقدمي الخدمات على فهم الظروف الحياتية لأفراد المجتمع بشكل أفضل وبدء إجراء تغييرات وفقًا لذلك. أما على مستوى المناصرة العالمي، يمكن للصور أن تلفت الانتباه إلى الظلم الاجتماعي وتساعد في الدعوة للتغيير الهيكلي.
- ***أفراد المجتمع أنفسهم:*** تساعد الصور التشاركية أفراد المجتمع على تحديد جوانب معينة من حياة المجتمع وتمثيلها. وبعبارة أخرى، فإن الصور التشاركية هي عبارة عن عملية تحفز التعرف على الهياكل الاجتماعية والاقتصادية والعوامل الاجتماعية والثقافية التي لها أثر على حياتهم. يمكن للصور والقصص التي تتم مناقشتها على مستوى المجتمع أن تساعد أفراد المجتمع على رؤية كيف أنهم يمثلون جزءًا من كل المشكلات التي تم تحديدها ومن حلولها أيضًا.

بمجرد تحديد جمهورك المستهدف، يمكنك البدء في وضع إستراتيجية نشر تصف: ١) كيف تخطط للمشاركة مع الجهات الفاعلة المختلفة، ٢) وسائل الإعلام التي ستستخدمها للمساعدة في تسهيل نشر الاستنتاجات، و ٣) مدى الوصول المنشود والتغيير الاجتماعي الذي ترغب في رؤيته نتيجة تطبيق هذه العملية.

بمجرد اعتبار الأسئلة المذكورة أعلاه، تكون قد وصلت إلى خطوة مهمة أقرب إلى معرفة ما إذا كان بإمكانك، أو ينبغي لك، المضي قدمًا في التخطيط لمشروع الصور التشاركية الخاص بك.

تحديد غاية مشروعك

تتمثل الخطوة الأولى المهمة في التخطيط لمشروع الصور التشاركية في ترجمة الغرض، الذي كان يوجه اهتمامك حتى الآن، إلى مجموعة من الأهداف والغايات الملموسة. الغرض من هذه الأهداف هو "رسم صورة" لما يسعى مشروع الصور التشاركية إلى تحقيقه. وغالبًا ما تكون عبارات عامة تصف إما نواياك أو الحصائل المرجوة. إليك أمثلة للغايات:

- منح أفراد المجتمع المحلي *فرصة للتحدث* عن إصلاح الرعاية الصحية.
- استكشاف *وجهات نظر* المرأة المتعلقة بخدمات صحة الأم والطفل المحلية.
- استكشاف *دور الصور التشاركية* في تسهيل مشاركة الأطفال في تقديرات الاحتياجات.

تمثل هذه الغايات الثلاث مجرد توضيح لبعض السُبُل المختلفة التي يمكن من خلالها صياغة الغاية من أجل التأكيد على الغرض. تتمثل الغاية الأولى في منح أفراد المجتمع فرصة للتحدث والتعبير، وهذا مهم للغاية إذا كنت ترغب في إجراء طريقة الصور التشاركية مع مجموعة من الأشخاص الذين يتم إسكاتهم عادةً وليس لديهم الكثير لقوله حول القرارات التي تؤثر عليهم. تعد هذه الغاية ملائمة بشكل خاص إذا كان جمهورك المستهدف من المناصرين وصانعي السياسات. أما الغاية الثانية فتشدد على أهمية جمع وجهات نظر مجموعة معينة من الناس حول موضوع معين. قد تكون هذه الغاية ملائمة إذا كان غرضك هو إشراك الأكاديميين وصانعي السياسات. بالنسبة للغاية الثالثة، تعد ملائمة إذا كنت تتطلع إلى استكشاف دور الصور التشاركية، كطريقة، في إنتاج المعلومات المستخدمة لغرض معين، الذي هو في هذه الحالة تقدير الاحتياجات.

من ناحية أخرى، تَرْمِي الأهداف إلى التعبير عن النوايا التي يمكن أن تساعدك على تحقيق الغاية من المشروع. ومن المفيد أن تكون الأهداف محددة وقابلة للقياس ومناسبة/قابلة للتحقيق وذات صلة/واقعية ومحددة زمنيًا (SMART). قد تشمل الأهداف الأمثلة المذكورة أدناه:

- تطوير شراكات تربط أفراد المجتمع بجهات فاعلة أكثر قوة.
- تطوير مهارات التصوير لدى المشاركين.
- إقامة معرض للصور الفوتوغرافية والقصص.
- تطوير أدوات التدريب وإرشادات لمشاريع الصور التشاركية المستقبلية.

بتحديد غاياتك وأهدافك، تصبح جاهزًا لتكوين فريق من الأشخاص الذين يمكنهم مساعدتك في تنفيذ المشروع.

تشكيل الفريق

لا يمكنك إعداد مشروع صور تشاركية بنفسك فحسب. ستحتاج إلى جمع فرق من الأشخاص والاستفادة من مهاراتهم المختلفة. يتطلب ذلك أن تكون لديك نظرة عامة جيدة عن القدرات والمهارات المطلوبة وأن تكون قادرًا على الوصول إلى شبكات الأشخاص الذين يمكنك دعوتهم والاعتماد عليهم. اعتمادًا على حجم مشروعك، وما إذا كان يتضمن بحثًا يركز على برنامج أم مشكلة، قد تفكر في إنشاء فرق مختلفة بأهداف محددة.

فريق استشاري: يتألف هذا الفريق من مجموعة أشخاص لديهم مجموعات معينة من المهارات والمعرفة التي يمكنك الاعتماد عليها للاسترشاد بها في وضع المشروع وتصميمه. قد يضم هذا الفريق خبراء في الموضوع أو البرنامج قيد البحث، أو باحثين ذوي خبرة سابقة، أو صانعي قرار محليين. يمكن تشكيل فرق استشارية على المستويات المحلية والإقليمية والوطنية.

فريق المشروع: يتحمل فريق المشروع المسؤولية الكاملة عن تصميم المشروع وتنفيذه. يمكن تفويض المهام إلى الفرق الفرعية التي قد تكون مسؤولة عن التصميم، والخدمات اللوجستية، وإشراك المجتمع المحلي، والأخلاقيات، والتيسير.

فريق المناصرة والنشر: سيتحمل هذا الفريق مسؤولية التأكد من أن المشروع ينقل أصوات ووجهات نظر المشاركين إلى الجماهير المقصودة ويلبي هدفه المتمثل في تحقيق العدالة الاجتماعية. إذا كنت تعمل في مؤسسة كبيرة، يمكن لهذا الفريق أن يضم زملاء من أقسام المناصرة والاتصالات والمتابعة والتقييم وكتابة التقارير.

بغض النظر عن الفرق التي كونتها، من المهم أن تتضمن الفرق ممثلين من مجموعة المشاركين، ومنهم الأطفال، إذا كانوا مشاركين في البرنامج.

اختيار المشاركين والمكان

لا توجد قاعدة صارمة وثابتة لكيفية اختيار المشاركين في مشروع الصور التشاركية. في الواقع، يمكنك اختيار المشاركين بعدة سُبُل مختلفة. المهم أن يكون المشاركون قد أعربوا عن اهتمامهم بالمشاركة وتنطبق عليهم المعايير التي تحدد المجموعة المستهدفة وفقًا لغاياتك وأهدافك.

إذا أعرب العديد من الأشخاص المطابقين للمعايير عن اهتمامهم بالمشاركة، فيمكنك استخدام إستراتيجيات مختلفة لتقليل عدد المشاركين. وفيما يلي بعض الإستراتيجيات التي يمكن اتباعها:

أخذ العينات العشوائية: إذا أبدى ١٠٠ شخص اهتمامًا بالمشاركة، فيمكنك رمي نرد واختيار الاسم الثاني أو الثالث أو الرابع في قائمة الأسماء، بناءً على رقم النرد، حتى تحصل على عدد المشاركين الذين يمكنك العمل معهم بشكل مُجدٍ.

أخذ العينات العمدية: يمكنك أيضًا اختيار المشاركين بناءً على غرض محدد، إما بدافع الملاءمة، مثل اختيار المشاركين الذين يعيشون على مقربة من مكان المشروع، أو لأنك تريد أن تتعلم شيئًا يتطلب منك اختيار المشاركين عن قصد بناءً على خلفيتهم. على سبيل المثال، قد ترغب في إشراك من يمثلون حالات متطرفة أو نموذجية أو يستوفون معيارًا معينًا قمت بتحديده. من ناحية أخرى، إذا كنت تواجه صعوبة في تحديد المشاركين المحتملين، فيمكنك أن تطلب من الأطراف المعنية المحلية أو المشاركين الآخرين ما إذا كان بإمكانهم التوصية بآخرين للمشاركة. ويشار إلى هذا بمصطلح "أخذ عينات كرة الثلج".

أخذ العينات الطبقية: مرة أخرى، إذا أعرب الكثير من الأشخاص عن اهتمامهم بالمشاركة، فيمكنك اختيار المشاركين بناءً على خصائصهم الديموغرافية، مثلاً. ويعد هذا ملائمًا إذا كنت ترغب في مقارنة استجابات وصور مجموعات مستهدفة مختلفة، مثل الفتيان أو الفتيات، أو أفراد المجتمع من مجتمعات مختلفة، وإبراز الاختلافات بينهم.

أيًا كانت إستراتيجية أخذ العينات التي تستخدمها، يوصى بالعمل مع الشركاء من المنظمات المحلية عند اختيار المشاركين. فمعرفتها بالبيئة المحلية يمكن أن تضمن اختيارك للمشاركين والتعامل معهم بطريقة مناسبة ثقافيًا. يمكنك أيضًا اختيار المشاركين من خلال، على سبيل المثال لا الحصر، المؤسسات التعليمية أو الجمعيات الرياضية أو المنظمات المجتمعية والدينية.

قد تتساءل عن عدد المشاركين الذين يجب إشراكهم. يعتمد هذا كثيرًا على أهداف مشروعك والميزانية ووقت الموظفين المتاح، ولكن عادةً ما يتراوح العدد المثالي بين ١٠ و٢٠ شخصًا. وبالطبع، يمكن مشاركة عدد أكبر من الناس. ونظرًا لأن طريقة الصور التشاركية يمكن أن تستغرق الكثير من الوقت، فمن المتوقع أن يتوقف بعض المشاركين عن المشاركة قبل انتهاء العملية. لذا ضع ذلك في الاعتبار عند اختيار المشاركين.

الاعتبارات الأخلاقية

تمثل الصور التشاركية حقل ألغام أخلاقي. فالطبيعة العامة للتصوير الفوتوغرافي تنتهك خصوصية الأشخاص الذين قد يظهرون في الصورة وتكشف عن هويتهم، ويكون من الصعب على المصور الإبقاء على سرية المكان (Wang and Redwood-Jones, 2001 وHarley, 2012). وبناءً عليه، ينبغي أخذ عدد من الاعتبارات الأخلاقية في الحُسبان. وتشمل، على سبيل المثال لا الحصر، ما يلي:

- ***المساحة الشخصية:*** احرص على عدم الدخول إلى المساحة الشخصية لشخص ما دون إذن منه أو مراعاة ما قد يعنيه ذلك له. يتضمن ذلك عدم التقاط صورة لشخص ما أو دخول منزله لالتقاط صورة بدون إذن. ويشمل أيضًا إدراك ردود أفعال أفراد المجتمع إزاء وجود أشخاص يتجولون حولهم ويوثقون ما يجري في مجتمعهم من خلال التصوير الفوتوغرافي.
- ***الحقائق المحرجة:*** احرص على عدم الكشف عن أي حقائق محرجة تتعلق بأي شخص أو أي موقع مجتمعي. يتضمن ذلك عدم التقاط صور لشخص وهو يفعل شيئًا قد يدينه (على سبيل المثال، شخص يدخن سيجارة في منطقة ممنوع فيها التدخين) أو إذا كان في وضع صعب (على سبيل المثال، مريض وطريح الفراش).
- ***التضليل:*** انتبه إلى عدم إعطاء من يوافق على الظهور في الصور انطباع خاطئ أو غير كامل عن كيفية استخدام الصور.

إذًا ما الذي يمكن فعله للتغلب على بعض هذه المعضلات الأخلاقية؟

- ***التدريب الأخلاقي:*** يجب أن ينتبه ميسرو مشاريع الصور التشاركية إلى المعضلات الأخلاقية المصاحبة لاستخدام هذه الطريقة وأن يكونوا في وضع يسمح لهم بتوجيه المشاركين بشكل مناسب حول سُبُل العمل التي قد تقلل من المخاطر الأخلاقية. يمكن القيام بذلك من خلال إجراء ورش عمل تساعد المشاركين على التفكير في عدد محدد من المعضلات الأخلاقية التي تنشأ عن استخدام الصور التشاركية في بيئاتهم والسُبُل التي يمكنهم من خلالها التغلب على هذه التحديات.
- ***المرونة وسرعة الاستجابة:*** إن الصور التشاركية طريقة مرنة ومنفتحة للحلول الإبداعية والبديلة للتغلب على المعضلات الأخلاقية. إذا أراد المشاركون، على سبيل المثال، التعبير عن قصة من خلال التقاط صورة لشخص وهو يقوم بشيء يدينه، أو شخص في وضع حرج، فيمكن تشجيعهم على رسم صورة بدلاً من عرض صورة حقيقة. وبهذا، يمكن التعبير عن قصة مهمة دون التقاطها في صورة.
- ***المساءلة والشفافية:*** نظرًا للطبيعة العامة للتصوير الفوتوغرافي، تصبح الأماكن العامة موضوع بحث الصور التشاركية. لذلك، من المهم أن يتم إبلاغ أولئك الذين يتواجدون في هذه الأماكن أو يعيشون فيها بمشروع الصور التشاركية ودعوتهم إلى إجراء حوار عن المشروع والمشاركين فيه وأنشطته. إن إجراء ذلك الحوار لن يتيح لك فقط الفرصة للكشف عن غايات وأهداف المشروع للمجتمع بأسره، بل سيتيح أيضًا فرصة للجميع لمناقشة المعضلات الأخلاقية المحتملة وأفضل السُبُل للتغلب عليها. وهذه المناقشات مهمة لسلامة المشاركين في برنامج الصور التشاركية (انظر المربع ٦-١).
- ***السلامة:*** للحفاظ على رفاهية المشاركين في مشروع الصور التشاركية، من المهم إجراء تقدير للمخاطر يحدد جميع المخاطر المحتملة المرتبطة بالمشاركة. وفي أثناء عملية تخطيط المشروع وتنفيذه، يمكنك اتخاذ خطوات لتقليل هذه المخاطر. من المهم أيضًا أن تخبر المشاركين، قبل موافقتهم على المشاركة، بوضوح تام عن المخاطر التي تم الوقوف عليها. فهذا ما يؤدي إلى الموافقة المستنيرة.

- *الموافقة المستنيرة:* يعد الحصول على الموافقة المستنيرة إجراءً أساسيًا لمعالجة بعض المعضلات الأخلاقية التي تنشأ من إجراء البحث. أوصى بلاكمان وفايري بثلاثة أنواع مختلفة من نماذج الموافقة في مشاريع الصور التشاركية (Blackman and Fairey, 2007):

١. *الموافقة المستنيرة من المشاركين في مشروع الصور التشاركية:* يوضح هذا النموذج الغاية والأهداف والمخاطر والفوائد المحتملة من المشاركة قي المشروع، بالإضافة إلى ذكر أن للمشاركين الحق في الانسحاب من المشروع وقتما يشاؤون. ويجب أن يضمن النموذج أيضًا السرية وإخفاء الهوية، حيثما أمكن ذلك. بمجرد أن يتم شرح المشروع بالكامل، بالإضافة إلى حقوق المشاركين ومسؤولياتهم، يمكن الحصول على موافقة خطية أو شفوية. إذا كان عمر المشاركين أقل من ١٨ عامًا، فيجب الحصول على موافقة إضافية من أولياء أمورهم.

المربع ٦-١ مثال على المساءلة والشفافية في مشروع الصور التشاركية

استخدمت منظمة "أنقذوا الأطفال" في بنغلاديش الصور التشاركية لإشراك الأطفال في تقدير الاحتياجات لبرنامج الجوع وسُبُل كسب العيش في ريف بنغلاديش. ومن خلال الاجتماعات المجتمعية، تم الاتفاق على تزويد الأطفال بقمصان مطبوع عليها صورة كاميرا و/أو قبعة و/أو بطاقة هوية و/أو حقيبة بحث تحمل شعار منظمة "أنقذوا الأطفال". كما تم الاتفاق أيضًا على أنه يجب أن يكون بحوزة المشاركين نشرات معلومات، بها تفاصيل حول مشروع الصور التشاركية وغاياته وأهدافه، والتي يمكنهم بعد ذلك توزيعها على الأفراد أثناء تجولهم في المجتمع.

الشكل ٦-١ أطفال بنغلاديشيون مشاركون في مشروع الصور التشاركية
المصدر: تنفير أحمد/منظمة "أنقذوا الأطفال" ببنغلاديش

٢. *الموافقة المستنيرة مِمَن يتم تصويرهم:* يشكل هذا النموذج اتفاقًا بين المشارك في مشروع الصور التشاركية (المُصوِر) والشخص (الأشخاص) الذي يظهر في الصورة (المُصَوَّر). تسعى الاتفاقية إلى الحصول على إذن من "المُصَوَّر" لالتقاط صورته واستخدامها لغرض معين ومعلن. يكون هذا النموذج مطلوبًا إذا كان من الممكن التعرف على شخص أو شخصين بوضوح في الصورة، أو إذا تم التقاط صورة داخل منزل شخص ما، أو إذا كانت الصور توثق حياة شخص ما. بالنسبة للعديد من المشاركين في برنامج مشروع الصور التشاركية، يصعب التفاوض بشأن موافقة "المُصَوَّر". قد تظهر إستراتيجيات مختلفة، للحصول على موافقة "المُصَوَّر" أو تجنبها، من التشاور مع المجتمع ككل. قد تتضمن الامتناع عن التقاط صور للأشخاص، أو الحصول على إذن جماعي لالتقاط الصور، أو قيام المشاركين في مشروع الصور التشاركية بتمثيل سيناريوهات والتقاط صور لبعضهم البعض.

٣. *الموافقة على نشر الصورة:* يستخدم هذا النموذج، الثالث والأخير، أساسًا لمنح الإذن للمشروع باستخدام الصور لغرض البحث والمناصرة. إنه نموذج يوضح حقوق الطبع والنشر وما إذا كان سيتم استخدام الاسم الحقيقي للمشارك أم اسم مستعار في بيانات الصور. ويعمل هذا النموذج أيضًا كنسخة احتياطية للكشف الكامل عن الغرض من الصورة واستخدامها لكل من المُصَوِّر و"المُصَوَّر". يعد هذا مهمًا بشكل خاص إذا كان من المرجح أن يتم نشر الصور على الإنترنت أو استخدامها لمناصرة قضية معينة.

النشاط ٦-١ القضايا الأخلاقية في مشروع الصور التشاركية

هل توافق أم تعترض على العبارات التالية؟

١. من الممكن الحماية من جميع المعضلات الأخلاقية.

٢. من المهم التفاوض باستمرار بشأن الموافقة المستنيرة.

٣. يمكن نشر الصور التشاركية في الصحف.

٤. تُطلب موافقة "المُصَوَّر" من الفرد الذي يظهر في صورة بظهره ولا يمكن التعرف على وجهه.

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

تيسير ورشة العمل

أكد القسم السابق الخاص بالأخلاقيات على بعض المهارات المطلوبة من ميسر مشروع الصور التشاركية. ونظرًا لأن الصور التشاركية تتعلق بتمكين المشاركين من تحديد مجتمعهم وتمثيله وتحسينه من خلال الصور الفوتوغرافية، يحتاج الميسرون إلى أداء أدوار مختلفة. يحتاج الميسرون إلى أن يكونوا قادرين على التخطيط لورش العمل التشاركية، وتعزيز المشاركة العادلة في هذه الورش، وبناء بيئة مشاركة تتسم بالثقة والانفتاح (Rifkin and Pridmore, 2001). تتطلب هذه الأدوار مهارات ومعرفة ومواقف وسلوكيات معينة:

- المعرفة بأدوات التعلم والعمل التشاركي (PLA) المختلفة وكيفية استخدامها (انظر الفصل الخامس)؛
- المعرفة بالصور التشاركية وغايتها وأهدافها؛
- القدرة على العمل ضِمن فريق؛
- الخبرة والمهارات في تيسير المناقشات الجماعية التي تمكّن الجميع من المشاركة، بما فيهم من أطفال؛
- القدرة على طرح الأسئلة بشكل فعال بطريقة تبرز وجهات النظر المحلية؛
- والقدرة على الاستماع بنشاط، من خلال استخدام لغة الجسد وتعبيرات الوجه لإظهار الاهتمام، وكذلك تحليل المعلومات الناتجة عن المناقشة في الحال لإثارة مزيد من المناقشة.

لقد تناولنا مهارات التيسير هذه بمزيد من التفصيل في الفصل الخامس.

تقديم الصور التشاركية وتيسيرها: ١٠ خطوات

ناقشنا، حتى الآن، بعض من الأشياء العديدة التي تحتاج إلى أخذها في الاعتبار قبل بدء مشروع الصور التشاركية. ربما يبدو الأمر شاقًا في البداية، لكن يرجى ألا تسمح لهذا بردعك عن مشروعك. كما أوضحنا سابقًا، لا توجد طريقة صحيحة أو خاطئة لتطبيق الصور التشاركية. فالمرونة مهمة، ويجب أن تتوفر بقدر كبير حتى تتمكن من تكييف الصور التشاركية وفقًا لسياقك والمجموعات المستهدفة. كما تكمن أيضًا أهمية المرونة في منحك فرصة للإبداع والابتكار، مما يَمَكِّنك من استكشاف سُبُل جديدة ومختلفة لاستخدام الصور التشاركية. وعلى الرغم من أن مشاريع الصور التشاركية يمكن أن تتخذ أشكالًا مختلفة، إلا أن هناك بعض العناصر والمبادئ الأساسية التي سيكون من الجيد اتباعها. سنقوم الآن بتحديد ١٠ خطوات أساسية لتقديم مشروع الصور التشاركية وتيسيره، بالاعتماد على تجارب مشروع الصور التشاركية التي أجرتها منظمة "أنقذوا الأطفال" في بنغلاديش (راجع Skovdal et al., 2014). يتكون هدفنا من شقين: يتمثل الشق الأول في إلهامك للتخطيط لمشروع الصور التشاركية، أما الشق الثاني فيتمثل في إزالة الغموض الذي يكتنف عملية الصور التشاركية، مما يمنحك الثقة للاعتقاد بأنها أداة يمكنك استخدامها.

الخطوة ١: توعية المجتمع وتعيين المشاركين

انطلاقًا من روح المساءلة، تتمثل الخطوة الأولى المهمة في مشروع الصور التشاركية في توعية المجتمع الذي سيتم تنفيذ مشروعك فيه بخططك. يجب تزويد أفراد المجتمع المحلي بمعلومات ملائمة وواضحة حول مشروع الصور التشاركية، وتتضمن القصد والغرض والنطاق. بالإضافة إلى منطلق المساءلة، تعود توعية المجتمع المحلي بمشروع الصور التشاركية القادم بالعديد من الفوائد؛ أولاً، تمنحك فرصة لتقديم الصور التشاركية إلى المجتمع ككل والحصول على الإذن بتجول المشاركين في المجتمع والتقاط الصور. ثانيًا، يمكن للمجتمع أن ينصحك بشأن بعض المعضلات الأخلاقية المتعلقة باستخدام الصور التشاركية في هذا السياق بالذات. قد يشمل ذلك مناقشات حول الأساليب المقبولة أو غير المقبولة لالتقاط الصور، وما إذا كانت هناك مناطق داخل المجتمع يجب على المشاركين تجنبها. ثالثًا، يمكن أن توفر لك فرصة لتحديد المشاركين

في المشروع، إما عن طريق تعيين مشاركين من أولئك الذين يحضرون الاجتماع المجتمعي (أخذ العينات النفعية)، أو من خلال توصية أفراد المجتمع وإحالتك إلى مشاركين محتملين (أخذ عينات كرة الثلج).

بالطبع يعني مفهوم "المجتمع" معانٍ مختلفة باختلاف السياق. يمكن أن يعني المجتمع إلى أي شيء؛ من مجتمع جغرافي إلى مجموعة من الأشخاص ذوي الاهتمامات أو الهوية المشتركة، أو بالطبع مزيج من الاثنين. قد لا تتمكن من جمع المجتمع بأكمله، وقد لا يكون هذا ضروريًا. إذا كنت تتوقع أن يتجول المشاركون في مجتمع جغرافي والتقاط الصور به، فقد يمثل التواصل مع القادة المحليين في المجتمع نقطة انطلاق جيدة. فالقادة المحليون لا يمنحونك الإذن فحسب، بل يمكنهم أيضًا تقديم المشورة بشأن مَن تدعوه إلى الاجتماع المجتمعي الخاص بالصور التشاركية. ومع ذلك، إذا كنت تستخدم الصور التشاركية مع مجموعة من الأشخاص في سياق تنظيمي، مثل داخل نادٍ رياضي أو في مستشفى، فستحتاج إلى التواصل مع الأشخاص الذين في إدارة هذه المنظمات.

الخطوة ٢: المقدمات وإنشاء مساحة اجتماعية آمنة

بمجرد أن تقوم بتوعية المجتمع بالمشروع والحصول على إذن من السلطات المختصة وتحديد المشاركين في المشروع، تصبح في وضع يسمح لك بمقابلة المشاركين والبدء. تتمثل الخطوة الأولى والمهمة في تعريف المشاركين بالمشروع وتزويدهم بجميع المعلومات ذات الصلة التي يحتاجونها لاتخاذ قرار مستنير فيما إذا كانوا يرغبون في مواصلة مشاركتهم أم لا. تتضمن هذه الخطوة مقدمة شاملة عن الصور التشاركية والعملية التي خططت لها، وعادة ما تتم في ورشة العمل الأولى التي تجمع المشاركين معًا. كما يمكن أن يقدم الميسرون والمشاركون أنفسهم لبعضهم البعض في ورشة العمل الأولى هذه. من المهم أن يشعر كل من المشاركين والميسرين بالراحة مع بعضهم، وأن يتم إنشاء مساحة اجتماعية آمنة، قائمة على الاحترام والوفاق المتبادل، لمشروع الصور التشاركية حتى نتمكن من الاستماع إلى الأصوات الصامتة وإدراك وجهات النظر الخفية. يتطلب إنشاء مساحة اجتماعية آمنة، حيث يتمتع الناس بحرية التعبير عن أنفسهم، بعض العمل.

عندما تنشئ فريق الميسرين الخاص بك، قد ترغب في تضمين شخص يتمتع بمهارات شخصية قوية وخبرة سابقة في تيسير الأنشطة الجماعية وتعزيز روح الفريق ومشاعر العمل الجماعي. ويعد هذا مهمًا بشكل خاص إذا كنت تُيسِّرُ برنامج الصور التشاركية مع أطفال. يوجد عدد من التمارين التي يمكنك الاعتماد عليها لتيسير وجود مساحة اجتماعية آمنة. يسعى الكثير منها إلى بناء الثقة والانفتاح بين المشاركين في المجموعة، فضلاً عن تنمية المهارات الاجتماعية والثقة بالنفس. عندما تخطط لأنشطتك، تأكد من أنها مناسبة للسياق وعمر المشاركين ونوعهم الاجتماعي وقدراتهم المختلفة. اختر أيضًا الأنشطة التي ستطور المهارات الشخصية والتي ستكون ملائمة لمشروع الصور التشاركية. للحصول على أفكار ونصائح تتعلق بألعاب بناء العلاقات وأنشطة التعارف وكسر الجليد، يمكنك الرجوع إلى الدليل الذي أعده التحالف الدولي لمكافحة فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز "A parrot on your shoulder?".[١]

الخطوة ٣: صياغة سؤال البحث

بمجرد إنشاء بيئة آمنة ومنفتحة، يمكنك بدء عملية مساعدة المشاركين على التفكير في القضايا التي قد تستحق الاستكشاف باستخدام الصور التشاركية. ثمة سببان يدعوان إلى ضرورة التعامل مع هذه العملية بحذر شديد: احتمالية وجود اهتمامات مختلفة للمشاركين، ووجود اهتمام محدد لوكلاء التغيير الخارجيين الذين يعملون على تمويل المشروع وإطلاقه. في عالم مثالي، يتشارك كل من وكلاء التغيير الخارجيين (أي أنت والمنظمة التي تمثلها) والمشاركين جدول الأعمال نفسه. ولكن، نادرًا ما يكون هذا هو الحال وقد تجد نفسك تيسر مشروع صور تشاركية في إطار المصالح والقيم والتفويضات الخاصة بمنظمة أو برنامج ممول من المانحين. على سبيل المثال، إذا يسرت مشروع صور تشاركية بتمويل من برنامج تعليمي، فقد يحد ذلك من نطاق المشروع ويحدد اتجاهه، بما في ذلك الغرض من استخدام الصور التشاركية. على سبيل المثال، قد يملي الممول ما إذا كان يجب استخدام الصور التشاركية كطريقة لجمع الآراء المحلية حول قضية ما (كجزء من تقدير الاحتياجات، مثلاً) أم كبرنامج (ربما كجزء من التقييم).

بغض النظر عن جداول الأعمال التي قد تكون على المحك، من المهم أن يوافق جميع المشاركين على اتجاه المشروع ويدركوا قيمته وأن يقوموا بدور نشط في صياغة سؤال البحث وتنقيحه وتحسينه. من المهم أن تتحلى بالشفافية بشأن نطاق المشروع والغرض منه. وعلى الرغم من أن النطاق قد يكون محدودًا، مما يجبر مشروع الصور التشاركية على النظر إلى مجال مواضيعي مُحدَّد أو بغرض تقييم برنامج، لا يزال هناك مساحة كبيرة للمشاركين في برنامج الصور التشاركية لتولي ملكية المشروع وتنقيح سؤال البحث. يمكن استخدام الطرائق التشاركية (انظر الفصل الخامس) للتحفيز على مناقشة بعض القضايا، والتي بدورها يمكن أن تَكْفُلَ التحديد المبكر للفجوات المعرفية وتساعد المشاركين على إدراك أهمية استكشاف بعض القضايا من خلال الصور التشاركية. بعبارة أخرى، يحتاج الميسر إلى دعم العملية التي يمكن للمشاركين فيها التوصل إلى توافق في الآراء حول أهمية دراسة قضية معينة، ويتفقون كمجموعة على سؤال البحث.

وصفنا بالتفصيل، في الفصل الثاني، كيف يمكنك صياغة سؤال البحث. وأوضحنا أن سؤال البحث النوعي الجيد يتضمن تفاصيل عن الموضوع الذي ستتم دراسته، وأين، ومع مَن. وبالتالي لا ينبغي أن يحدد سؤال البحث ما أنت مهتم بدراسته فحسب، بل يجب أن يساعد في تحديد الدراسة وفي وضع الحدود أيضًا. الأهم من ذلك، يجب أن يُطرَحَ السؤال، الذي يمكن أن يسهل التعلم وينتج رؤى متبصرة حول موضوع ما، مع الاخذ في عين الاعتبار مجموعة أفرادٍ في موقعٍ معينٍ.

فيما يلي ثلاثة أمثلة مختلفة لأسئلة البحث المتعلق بمشروع صور تشاركية:

- *ما الذي يمنع الرجال من استخدام خدمات رعاية مرضى فيروس نقص المناعة البشرية في زيمبابوي؟*

  يشير سؤال البحث هذا إلى أن الرجال في زيمبابوي أقل احتمالية للاستفادة من خدمات رعاية مرضى فيروس نقص المناعة البشرية، مقارنةً بنظرائهم من الإناث، وأنه من المهم معرفة سبب ذلك.

يمكن للرجال، من خلال الصور التشاركية، التجول في المجتمع والتقاط صور لبعض العوامل التي تمنعهم من الاستفادة من خدمات رعاية مرضى فيروس نقص المناعة البشرية. ويمكن استخدام هذه الصور والقصص المصاحبة لها لإعداد برنامج مستنير يتطلع إلى زيادة استفادة الرجال من خدمات رعاية مرضى فيروس نقص المناعة البشرية في زيمبابوي.

- *ما التغييرات التي أحدثها برنامج التحويلات النقدية في غرب كينيا والتي يعتبرها الأطفال الأهم؟ يمكن أن يشكل سؤال البحث هذا جزءًا من التقييم ويعكس الاعتراف بأهمية تضمين وجهات نظر الأطفال. يوضح هذا السؤال الموضوع الذي ستجرى عليه الدراسة (التصورات المحلية والتغييرات المهمة الناتجة عن برنامج التحويلات النقدية)، ومن سيجريها (الأطفال في المجتمعات المستهدفة من قبل البرنامج)، وأين تجرى (غرب كينيا).*
- *كيف يصف موظفو البرنامج العوامل الداخلية والتنظيمية التي أعاقت التنفيذ الناجح لبرنامج الحد من الفقر في بنغلاديش أو التي ساهمت في نجاحه؟*

على عكس السؤالين السابقين، اللذين يستهدفان أفراد المجتمع، يهتم هذا السؤال بآراء الموظفين المشاركين في تنفيذ البرنامج. وعلى غرار مراجعة ما بعد العمل، يدعو سؤال البحث هذا موظفي البرنامج إلى التقاط صور فوتوغرافية للدروس المستفادة من نجاحات البرنامج وإخفاقاته.

يمكن أن يُعطي سؤال البحث المشاركين في برنامج الصور التشاركية فكرة عن الغرض من البحث. لتفعيل سؤال البحث، ومنح المشاركين بعض الإرشادات حول كيفية الإجابة عن سؤال البحث، قد يكون من المفيد أيضًا الاتفاق على قائمة أهداف الدراسة، والتي يمكننا معًا "رسم صورة" لها وتقديم بعض الإجابات عن سؤال البحث (انظر الفصل الثاني لمزيد من التفاصيل).

الخطوة ٤: التحدث من خلال الصور الفوتوغرافية

بمجرد تحديد سؤال البحث، يحين وقت مناقشة أفضل السبل للإجابة عن هذا السؤال من خلال "التحدث من خلال الصور الفوتوغرافية" - مع تحديد القضايا ذات الأهمية لسؤال البحث. ومن بين سُبُل القيام بذلك، كتابة بعض الملاحظات أو الأسئلة التي يمكن أن توجه المشاركين نحو القضايا التي تهم المشروع وتجعل تركيزهم ينصب عليها. يمكن وضع هذه الملاحظات الإرشادية إما من قبل فريق المشروع أو من خلال شراكة وثيقة مع المشاركين في المشروع. يمثل الخيار الأخير الوضع المثالي، وبالتالي، إذا توفر الوقت والمهارات، فيوصى بتيسير عملية يقوم فيها المشاركون بوضع مجموعة من الأسئلة والاتفاق عليها والتي يمكن أن توجه التصوير الفوتوغرافي ورواية القصص حتى يتم الرد على السؤال العام للبحث. إذا لم يكن ذلك ممكنًا، فيمكنك تقديم سلسلة صغيرة من الأسئلة الإرشادية ودعوة المشاركين إما لاقتراح إدخال تعديلات عليها أو الموافقة عليها. إليك بعض الأمثلة على الأسئلة التي يمكن أن توجه تصوير المشاركين.

على سبيل المثال، إذا كنت تعمل مع مجموعة من المحاربين القدامى المصابين بإعاقة في المملكة المتحدة وترغب في وضع برنامج يمكن أن يساعدهم على التكيف مع الواقع الجديد وإصابتهم، فيمكن استخدام الصور التشاركية لاستكشاف السؤال التالي: "كيف يتعامل قدامى المحاربين البريطانيين المصابين في الحروب مع الإعاقة؟" للإجابة عن هذا السؤال بطريقة استكشافية، قد تشمل الأسئلة الإرشادية ما يلي:

- كيف تبدو حياتك؟
- ما الجيد في حياتك؟
- ما الذي يجعلك قويًا؟
- ما الذي يجب تغييره؟

يمكن لهذه الأسئلة العامة أن تساعد المحاربين القدامى في الوقوف على مجموعة من العوامل التي تؤثر على حياتهم، إيجابًا وسلبًا. على الرغم من أن هذه الأسئلة الإرشادية عامة، وقد تحظى بإجابات جيدة ذات صلة بمجال موضوعك وغرضك عندما يتم طرحها في سياق سؤال بحثٍ مُحدَّدٍ بوضوح، إلا أنها تُمكِّن المشاركين من الذهاب إلى أبعد الحدود وتتجاوز ما يراه المشروع ملائمًا. ويمكن أن يمثل هذا نقطة قوة ونقطة ضعف على السواء.

على سبيل المثال، إذا كنت تعمل في مجال التغذية وصحة الأم والطفل وتتطلع إلى العمل مع مجموعة من النساء اللواتي يعانين من سوء التغذية في الهند، فيمكن استخدام الصور التشاركية لاستكشاف السؤال التالي: ما أهم أسباب وتأثيرات نقص التغذية التي تعانيه النساء الهنديات أثناء الحمل وفي أول عامين من حياة الطفل؟" للإجابة عن هذا السؤال بطريقة استكشافية، قد يتم طرح الأسئلة الإرشادية التالية:

- ما الأطعمة "المفيدة" و"المضرة" للحوامل والرضع؟
- ما التحديات التي تواجهينها للحصول على الأطعمة المغذية؟
- ما أسباب هذه التحديات وتأثيراتها؟
- ما الذي يساعدك في التغلب على بعض هذه التحديات؟

عندما تقوم بوضع الأسئلة الإرشادية، من المهم ألا تحدد القضايا مسبقًا، فهي كثيرة بما يكفي للسماح للمشاركين في مشروع الصور التشاركية بالوقوف على مجموعة من العوامل التي يعتبرونها ذات صلة. بمجرد موافقة جميع المنخرطين في المشروع على الأسئلة الإرشادية، يمكن إجراء الترتيبات حتى يتمكن المشاركون من الوصول بسهولة إلى هذه الأسئلة أثناء عملهم الميداني، على سبيل المثال، عن طريق طباعتها على ملصقات صغيرة وإرفاقها بالجزء الخلفي من الكاميرا (في حالة التصوير بالكاميرات التي تستخدم لمرة واحدة).

الخطوة ٥: التعريف بالتصوير الفوتوغرافي واستخدام الكاميرات

يختلف "الإلمام بالتصوير الفوتوغرافي" اختلافًا كبيرًا باختلاف السياقات والفئات الاجتماعية. سواء كنت تعمل في سياق يستخدم فيه الأطفال الأكبر سنًا والشباب الهواتف المزودة بكاميرات لتحميل الصور على مواقع التواصل الاجتماعي بشكل منتظم، أو في سياق لم يسبق أن حمل فيه معظم الأطفال والبالغين كاميرا بأيديهم، فمن المهم أن تصمم مشروع الصور التشاركية ليناسب المشاركين لديك. إن مشروع الصور التشاركية قابل للتكيف للغاية ومن المهم أن تتعرف على مستوى "إلمام المشاركين بالتصوير الفوتوغرافي"

وسياق المشروع وأن تستكشف الفرص التي قد تظهر نتيجة لذلك. فقد يحدد هذا كيفية تقديم الصور التشاركية للمشاركين وأنواع الكاميرات التي سيتم استخدامها وكيفية مشاركة الصور والقصص وتوضيحها. فيما يلي أمثلة لأنواع الكاميرات التي قد تستخدمها:

- *الكاميرات التي تستخدم لمرة واحدة؛* وهي غير مكلفة وقد تكون مفيدة في حالة عدم التأكد من أمن الكاميرات. كما أنها مفيدة في المشاريع قصيرة المدى التي تتطلب فيلمًا واحدًا. يتمثل عيب الكاميرات التي تستخدم لمرة واحدة في جودة الصورة حيث تكون أقل من جودة الكاميرات الأخرى. من المهم أيضًا ملاحظة أن الحصول على الكاميرات التي تستخدم لمرة واحدة قد يكون أمرًا صعبًا في بعض البلدان النامية.
- الكاميرات الثابتة العادية؛ وتتميز بالعديد من نفس مزايا الكاميرات التي تستخدم لمرة واحدة، ولكنها أسهل في الحصول عليها. كما تتيح الكاميرات الثابتة العادية للمشاركين تصوير عدة أفلام.
- الكاميرات الرقمية؛ وهي أكثر تكلفة ولكنها تسمح للمشاركين بمراجعة صورهم في الحال، مما يشجع على التفكير مليًا فيما إذا كانت الصور الملتقطة جيدة أم لا. هذا إلى جانب مميزات التصوير الرقمي المتقدمة، أي أن صور الكاميرا الرقمية تميل إلى أن تكون ذات جودة عالية. لذا، إذا كنت تخطط لإجراء مشروع الصور التشاركية في سياق آخر، فهذا استثمار يستحق التفكير فيه.
- *كاميرات الهواتف؛* وتتميز بالعديد من نفس مزايا الكاميرات الرقمية كما أنها متاحة بسهولة في بعض السياقات. تتمثل فائدة استخدام كاميرات الهواتف في كون المشاركين قادرين على حملها دائما معهم. وبالتالي، فأنت لست بحاجة إلى شراء كاميرات.

بصرف النظر عن الكاميرا المستخدمة، تتمثل الخطوة الرابعة في تنفيذ مشروع الصور التشاركية في تيسير ورش العمل المتعلقة بالتصوير الفوتوغرافي. على سبيل المثال، يمكن أن تساعد ورشة العمل المشاركين على:

- فهم **الوظائف المختلفة للكاميرا**؛
- معرفة كيفية **استخدام الكاميرا** والتقاط الصور، فقد لا يعرفون أهمية النظر من خلال العدسة أو الزر الذي يجب الضغط عليه، أو أن بعض الكاميرات تتطلب من المُصوِّر الضغط على زر للف الفيلم؛
- أن يكونوا على دراية بالعناصر الأساسية **للتصوير الفوتوغرافي الجيد** - مثل ما يجب أن يكون في الإطار لالتقاط الصورة المُعَبِّرَة عن القصة، ومكونات الصورة، وكيفية الإمساك بالكاميرا - ويتعلموا الأخذ بعين الاعتبار أهمية الضوء والخطوط والحركة أثناء التصوير، وكذلك اتخاذ خيار مدروس بشأن ما إذا كانوا يريدون التقاط الصورة بمنظور أفقي أم رأسي؛
- و**التدرب** على استخدام الكاميرا، للتعلم من الأخطاء الشائعة واستكشاف طرائق مختلفة لالتقاط الصور "الجيدة". ولمساعدة المشاركين على ممارسة مهاراتهم في التصوير الفوتوغرافي، يمكنك إعداد دليل "البحث عن الكنز بالصور" الذي تضع فيه قائمة بالعناصر أو الأشكال أو الألوان أو المشاعر أو التعبيرات التي يجب على المشاركين التقاطها من خلال التصوير الفوتوغرافي خلال فترة زمنية محددة.

من المهم جدًا أن يحصل المشاركون على فرصة لمناقشة قوة استخدام الكاميرا وأخلاقيات هذا الاستخدام (انظر القسم الخاص بالاعتبارات الأخلاقية). يمكن إجراء مثل هذه المناقشة من خلال طرح الأسئلة التالية:

- ما الطريقة المقبولة للاقتراب من شخص ما لالتقاط صورة له؟
- هل يجوز لك التقاط صور لأشخاص آخرين دون علمهم؟
- متى لا تريد التقاط صورة لك؟
- من الذي قد ترغب في مشاركة الصور معه؟ وما الانعكاسات التي قد تترتب عن ذلك؟

يجب أن تؤدي مثل هذه المناقشة إلى اتفاق المشاركين في مشروع الصور التشاركية على بعض "القواعد الأساسية".

الخطوة ٦: التقاط الصور

بمجرد تحفيز المشاركين في مشروع الصور التشاركية من خلال سؤال البحث الخاص بالمشروع، وعندما يشعرون بأنهم مجهزون بالإرشادات والمهارات الخاصة بكيفية التحدث والتعبير من خلال التصوير الفوتوغرافي، حينها يكونون مستعدين تقريبًا لدخول المجتمع بكاميراتهم. ومع ذلك، قبل أن يذهبوا للمجتمع، يجب أن تتفقوا على المدة التي يتعين عليهم التقاط الصور خلالها. هل سيحتاجون نصف يوم؟ أسبوعًا؟ أسبوعين؟ شهرًا؟ أم أكثر؟ إذا تم التقاط الصور على مدى فترة طويلة، ستة أشهر على سبيل المثال، فهل سيجتمع المشاركون بشكل منتظم، ربما مرة كل شهر، لمناقشة الصور التي التقطوها والتفكير فيها؟ يرى كاستليدين وزملاؤه (Castleden, et al., 2008) أن مثل هذه الترتيبات يمكن أن تؤدي إلى قدر أكبر من التفكير وتمكين المشاركين.

لا توجد مدة مثالية محددة. فهي تعتمد إلى حد كبير على مقاربتك وإستراتيجيتك. إذا كانت الصور تخدم غرض تثليث مواضيع محددة مسبقًا، فيمكن التقاط الصور في نصف يوم. ومع ذلك، وفي معظم الحالات، يحتاج المشاركون إلى مزيد من الوقت لالتقاط صور لمجموعة من القضايا التي يرغبون في مشاركتها معك ومع زملائهم المشاركين في مشروع الصور التشاركية. إذا لم تكن متأكدًا من الوقت المطلوب، ولم تكن مقيدًا بجدول زمني مؤسسي، فيوصى بأن تسأل المشاركين وتأخذ رأيهم عن المدة التي يحتاجون إليها لالتقاط صور تُعَبِّرُ عن "المشكلات التي تعتبر جوهر المشروع".

يمكن للمشاركين في مشروع الصور التشاركية اعتماد مجموعة متنوعة من الإستراتيجيات لالتقاط صور تُعَبِّرُ عن قصص تَهُمُّ المشروع (Blackman and Fairey, 2007)؛ حيث يتعلق الأمر بـ "التحدث من خلال الصور الفوتوغرافية". ويمكنهم، على سبيل المثال:

- توثيق **تجاربهم** وظروف حياتهم؛
- التقاط **صورة وثائقية** لطفل آخر (أحد الأقران) أو لعائلة أخرى يلتقط فيها المشاركون في مشروع الصور التشاركية صورًا تُعَبِّرُ عن القضايا، ذات الصلة بالمشروع، كما تظهر داخل الأسرة؛
- القيام بدور **المصور الصحفي** والتجول في المجتمع لالتقاط صور تُعَبِّر عن القضايا التي يجدونها ذات صلة بالمشروع - يمكنهم القيام بذلك إما بشكل فردي أو جماعي، ولكن تعد إستراتيجية المجموعة مفيدة إذا كان لديك عدد محدود فقط من الكاميرات؛
- **إعداد سيناريو** يريدون إظهاره من خلال الصور الفوتوغرافية - قد يكون هذا خيارًا جيدًا إذا كان الموضوع الذي يريدون إلقاء الضوء عليه حساسًا ويثير مشكلات من الناحية الأخلاقية عند التقاط صورة مُعَبِّرَة عنه "في الحياة الواقعية" (على سبيل المثال، العنف الجنسي أو تعاطي المخدرات)؛
- واستخدام خليط من الأمثلة السالف ذكرها.

إذا كان المشاركون غير قادرين على التقاط صورة، إما لأن الموضوع حساس أو لأنهم لم يتمكنوا من التقاط صوره خلال الإطار الزمني المحدد أو موسمه السنوي، فيمكنك تشجيع المشاركين على رسم الموقف.

الخطوة ٧: صياغة القصة والتسمية التوضيحية

من المرجح أن يعود المشاركون في مشروع الصور التشاركية ومعهم عدد كبير من الصور. وإذا كان معهم كاميرات ثابتة أو كاميرات تستخدم لمرة واحدة، فقد يعودون بالعديد من الأفلام الجاهزة للطباعة. وبالمثل، إذا استخدموا الكاميرات الرقمية للتصوير، فقد يعودون ومعهم بطاقات ذاكرة مليئة بالصور الرقمية. وبالطبع تكون بعض هذه الصور أكثر صلة بموضوع البحث عن غيرها. لذا ستحتاج إلى أن ترافق المشاركين خلال عملية متدرجة من شأنها أن تساعدهم بشكل منهجي على تحديد الصور والقصص الأكثر إثارة للاهتمام والأكثر صلة بمشروع الصور التشاركية. ومن خلال تأمل ما جاء في كتاب وانج وبوريس (Wang and Burris,1997) وأيضًا كتاب سكوفدال وزملائه (Skovdal, et al., 2009)، يمكنك تكييف نسخة من العملية التالية.

اطلب من المشاركين في مشروع الصور التشاركية **اختيار ست من الصور المفضلة لديهم** والتي تُظهر شيئًا ذا صلة بسؤال البحث. إنها الصور التي يرغبون في تضمينها في الدراسة. مرة أخرى، يمكنك هنا تزويدهم ببعض الملاحظات الإرشادية:

- ملاحظات إرشادية عامة: اختر ستًا من صورك المفضلة التي تعرض مزيجًا من: ١) كيف تدبر أمرك، ٢) الأشياء التي تفتقر إليها، و٣) شيء أو شخص مهم بالنسبة لك.
- ملاحظات إرشادية خاصة بدراسة تتعلق بنقص التغذية: اختر ستًا من صورك المفضلة التي تعرض مزيجًا من: ١) كيف يؤثر نقص التغذية عليك، ٢) أسباب نقص التغذية، و٣) شيء أو شخص ما يساعدك في الحصول على الأطعمة المغذية.

بمجرد أن يختار المشاركون الصور التي يريدون تضمينها في الدراسة، يمكنك منحهم **الفرصة لشرح أهمية الصور** التي اختاروها وفهمهم لها. ويمكن القيام بذلك بعدة طرائق مختلفة. استخدمت كارولين وانج، صاحبة فكرة الصور التشاركية، الطريقتين التاليتين.

تعد الكتابة طريقة سهلة وسريعة لتمكين المشاركين من التحدث عن القضايا التي تم التقاط صورٍ مُعَبِّرَة عنها. ويمكن تحفيز التفكير وكتابة القصة من خلال طرح أسئلة مفتوحة من قبيل:

- أريد أن أشارك هذه الصورة لأن ...
- ما القصة الحقيقية التي ترويها هذه الصورة؟
- كيف ترتبط هذه القصة بحياتك و/أو حياة الناس في مجتمعك؟

إذا لم يكن أحد المشاركين ملمًا بمهارات الكتابة والقراءة بشكل كافٍ، فيمكنك أن تطلب منه سرد ردوده شفهيًا واكتب القصص عن لسانه. ويمكنك أيضًا تسهيل المناقشات الجماعية أو المقابلات الفردية مسترشدًا بطريقة SHOWeD (Wilson et al., 2007):

- ماذا ترى (See) هنا؟
- ما الذي يحدث (Happening) هنا حقًا؟
- كيف يرتبط هذا بحياتنا (Our lives)؟
- لماذا (Why) يوجد هذا الموقف أو القلق أو القوة؟
- ما لذي يمكننا فعله (Do) حيال هذا؟

هذان مجرد مثالين لكيف يمكنك تسهيل التفكير ودعم المشاركين في الصور التشاركية، بطريقة منظمة ومنهجية، للتعبير عن أهمية صورهم وإنتاج بيانات نوعية مهمة.

الخطوة ٨: تحليل القصص والصور

عادةً، يقوم الباحث بتحليل وتفسير البيانات. وعلى الرغم من قيام الباحث بدور رئيسي في التحليل والتفسير، من خلال عدة سُبُل من بينها التنظير وربط المواضيع الناشئة بالأدبيات الموجودة، فإن المشاركين في الصور التشاركية هم الذين يجب عليهم تحديد هذه المواضيع. في الواقع، تشكل الخطوة ٧ الموضحة أعلاه خطوة تحليلية مهمة في تحديد المواضيع الرئيسية.

أولاً، إن عملية اختيار مجموعة من الصور تشجع المشاركين على التفكير في أهمية الصور بالنسبة لسؤال البحث، وفي ما يعتبرونه قصة مهمة تستحق المشاركة. يتمتع المشاركون بالقدرة على اتخاذ القرار ويتحكمون بشكل فعّال في تحديد الصور والقصص التي يريدون تضمينها والتي يريدون استبعادها.

ثانيًا، إن عملية كتابة القصص أو سردها لتصاحب كل صورة من الصور المختارة تضمن إبراز تفسيرات المشاركين للصور المعروضة. يرى عدد من المعلقين بأن منتجي الصور هم أنسب الأشخاص لتفسير وتوصيل معنى صورهم، وتسلط وجهة النظر هذه الضوء على أهمية تحليل الصور إلى جانب الأوصاف التي ينشئها المشاركون (Campbell et al., 2010 وGuillemin and Drew, 2010 وStanczak, 2007).

تمثل كل صورة والوصف المصاحب لها، سواء المكتوب أو المنطوق، بيانات نوعية يمكن تحليلها حسب الموضوع. من المحتمل أن ترتبط العديد من الصور بالموضوع نفسه، ولكنها يمكن أن تقدمها من زاوية مختلفة. بصفتك باحثًا، يمكنك إما جمع هذه الصور والقصص معًا في مواضيع عالية المستوى، أو تسهيل إجراء عملية مماثلة مع المشاركين، وتمكينهم من تحديد المواضيع الرئيسية الناشئة عن الدراسة. نَصِفُ في الفصل السابع، بمزيد من التفصيل، عملية تكثيف البيانات في مواضيع أكثر توضيحًا. وتتعلق إحدى طرائق تسهيل هذه العملية بالخطوة التالية: إقامة معرض. بعد أن يقدم المشاركون في مشروع الصور التشاركية صورهم وقصصهم لبقية المجموعة، يمكنك أن تطلب منهم تحديد من ثمانية إلى عشرة مواضيع شاملة توضح العديد من القضايا الناشئة والتي تستحق عرض قصتها في المعرض.

الخطوة ٩: إقامة معرض

يعد نشر صور وقصص المشاركين ومشاركتها أمرًا أساسيًا لمشروع الصور التشاركية - حيث يوفر للمشاركين وسيلة وفرصة مهمة للغاية للتعبير عن شواغلهم ووجهات نظرهم. ولوضع إستراتيجية لعرض الصور والأفكار المصاحبة لها، يجب النظر في عدد من الاعتبارات (Blackman and Fairey ،2007)، ومنها ما يلي:

- أن تكون واضحًا بشأن من تحاول الوصول إليه - **جمهورك المستهدف؛**
- أن تكون واضحًا بشأن كيفية **وصول** جمهورك المستهدف إلى المعرض وكيف **يتفاعلون** معه؛
- أن تكون واضحًا بشأن **الرسائل** التي تريد توصيلها؛
- وأن تكون واضحًا بشأن **الإجراء** الذي تحاول أن تدعو إليه.

يختلف الجمهور (الجماهير) المستهدف باختلاف السياق ويرتبط بشكل مباشر بأهداف مشروعك. وفيما يلي أمثلة للجماهير المستهدفة:

- *الأفراد في المجتمعات المحلية:* زيادة وعيهم وفهمهم للموضوع الذي يتم تناوله، وتشجيع تغيير السلوك.
- قادة المجتمع: مساعدتهم على فهم ما المهم بالنسبة لناخبيهم والتَبَصُّرِ في حياتهم وصراعاتهم اليومية.
- الجهات المانحة والجمهور العام: تحسين الوعي بالعمل الذي تقوم به المنظمة.
- *المنظمات وصانعي السياسات:* إعلامهم بما هو مهم للمشاركين، على أمل أن يؤدي ذلك إلى تغيير في السياسة، وظهور برامج جديدة، وتحسين تخصيص الموارد.

يمكن لمشروع الصور التشاركية أن يستهدف عددًا من الجماهير المختلفة، ولكن ستختلف قدرتهم على الوصول إلى المعرض. لذلك من المهم أن تفكر مليًا في الوسائط الأنسب لجماهيرك المستهدفة. يمكنك إنتاج الصور ومشاركتها بعدة سُبُل مختلفة. يمكنك، على سبيل المثال:

- إنشاء مجموعة من **شرائح PowerPoint** حيث تحتوي كل شريحة على صورة فوتوغرافية والفكرة التي تُعَبِّرُ عنها - يمكن إرسال الشرائح بالبريد الإلكتروني أو استخدامها لتقديم الاستنتاجات في مختلف المنتديات؛
- إنشاء **مقطع فيديو** ونشره على مواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، ومنها YouTube، يعرض لقطات من الصور والتعليقات التوضيحية الخاصة بها - يمكنك العثور على أمثلة من خلال البحث عن "الصور التشاركية" على YouTube؛
- الاستفادة من أدوات **التواصل الاجتماعي** المختلفة المتاحة لمشاركة الصور والأفكار - يمكن أن تساعد مواقع الإنترنت مثل Flickr وPrezi وSlideShare وInstagram وPinterest وFacebook وTwitter في التعبير عن الآراء؛

- إنشاء **ملصقات** تنقل كل منها رسالة "سريعة" واضحة - يمكن أن تتضمن الملصقات صورًا ومسمياتها التوضيحية، ويمكن للمشاركين في الصور التشاركية لصق الصور وكتابة أفكارهم على لوح ورقي وعرض ملصقاتهم، على سبيل المثال، في مجتمع محلي أو مبنى ديني؛
- إنشاء **منشورات** أو **كتيبات** تعرض الصور والتعليقات التوضيحية الخاصة بها - يمكن مشاركة هذه الموارد بشكل مطبوع وعلى المواقع الإلكترونية؛
- توزيع بيان صحفي على **وسائل الإعلام** أو الاتصال بها لتعريفها بمشروعك وسؤالها عما إذا كانت مهتمة بعرض بعض الصور والتعليقات التوضيحية الخاصة بها، سواء كانت مطبوعة أو على هيئة عرض شرائحي، على مواقعها الإلكترونية؛
- كتابة ومشاركة **ملخصات السياسة** المكونة من صفحة واحدة والتي تستخدم الصور والتعليقات التوضيحية الخاصة بها لتلخيص الرسائل الرئيسية لمشروع الصور التشاركية وتوضيحها؛
- كتابة **مقال أكاديمي** يوضح تفاصيل عملية الصور التشاركية والاستنتاجات الرئيسية؛
- وإنشاء لوحات **عرض** تصور بوضوح الصور وتعليقاتها.

بمجرد الاتفاق مع المشاركين في الصور التشاركية بشأن الجمهور المستهدف، وأفضل طريقة للوصول إلى هذا الجمهور، يمكن تحديد الصور والتعليقات التوضيحية التي يجب أن تشكل جزءًا من مواد النشر. يجب أن توصل هذه الصور والقصص رسائلها بوضوح وبطريقة تشجع على العمل. قد تكون بعض القصص طويلة وغير مناسبة لمعرض أو منشور. وفي هذه الحالة، يمكنك، بإذن من المشارك (المشاركين)، اختصار تأملاته أو استخلاص مقتطفات من هذه التأملات. من المهم أيضًا ألا يتم عرض المواد الحساسة أو المواد التي يمكن أن تعرض المصور أو الذين يظهرون في الصورة لأي خطر (Skovdal et al., 2014).

الخطوة ١٠: النشر للجمهور العام

تتمثل إحدى الخطوات الأخيرة في إتاحة مواد النشر الخاصة بك للجمهور المستهدف. تعتمد طريقة النشر العام على وسيطك الأساسي. فمن خلال بعض الوسائط، مثل وسائل التواصل الاجتماعي، ستنشر المواد التي تودُّ عرضها للعامة بمجرد تحميلها. ولكن بالنسبة إلى وسائط أخرى، مثل الملصقات ولوحات العرض، سيتعين عليك توزيع الملصقات أو تركيب اللوحات. بصرف النظر عن الوسيط الذي تستخدمه، قد ترغب في اعتبار النصائح والأفكار التالية المتعلقة بالنشر للجمهور العام:

- يمكنك المساعدة في **تنظيم اجتماع** ودعوة الأطراف المعنية الرئيسية (جمهورك المستهدف) للحضور وإلقاء نظرة على الصور والأفكار المصاحبة لها.
- يمكنك المساعدة في **تنظيم ورشة عمل** يتناقش فيها جمهورك، المُكون من كل من الأطراف المعنيّة الرئيسية والمشاركين في الصور التشاركية، حول الصور واستخدام استنتاجات المشروع كمنصة لمناقشة ووضع خطة عمل للتغيير.

- يمكنك العمل مع **الأطراف المعنيّة الرئيسية لتوزيع** موادك التسويقية أو الدعوية، سواء كانت منشورات أو كتبًا أو شرائح PowerPoint، مطبوعة أو إلكترونية.
- عندما تخرج للجمهور العام، حاول **عرض** مواد الصور التشاركية **وربطها** بأنشطة أخرى، إذا كان ذلك ممكنًا. على سبيل المثال، يمكنك عرض مشروعك ورسائله في يوم عالمي (مثل يوم خلال أسبوع حقوق الطفل، أو يوم المرأة العالمي، أو اليوم العالمي للإيدز)، أو نشره في تقرير رفيع المستوى، أو في نقاش حالي وعام. وبالطبع، يعتمد هذا على موضوعك والأنشطة الأخرى الجارية.

الملخص

قدم لك هذا الفصل منهجية مرئية ينشئها المشارك تسمى الصور التشاركية. وقد شددت على أن السمة الرئيسية للصور التشاركية هي منح أفراد المجتمع فرصة للتعبير وإسماع صوتهم، وتمكينهم من التعلم من بعضهم البعض، والتفكير في ظروفهم، ومشاركة وجهات نظرهم مع الجهات الفاعلة الأكثر قوة. من نواحٍ عديدة، لا تعد الصور التشاركية مجرد طريقة بحثية ولكنها مقاربة بحثية تتطلب الاعتراف بالحتمية الأخلاقية التي تقود غايات هذه الطريقة فيما يخص العدالة الاجتماعية. وعلى المستوى العملي، قدم الفصل بعض الإرشادات الملموسة حول كيفية تخطيط وتصميم مشروع الصور التشاركية، وتتضمن ١٠ خطوات بسيطة لتقديم وتيسير مشروع الصور التشاركية.

ملاحظة ختامية

١. هذا المورد متاح من "مركز موارد منظمة أنقذوا الأطفال (Save the Children Resource Centre)" على http://resourcecentre.savethechildren.se/library/parrot-your-shoulder- guide-working-> .orphans-and-vulnerable-children> [accessed 29 July 2015]

المراجع

Blackman, A., & Fairey, R. (2007) *The PhotoVoice Manual: A Guide to Designing and Running Participatory Photography Projects*, London: PhotoVoice, <www.photovoice.org/wp-content/uploads/2014/09/PV_Manual.pdf> [accessed 29 July 2015].

Campbell, C., Skovdal, M., Mupambireyi, Z. and Gregson, S. (2010) 'Exploring children's stigmatisation of AIDS-affected children in Zimbabwe through drawings and stories', *Social Science and Medicine* 71 (5): 975–85.

Carlson, E., Engebretson, J. and Chamberlain, R. (2006) 'Photovoice as a social process of critical consciousness', *Qualitative Health Research* 16 (6): 836–52.

Castleden, H., Garvin, T. and First Nation, H. (2008) 'Modifying Photovoice for community-based participatory indigenous research', *Social Science and Medicine* 66 (6): 1393–405.

Downey, L., Ireson, C. and Scutchfield, F. (2009) 'The use of Photovoice as a method of facilitating deliberation', *Health Promotion Practice* 10 (3): 419–27.

Duffy, L. (2011) '"Step-by-step we are stronger": women's empowerment through Photovoice', *Journal of Community Health Nursing* 28 (2): 105–16, doi: 10.1080/07370016.2011.564070.

Fournier, B., Bridge, A., Pritchard Kennedy, A., Alibhai, A. and Konde-Lule, J. (2014) 'Hear our voices: a Photovoice project with children who are orphaned and living with HIV in a Ugandan group home', *Children and Youth Services Review* 45: 55–63.

Freire, P. (1973) *Education for Critical Consciousness*, New York NY: Seabury Press.

Graziano, K. J. (2004) 'Oppression and resiliency in a post-apartheid South Africa: unheard voices of black gay men and lesbians', *Cultural Diversity and Ethnic Minority Psychology* 10 (3): 302.

Guillemin, M. and Drew, S. (2010) 'Questions of process in participant-generated visual methodologies', *Visual Studies* 25 (2): 175–88.

Harley, A. (2012) 'Picturing reality: power, ethics, and politics in using Photovoice', *International Journal of Qualitative Methods* 11 (4): 320–39.

Kramer, L., Schwartz, P., Cheadle, A. and Rauzon, S. (2013) 'Using Photovoice as a participatory evaluation tool in Kaiser Permanente's community health initiative', *Health Promotion Practice* 14 (5): 686–94, doi: 10.1177/1524839912463232.

Pies, C. and Parthasarathy, P. (2007) 'Photovoice: giving local health departments a new perspective on community health issues', *Contra Costa Health Services* 1–8.

Poudrier, J. and Mac-Lean, R. T. (2009) '"We've fallen into the cracks": Aboriginal women's experiences with breast cancer through Photovoice', *Nursing Inquiry 16* (4): 306–17.

Rifkin, S. and Pridmore, P. (2001) *Partners in Planning: Information, Participation and Empowerment*, London: TALC and Macmillan Education.

Russinova, Z., Rogers, E. S., Gagne, C., Bloch, P., Drake, K. M. and Mueser, K. T. (2014) 'A randomized controlled trial of a peer-run antistigma Photovoice intervention', *Psychiatric Services* 65 (2): 242–6.

Short, R. (2006) 'New ways of preventing HIV infection: thinking simply, simply thinking', *Philosophical Transactions of the Royal Society B: Biological Sciences* 361 (1469): 811–20.

Skovdal, M. (2011) 'Picturing the coping strategies of caregiving children in western Kenya: from images to action', *American Journal of Public Health* 101 (3): 452.

Skovdal, M., Newton, J. and Rumi, S. (2014) *Photovoice Guidance: 10 Simple Steps to Involve Children in Needs Assessments*. Dhaka: Save the Children Bangladesh, <http://bangladesh.savethechildren.net/sites/bangladesh.savethechildren.net/files/library/Photovoice_needs_assessment_guidelines_full_report_0.pdf> [accessed 29 July 2015].

Skovdal, M., Ogutu, V., Aoro, C. and Campbell, C. (2009) 'Young carers as social actors: coping strategies of children caring for ailing or ageing guardians in western Kenya', *Social Science and Medicine* 69 (4): 587–95.

Stack, R., Magill, C. and McDonagh, K. (2004) 'Engaging youth through Photovoice', *Health Promotion Practice* 5 (1): 49–58.

Stanczak, G. C. (2007) *Visual Research Methods: Image, Society, and Representation*, London: SAGE Publications.

Tanjasiri, S. P., Lew, R., Kuratani, D. G., Wong, M. and Fu, L. (2011) 'Using Photovoice to assess and promote environmental approaches to tobacco control in AAPI communities', *Health Promotion Practice* 12 (5): 654–65.

Teti, M., Pichon, L., Kabel, A., Farnan, R. and Binson, D. (2013) 'Taking pictures to take control: Photovoice as a tool to facilitate empowerment among poor and racial/ethnic minority women with HIV', *Journal of the Association of Nurses in AIDS Care* 24 (6): 539–53, doi: http://dx.doi.org/10.1016/j.jana.2013.05.001.

Vaughan, C. (2014) 'Participatory research with youth: idealising safe social spaces or building transformative links in difficult environments?', *Journal of Health Psychology* 19 (1): 184–92.

Wang, C. and Burris, M. (1997) 'Photovoice: Concept, Methodology, and Use for Participatory Needs Assessment', *Health Education and Behaviour* 24 (3): 369–87.

Wang, C. and Pies, C. (2004) 'Family, maternal, and child health through Photovoice', *Maternal and Child Health Journal* 8 (2): 95–102.

Wang, C. and Redwood-Jones, Y. (2001) 'Photovoice ethics: perspectives from Flint Photovoice', *Health Education and Behaviour* 28 (5): 560–72.

Wang, C., Yi, W., Tao, Z. and Carovano, K. (1998) 'Photovoice as a participatory health promotion strategy', *Health Promotion International* 13 (1): 75–86.

Wilson, N., Dasho, S., Martin, A., Wallerstein, N., Wang, C. and Minkler, M. (2007) 'Engaging young adolescents in social action through Photovoice – The Youth Empowerment Strategies (YES!) project', *Journal of Early Adolescence* 27 (2): 241–61.

تعقيب على الأنشطة

النشاط ٦-١ القضايا الأخلاقية في مشروع الصور التشاركية

١. لا، ليس من الممكن الحماية من جميع المعضلات الأخلاقية، ولكن تقع على عاتق الباحث مسؤولية التأكد من أنه تم أخذ العديد منها بعين الحسبان وأنه تم بذل جهود كثيرة جديرة بالثناء للتخفيف من المخاطر التي تهدد نجاح مشروع الصور التشاركية.

٢. نعم، تتطور المعضلات الأخلاقية وتتغير دوافع المشاركين. على سبيل المثال، من المهم تذكير المشاركين بحقوقهم في الانسحاب طوال فترة المشروع.

٣. نعم ولا، اعتمادًا على الظروف. إذا وافق المصور والشخص (أو الأشخاص) الذين يظهرون في الصورة على استخدامها لهذا الغرض، فعندئذ نعم. أما إذا كانوا لا يعرفون أن الصورة ستستخدم لهذا الغرض، فلا.

٤. نعم و لا. يقع هذا السيناريو في منطقة رمادية، ويجب التفاوض بشأن ما إذا كانت موافقة "المُصوَر" مطلوبة أم لا مع أشخاص من المجتمع المحلي أو مع لجنة أخلاقيات البحث الوطنية.

الفصل السابع

تحليل البيانات النوعية

الخلاصة

غالبًا ما تولد الطرائق النوعية كميات هائلة من البيانات - وقد يكون من الصعب تحديد ما يجب فعله بالضبط بكل هذه المعلومات لإنشاء قصة وتقديمها أو للوصول إلى حُجة استنادًا إلى دليل نوعي. على الرغم من عدم وجود صيغة أو إجراء واحد لتحليل البيانات النوعية، إلا أن هناك بعض المبادئ والمقاربات الإرشادية التي يمكن أن تساعدك على البدء. يقدم لك هذا الفصل بعضًا من هذه المبادئ التوجيهية ويقدم إرشادات مفصلة بشأن إستراتيجيتين عمليتين شائعتي الاستخدام لتحليل البيانات النوعية. تندرج إحدى الإستراتيجيتين تحت فئة "التحليل المواضيعي"، وترتبط الأخرى بتحليل وتقديم "دراسات الحالة". وقد يُشكل نوع بحثك مصدر إلهامٍ يوحي إليك باستخدام إحدى هاتين المقاربتين، وهما ليستا متعارضتين، بل يمكنك الاعتماد على عناصر من كل منهما. وأخيرًا ننهي الفصل بمناقشة استخدام برنامج تحليل البيانات النوعية بمساعدة الكمبيوتر (CAQDAS).

الكلمات المفتاحية: البحث النوعي، التحليل النوعي، التحليل المواضيعي، تحليل دراسة الحالة، CAQDAS

أهداف التعلُّم

بعد قراءة هذا الفصل، ستصبح قادرًا على:

- إعداد البيانات للتحليل
- إجراء تحليل مواضيعي
- تقديم دراسات الحالة ومناقشتها بشكل تحليلي.

المصطلحات الرئيسية (التعريفات)

- *الرمز:* تسمية وصفية أو مفاهيمية يتم تعيينها لأقسام البيانات (على سبيل المثال، مقطع نصي من تفريغ صوتي، أو قسم من صورة فوتوغرافية). تعرف عملية تعيين "هذه الرموز" باسم "الترميز".
- الترميز: فهرسة مجموعة من البيانات من خلال تعيين رموز لها من إطار الترميز.
- إطار الترميز: قائمة من الرموز الوصفية التي تم إنشاؤها بشكل منهجي للتعبير عن محتوى البيانات.

- *البيانات:* المعلومات التي تم جمعها وإنتاجها وتسجيلها بغرض تطوير أدلة تخص موضوع ما.
- *تحليل البيانات:* العملية التي يتم من خلالها تقليص البيانات، سواء كانت كمية أو نوعية، لإنتاج تفسير متسق.

مقدمة

في بعض الأحيان، يكون وضع فصل تحليل البيانات النوعية في نهاية الكتاب أمرًا مضللًا لنا. حيث يترك انطباعًا بأنه مرحلة مميزة في عملية البحث، وأنه شيء تقوم به بمجرد إنتاج البيانات. بيد أن هذا ليس هو الوضع. حيث يُجرى التحليل طوال عملية البحث. فسؤالك البحثي يعكس اهتمامًا تحليليًا، والذي بدوره يشكل الأسئلة التي تطرحها على المشاركين. وأثناء إجراء المقابلات، أو توليد البيانات باستخدام طرائق أخرى، فإنك تقوم تلقائيًا بمعالجة المعلومات التي يتم إبلاغك بها. من المحتمل أن تؤثر الانطباعات التي تكونها على الأسئلة التي تطرحها في أنشطة جمع البيانات اللاحقة وتساعدك على "رؤية" القصة الناشئة. إذا كنت تدون ملاحظات ميدانية أو تكتب يوميات بحثية، فأنت تتخذ قرارات بشأن ما المثير للاهتمام وذو صلة وما هو غير ذلك. وفي حين أن هذه العمليات تهدف أولاً وقبل كل شيء إلى تسهيل توليد البيانات، إلا أنها تتضمن في الوقت ذاته درجة من التصفية التحليلية وتمثل بداية تحليلك للبيانات النوعية.

على هذا النحو، فإن ما يسمى بمرحلة تحليل البيانات النوعية يتعلق حقًا بتنظيم وفهرسة كميات البيانات التي تم إنشاؤها بطريقة تُظهر الأنماط والعلاقات (Mason, 2002). في بعض النواحي، يمكنك تسمية هذه المرحلة من عملية البحث "تصنيف البيانات وفهرستها"، فهي عملية تعيد تنظيم بياناتك وتساعدك على "اختزالها" أو "تكثيفها" مُحَوِّلةً إيّاها إلى أجزاء يمكن التحكم فيها، بينما تقوم في الوقت ذاته ببناء قصة أو حجة. وتتضمن طريقة تفكيك البيانات وتصنيفها وفهرستها نفس نوع التصفية التحليلية المستخدمة عند توليد البيانات.

ما نحاول توضيحه هنا هو أن التفسير والتحليل يدخلان في جميع مراحل المشروع البحثي ويعكسان اهتماماتك التحليلية (Mason, 2002). وحين تصل إلى "تحليل البيانات النوعية" كمرحلة بحثية، تكون قد أحرزت بالفعل بعض التقدم في تفسير البيانات وتحليلها. تعد عملية تنظيم بياناتك وفهرستها، من نواحٍ عديدة، مجرد امتداد وتسريع لعمليات التفكير هذه. مع ذلك، تتشكل قصتك أو حجة بحثك حقًا في هذه المرحلة، حيث تبدأ رؤى جديدة ومثيرة في الظهور.

قد يسأل بعضكم أنفسهم: لماذا نمر بهذه العملية الطويلة والمستهلكة للوقت لتصنيف البيانات وفهرستها وتفسيرها في حين أنه يمكننا فقط كتابة انطباعات عامة بعد المقابلات؟ إن إجراء المقابلات والتحدث مع الأطراف المعنيّة في البرنامج أمر جيد دائمًا. وفي بعض الحالات، قد يكون من الجيد جدًا أن تكتب انطباعاتك ورسائلك الرئيسية التي أسفرت عنها مقابلاتك. ومع ذلك، فإن قيامك بذلك يُصعِب على قرّاء تقريرك القيام بما يلي: ١) الحكم ما إذا كانت هذه الرسائل الرئيسية تعكس أيضًا وجهات نظر مُخبريها،

٢) تقرير ما إذا كانوا يتفقون مع تفسيراتك لما قيل. عند اعتماد "مقاربة بحثية"، تلتزم بالشفافية فيما يتعلق بكيفية تقليص بياناتك وتلخيصها، وتمنح نفسك الوقت والمساحة للتحقق من البيانات بعناية. قد يؤدي استغراق الوقت في التحقق من البيانات إلى فتح عينيك على وجهات نظر وتفسيرات جديدة، مما يمنح دراستك مزيدًا من العمق. فقد يساعدك على رؤية الفوارق الدقيقة والتعقيدات بالإضافة إلى دور السياق في تشكيل ما يقال. ويُعد قيامك بتصنيف البيانات وفهرستها وتفسيرها بعناية مؤشرًا إلى استعدادك لتقبل المفاجآت ولتعلم شيء جديد. إن تناولك لتحليل البيانات بطريقة منهجية تتسم بالشفافية وتقبُّل المفاجآت أمر أساسي للقدرة على المطالبة بالدقة (Gaskell and Bauer, 2000)، والتي تعتبر أمرًا مطلوبًا بشكل متزايد من أولئك المنخرطين في "المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلم (MEAL)". تتمثل مخاطر عدم استخدام هذه المقاربة في تحليل البيانات النوعية في سوء تفسير البيانات، مما قد يؤدي بدوره إلى ضعف تطوير البرنامج وتقليل فعاليته. يهدف هذا الفصل إلى تزويد الممارسين في مجال التنمية بالمهارات والثقة لاعتماد مقاربة بحثية في تحليل البيانات النوعية، مما يمكنهم من إظهار الدقة في تقاريرهم عن الأدلة النوعية.

بدء تحليل البيانات النوعية

يتمثل الهدف العام من تحليل البيانات النوعية في تقليل كميات البيانات الهائلة من أجل تلخيص الرسائل الرئيسية والقصص الناشئة. قبل أن تتمكن من بدء عملية تقليص بياناتك، تحتاج إلى: ١) أن تسجل بياناتك وتُعدّها للتحليل، و٢) أن تضع في اعتبارك "النظرة التحليلية" التي توجه دراستك وأن تكون على دراية بها.

إعداد البيانات

لبدء عملية تحليل البيانات النوعية، تحتاج إلى وجود بيانات. قد يبدو هذا بديهيًا، ولكن ما لا يتضح بصورة بديهية هو كيف تبدو البيانات النوعية. يمكن عزو هذا الافتقار إلى الوضوح إلى حقيقة أن البيانات النوعية يمكن أن تتخذ أشكالًا عديدة. على الرغم من أنه من الممكن تصنيف البيانات المكونة من أصوات وصور ثابتة ومتحركة وفهرستها وتفسيرها، إلا أننا نركز في هذا الفصل على البيانات المستندة إلى نص، حيث تعتبر الشكل الأكثر شيوعًا للبيانات المستخدمة في التحليل النوعي، ويمكن تحليلها بسهولة باستخدام الإستراتيجيتين الموضحتين لاحقًا في هذا الفصل. يمكن أيضًا إخضاع الأشكال الأخرى من البيانات للتحليل المواضيعي أو تحليل دراسة الحالة، ولكننا نركز هنا على البيانات المستندة إلى نص من أجل تبسيط الأمور. وبمجرد فهمك للمبادئ، ستتمكن من تطبيق هذه الطرائق على نطاق أوسع. أخيرًا، يتعين عليك القيام بخطوتين لإعداد بياناتك للتحليل النوعي:

- *الحصول على البيانات وتسجيلها:* لا تصبح البيانات بياناتٍ إلا عندما يتم الحصول عليها وتسجيلها. لذلك من المهم أن تقوم بتدوين أفكارك (انظر القسم الخاص بكتابة الملاحظات الميدانية في الفصل الرابع)، وتسجيل المقابلات رقميًا (انظر "الخطوة ٤: إجراء المقابلة" في الفصل الثالث)، والتقاط الصور عندما يكون ذلك ممكنًا أو مناسبًا. تساعدك كل أنشطة التسجيل هذه على إنتاج بيانات ملموسة وقابلة للتصنيف والفهرسة.

- ***نسخ البيانات كتابيًا:*** قد يتم إنشاء بعض البيانات النصيّة. على سبيل المثال، ربما تكون قد دونت بعض الملاحظات من المحادثات غير الرسمية مع المستفيدين من البرنامج، أو دعوت الأطفال لكتابة مقالات حول تجاربهم في البرنامج. وقد تكون بعض البيانات على هيئة تسجيلات صوتية. على سبيل المثال، ربما تكون قد سجلت رقميًا سلسلة من المقابلات أو احتفظت بمذكرات صوتية. وقد يتم تسجيل بيانات أخرى بالفيديو. على سبيل المثال، ربما تكون قد صورت بالفيديو ورشة عمل يرسم فيها الأطفال خريطة الجسد (انظر الفصل الخامس). على الرغم من أنه يمكنك تحليل البيانات بتنسيقها الأصلي سواء كان نصيًا أو صوتيًا أو مرئيًا (فيديو)، إلا أنه من الأسهل معالجة البيانات التي تم تدوينها بالتنسيق المستند إلى نص. كما أن عملية التفريغ الصوتي، التي يُنظر إليها غالبًا على أنها مملة، توفر فرصة تحليلية مهمة. لن يقتصر الأمر على تعريفك بعناية بكل كلمة منطوقة فحسب، بل سيربطك بالمشاركين بعدد من الوسائل الأخرى. فنبرة صوتهم وتوقفهم أثناء الحديث وغيرها من وسائل الاتصال غير اللفظية، والتي تتضح في الملف صوتي أو الفيديو، يمكن أن تساعدك على فهم التجارب ووجهات النظر التي ينقلها المشاركون بشكل أفضل. بالإضافة إلى ذلك، تعد البيانات المستندة إلى النص أسهل في التخزين والوصول إليها متى دعت الضرورة إلى مزيد من الاستخدام. يوفر الجدول ٧-١ إرشادات مفصلة خطوة بخطوة حول كيفية إعداد التفريغ الصوتي، بينما يتضمن الشكل ٧-١ اقتباسًا من تفريغ صوتي.

الجدول ٧-١ الخطوات والإرشادات لإعداد تفريغ صوتي

الخطوة	الكيفية
١	افتح ملف Word.
٢	في الجزء العلوي من الصفحة، اكتب معلومات حول نشاط توليد البيانات. قد تتضمن ما يلي: • **نوع** الطريقة النوعية المستخدمة (على سبيل المثال مقابلة متعمقة أو مناقشة مجموعة التركيز) • **أين** تم توليد البيانات • **متى** استخدمت الطريقة (التاريخ والوقت) • **من*** شارك في نشاط توليد البيانات، بما في ذلك الخصائص الديموغرافية (مثل العمر والنوع الاجتماعي والوظيفة) ونوع المخبر (مثل مستخدم أو مزود الخدمة) • **من** أشرف على نشاط توليد البيانات • **الوقت** المستغرق في نشاط توليد البيانات • تفاصيل **التفريغ الصوتي** و/أو **الترجمة** (الأسماء والتواريخ) • إذا كان لديك العديد من التفريغات الصوتية، فقد ترغب في تزويد كل منها **برمز نصي** لسهولة التعرف عليها. فإذا أجريت مقابلة متعمقة (IDI) مع مخبر رئيسي (KI) في لندن (LO)، فيمكن أن يكون رمز التفريغ الصوتي: LO-KI-IDI-1.
٣	استخدم باقي الصفحة الأولى لتضمين تفاصيل حول سياق نشاط توليد البيانات. وقد تشمل ما يلي: • **البيئة المادية** لنشاط توليد البيانات (مثل الموقع والراحة والضوضاء) • **ردود أفعال** المشارك (المشاركين) على النشاط (مثل التسجيل الصوتي) • **الديناميكيات** التي تمت ملاحظتها • **الانطباعات** عن المخبر (المخبرين) ونشاط توليد البيانات (على سبيل المثال، هل شعر المخبر (المخبرون) بالراحة والحرية في التحدث؟)

٤ اكتب ما يقال بالضبط، كلمة بكلمة.

- ميّز بين المتحدثين بكتابة حديث كل واحد منهم في فقرة جديدة.
- استخدم الاسم الحقيقي للمشرف واكتب حديثه بالخط العريض.
- استخدم إما الأحرف الأولى أو الأرقام أو الأسماء* لتحديد المخبر (المخبرين).

٥ رقّم كل سطر على التوالي (في ملف الـ Word، انتقل إلى "تخطيط الصفحة" واختر "أرقام الأسطر" ثم حدد الخيار "مستمر").

٦ أضِف أرقام الصفحات

* لحماية هوية المخبر (المخبرين)، يوصى بألا تستخدم الأسماء الحقيقية في التفريغات الصوتية ولكن استخدم أسماء مستعارة. يمكنك ربط الأسماء المستعارة للمخبرين بأسمائهم الحقيقية في مستند منفصل يُحفظ في مكان آمن.

١	**رمز التفريغ الصوتي:**	NU-UG-IDI-2
٢	**تاريخ المقابلة:**	٢٠١٥/٠١/١٦
٣	**المشرف (المشرفون):**	توم طومسون
٤	**نوع المقابلة:**	مقابلة متعمقة
٥	**المُفرِّغ الصوتي:**	جاكي سميث
٦	**تاريخ التفريغ الصوتي:**	٢٠١٥/٠١/٢٠
٧	**موقع المقابلة:**	موتيامبو، غرب أوغندا
٨	**مدة المقابلة:**	٥٧ دقيقة
٩	**المجيب (المجيبون):**	جاك، ٣٩ عامًا، ذكر
١٠	**نوع المخبر:**	ممرض في عيادة صحية ريفية
١١		
١٢	**تعليقات حول السياق:**	
١٣	أُجريت المقابلة في غرفة اجتماعات في عيادة موتيامبو الصحية. جاك، كبير الممرضين،	
١٤	وافق على المشاركة في الدراسة بعد خطاب دعوتنا. تم تأجيل المقابلة	
١٥	لمدة ٣٥ دقيقة حيث توجب عليه مساعدة ممرض آخر. تمت المقابلة يوم الاثنين	
١٦	بعد الظهر، وكانت الغرفة مريحة فلم تكن شديدة الحرارة ولا شديدة البرودة. أحضرت لكل منا مشروبًا غازيًا	
١٧	وبسكويتًا، وبدا أنه يستمتع بهما. جلسنا بجانب بعضنا البعض على كراسي مريحة. تمت	
١٨	مقاطعة المقابلة مرتين فقط عندما تلقى جاك رسائل نصية كان عليه الرد عليها.	
١٩	اعتاد جاك على إجراء مقابلات معه ولم يكن لديه أدنى مشكلة فيما يخص تسجيل محادثتنا. بدا	
٢٠	واثقًا وقال الكثير من الأشياء المثيرة للاهتمام حول استخدام الرجال لخدمات رعاية مرضى فيروس نقص المناعة البشرية. وقد بنى معلوماته	
٢١	على سنوات خبرته ككبير الممرضين والتي تبلغ ٤ سنوات.	
٢٢		
٢٣	**- بداية المقابلة -**	
٢٤	**توم: ما الذي يجعل الرجال مختلفين فيما يتعلق باستخدام خدمة رعاية مرضى فيروس نقص المناعة البشرية؟**	
٢٥	جاك: الرجال لا يقدّرون صحتهم حتى يصابوا بمرض خطير ... حيث دائمًا ما يقف الرجل موقف اللامبالاة ولسان حاله يقول "لا	
٢٦	أهتم". يعتقدون أنهم أقوياء ولديهم القدرة على الصمود وليسوا ضعفاء مثل النساء. يتخلى البعض بسرعة	
٢٧	عن متابعة علاج فيروس نقص المناعة البشرية لعدم تحليهم بالصبر أو لأنهم يرون أن المستشفيات مكانًا للنساء	
٢٨	وليس للرجال.	
٢٩	**توم: إذًا يعاني الرجال من مشكلة؟**	
٣٠	جاك: بشكل عام، عدد الرجال المسجلين في برنامج علاج فيروس نقص المناعة البشرية أقل من النساء. ولا تواجه	
٣١	النساء عامة مشكلة في القدوم إلى المستشفى بالإضافة إلى إجراء اختبار فيروس نقص المناعة البشرية، بينما يميل الرجال	
٣٢	إلى الشعور بالحرج من كونهم مصابين بهذا الفيروس ... لذلك لا يريدون نهائيًا المجيء	
٣٣	وإجراء الاختبارات، فهم يشعرون بأن ذلك بمثابة فضيحة لأن هذا يعطى للآخرين إحساسًا بأنهم كانوا	
٣٤	يمارسون الفاحشة.	
٣٥	**توم: السؤال التالي ...**	

الشكل ٧-١ مُقتطف من تفريغ صوتي

إذا كان لديك تسجيلات صوتية لـ ١٠ مقابلات، فيجب أن يكون لديك ١٠ ملفات Word؛ ملف لكل مقابلة. إذا لم تكن تجرِ الدراسة بنفسك، وعيّنت مستشارًا أو وظفت مساعدين باحثين، فيجب أن تدربهم وتطلب منهم إعداد التفريغات الصوتية.

"نظرتك التحليلية"

يعد الاعتراف بـ "نظرتك التحليلية" والتعرف عليها من الأمور الأساسية لمقاربة بحثية في الأنشطة النوعية للمتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم (MEAL). النظرة التحليلية هي الطريقة التي تستخدمها لفرز بياناتك وتصفيتها، من أجل تصنيف المواد وفهرستها وتنظيمها حتى تظهر بعض الاستنتاجات الرئيسية. لجميع الباحثين نظرة تحليلية. بشكل عام، تشير النظرة التحليلية إلى اهتماماتك والطريقة التي تؤثر بها هذه الاهتمامات على قراراتك بالتحدث إلى مجموعات معينة من الأشخاص، والأسئلة التي تطرحها عليهم، والطريقة التي تصنف بها بياناتك وتفهرسها للإجابة على سؤال البحث الخاص بك.

يمكنك تشبيه النظرة التحليلية بالمنظار الذي تشكل عدساته مجال اهتمامك. حيث ترشدك العدسات إلى توليد أنواع معينة من المعلومات والمعرفة والنظر إليها. وكذلك النظرة التحليلية فهي تجعل دراستك أكثر تركيزًا وتساعدك على تصنيف بياناتك وفهرستها. يمكن لهذه النظرة التحليلية، بشكل أو بآخر، أن تعتمد على نظرية. فيما يلي أمثلة على النظرات التحليلية ذات الصلة بمجال التنمية:

- **التصورات الاجتماعية والمفاهيم والتفاهمات** المحلية لظاهرة أو برنامج.
- **تصورات** الأشخاص **وتجاربهم** بشأن مسألة أو احتياجاتهم أو برنامج معين.
- **الاستجابات** المحلية **ومدى مقبولية** البرنامج **وإمكانية تنفيذه**.
- **المعاني** التي يربطها الناس بتجارب أو علاقات أو أحداث حياتية معينة.
- **العمليات الاجتماعية والعوامل السياقية** (على سبيل المثال، الأعراف الاجتماعية والقيم والسلوكيات والممارسات الثقافية) التي تهمش مجموعة من الأفراد أو تؤثر في البرنامج.
- **الوكالة** المحلية والاستجابات للتخفيف من حدة الفقر وتهميش فئات المجتمع المعرضة للخطر.
- دور **الاعتراف الاجتماعي والهوية المجتمعية** في مساعدة الأشخاص، المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية، على التعامل مع ما يوصف **بالوصمة**.
- **العلاقة** بين الأطراف المعنيّة المشاركة في تنفيذ البرنامج.
- **سبل** تحسين الصحة أو نجاح البرنامج.
- **أسباب وتأثيرات** قضية اجتماعية.
- دور **الأعراف** و**الشبكات الاجتماعية** في تهميش فئة اجتماعية.

يميل العديد من الباحثين الأكاديميين ذوي الخبرة، الذين لديهم بالطبع نظرات تحليلية توجه أبحاثهم، إلى الاعتماد على نظريات من العلوم الاجتماعية للإفصاح عن اهتماماتهم بمزيد من التوضيح. بالتالي، إذا كنت على دراية بأي نظرية يمكن أن تساعدك في توضيح أو استكشاف أو شرح العمليات الاجتماعية المعقدة التي تدرسها، فيرجى عدم التردد في استخدامها في دراستك.

ثم يمكن أن تكون فهرسة وتنظيم بياناتك - التي تتم بالاسترشاد بنظرتك التحليلية - معتمدة بشكل أو بآخر على أفكار محددة مسبقًا. بعبارة أخرى، إذا كنت تعرف بالفعل نوع القصة التي تريد أو تتوقع سردها، فيمكنك إعداد الفئات مسبقًا واستخدام هذه الفئات لفهرسة البيانات الملاءمة للاختبار وسرد قصتك. ولهذه المقاربة أسس في البحث الكمي ولكنها غالبًا ما تعتبر غير مناسبة للبحث النوعي. ففي حين أنه من الممكن فهرسة البيانات النوعية وتنظيمها باستخدام الفئات المحددة مسبقًا، إلا أن هذه المقاربة تضعف الإمكانات الاستكشافية للبحث النوعي. وتتمثل مقاربة البحث النوعي الأكثر شيوعًا في الانفتاح على القصص الجديدة والمتغيرة والمعقدة. إذًا، يمكنك وضع بعض الفئات المحددة مسبقًا، المستوحاة من نظرتك التحليلية، لفهرسة بياناتك، ولكن يجب أن تتقبل تغيير هذه الفئات وإضافة فئات جديدة وناشئة. على سبيل المثال، ربما تكون قد أجريت دراسة تهدف إلى فحص التجارب المحلية لبرنامج ما. وأثناء تنظيم بياناتك وفهرستها، تدرك أن البيانات التي تم توليدها تتعلق إلى حد كبير بكيفية تشكيل السياق للتجارب المحلية، مما يشجعك على تغيير نظرتك التحليلية واستكشاف دور السياق في تشكيل احتمالات تأثير البرنامج أو الحواجز التي تعوق هذا التأثير. في هذا المثال، تغيرت نظرتك التحليلية من التركيز على "التجارب المحلية" إلى "دور السياق". تشجعك مقاربة البحث النوعي على السماح للبيانات بتحديد الفكرة، وتكييف نظرتك التحليلية وفقًا لذلك.

تلعب اهتماماتك أو نظرتك التحليلية دورًا مهمًا في توجيه عملية البحث وتشكيل استنتاجات دراستك. لذلك، من المهم أن تكون على دراية بنظرتك التحليلية قبل أن تبدأ التحليل وأن تكون واضحًا بشأنها عند كتابة استنتاجاتك (انظر الفصل الثامن). غالبًا ما تشير أسئلتك البحثية إلى ماهية نظرتك التحليلية. ولكن مثلما يمكن أن تتغير نظرتك التحليلية، اعتمادًا على البيانات التي تم توليدها، يمكن كذلك أن يتغير سؤال البحث الخاص بك. على سبيل المثال، من المألوف أن يقوم الباحثون النوعيون بتعديل سؤال البحث الخاص بهم ليعكس الطبيعة الديناميكية والمستجدة لبياناتهم.

إستراتيجيات تحليل البيانات النوعية

لقد ناقشنا، حتى الآن، التحليل النوعي كعملية لتصنيف البيانات النوعية وفهرستها وتنظيمها. سنقوم في هذا القسم بتحديد إستراتيجيتين عمليتين، ولكنهما مختلفتين، "لتقسيم" البيانات (Mason, 2002) بسُبُل يمكن أن تساعدك على التحقق من القصص الناشئة وفهمها. الإستراتيجية الأولي هي "التحليل المواضيعي" والتي تتضمن عادةً تقسيم جميع بياناتك النوعية وتصنيفها إلى مواضيع. بمعنى آخر، إنها إستراتيجية تشجعك على تحديد المعلومات عبر وبين مصادر مختلفة من البيانات.

بهذه الطريقة يمكنك بسهولة استرجاع المعلومات حول موضوع ما والحصول على نظرة عامة على بعض القضايا الرئيسية التي تظهر جليًا من خلال الاطلاع على البيانات. من ناحية أخرى، عادة ما يتضمن "تحليل دراسة الحالة" تحليل البيانات ضمن سياقها، وبذلك تقوم بجمع الحالات معًا، ووصف الأجزاء المترابطة وتحليلها، وتقديم صورة متعمقة وشاملة للحالة (الحالات). سنبدأ بتقديم دليل تفصيلي "للتحليل المواضيعي".

التحليل المواضيعي

يعد التحليل المواضيعي أحد أكثر الإستراتيجيات شيوعًا لتحليل البيانات النوعية. يسمح لك التحليل المواضيعي بفهرسة بياناتك وتنظيمها حسب المواضيع، بهدف الكشف عن قصة انطلاقًا من البيانات. ونقدم فيما يلي ١٣ خطوة للتحليل المواضيعي، مستوحاة من كتاب أتريد ستيرلينغ عن تحليل الشبكة المواضيعية (Attride-Stirlings, 2001).

الخطوة ١: تعرف على البيانات. اقرأ بياناتك (الملاحظات والمذكرات الميدانية والتفريغات الصوتية وما إلى ذلك) ثم أعد قراءتها مرةً أخرى. دون الكثير من الملاحظات عن أفكارك وآرائك التي تخطر ببالك أثناء القراءة. ثم اكتب ملخصًا لكل تفريغ صوتي أو مصدر للبيانات.

الخطوة ٢: ابدأ في إطار عمل الترميز الخاص بك. بمجرد قراءة التفريغات الصوتية، ستكّون فكرة عن المواضيع المُثارة من خلال الاطلاع على بياناتك. يمكن أن يساعدك هذا الوعي، إلى جانب نظرتك التحليلية، في البدء في تحديد الفئات - التي سنطلق عليها من الآن فصاعدًا "الرموز" - والتي يمكن أن تساعدك على فهرسة بياناتك. يطلق على هذه العملية "الترميز". يحتوي الرمز على تسمية تلخص سمة وصفية أساسية ذات صلة بأجزاء بياناتك. تبدأ الرموز التي تنشئها في تكوين وتشكيل إطار عمل الترميز الخاص بك، والذي يعد في الأساس قائمة من الرموز.

لا تحاول إنشاء جميع الرموز في هذه المرحلة المبكرة. فقد تكون بعض الرموز التي تنشئها في هذه الخطوة عامة جدًا، بينما قد يكون البعض الآخر محددًا للغاية. لذلك يجب أن تكون مستعدًا لتغييرها لاحقًا، فإطار عمل الترميز عملية مستمرة دائمًا.

الخطوة ٣: ابدأ في ترميز بياناتك. تتضمن مرحلة الترميز فهرسة البيانات النوعية عن طريق تعيين الرموز.

- في كل مرة تقرأ فيها جملة أو فقرة من البيانات النصية، عليك التفكير فيما إذا كان بإمكانك تعيين أحد الرموز إليها أم تحتاج إلى إنشاء رمز جديد لالتقاط معنى ذلك الجزء من البيانات.
- يمكنك كتابة الرمز يدويًا أو باستخدام برنامج كمبيوتر. ثمة عدة سُبُل للقيام بذلك يدويًا، من بينها كتابة الرموز في هوامش بياناتك النصية، أو كتابة الرموز في مستند معالجة النصوص أو جدول بيانات Excel، ثم نسخ مقاطع النص ولصقها ببساطة في الجدول تحت الرمز ذي الصلة. سوف نناقش إمكانيات برامج تحليل البيانات النوعية بمساعدة الكمبيوتر في نهاية هذا الفصل.

- استمر في وضع قائمة الرموز وتطويرها حتى يتم ترميز جميع بياناتك. لا تحتاج إلى ترميز كل كلمة في التفريغ الصوتي. فربما يتحدث المحاور والمُجيب في بداية المقابلة عن الطقس أو كلب الجيران، وهذا لا علاقة له بالدراسة ويمكن استبعاده. ومع ذلك، احرص على عدم إهمال المعلومات التي تبدو ظاهريًا غير ذات صلة بالدراسة. في بعض الأحيان تكون المعلومات غير المتوقعة والتي تبدو غير ذات صلة هي المفتاح لفهم القضية قيد الدراسة.

النشاط ٧-١ ترميز بياناتك

سيوفر لك هذا التمرين مثالاً على الترميز ويسلط الضوء على أهمية تحسين الرموز.

إليك مثال على البيانات:

"هذه صورة التقطتها لزيّي المدرسي. أريد مشاركة هذه الصورة لأنها تضم الزي الوحيد الذي أمتلكه، وهو ممزق وهو الزي الوحيد الذي أرتديه عند ذهابي إلى المدرسة".

الشكل ٧-٢ صورة التقطها أحد المشاركين في الدراسة

ما التسمية الوصفية (أي الرمز) التي ستستخدمها لوصف الموضوع الأساسي لهذا النص والصورة؟

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

الخطوة ٤: ضع اللمسات الأخيرة على قائمة الرموز. يمكن أن يتغير المعنى الذي ترفقه برمز بسهولة، وذلك مع تقدمك في ترميز النصوص الخاصة بك بمرور الوقت. لذا بمجرد ترميز جميع البيانات، نوصي بالعودة ومراجعة كل رمز والتأكد من أن مقاطع النص داخل الرموز لا تزال ذات صلة بالموضوع الأساسي الذي تشير إليه تسمية الترميز الوصفية. يمكنك تحسين قائمة الرموز لديك بعدة سُبُل:

- *دمج الرموز:* أثناء قراءتك لمقاطع نص الرموز، قد تكتشف أن بعض الرموز تتعلق بنفس الموضوع الأساسي، ولا تضم سوي القليل من المقاطع النصية. في هذه هي الحالة، يمكنك دمج الرموز معًا في رمز واحد، بحيث يتم جمع كل مقاطع النص ذات الصلة معًا.
- تقسيم الرموز: قد تجد أيضًا أن بعض الرموز تحتوي على عدد كبير من المقاطع النصية، وربما تكون عامة جدًا فلا توضح الاختلافات داخل هذا الموضوع الأساسي. لذا ولضمان التقاط هذه الاختلافات وأخذها في الاعتبار أثناء التحليل، يمكنك تقسيم الرمز وإنشاء رموز جديدة وأكثر تفصيلاً وقص ولصق المقاطع النصية ذات الصلة في الرموز الجديدة.
- *إعادة تسمية الرموز:* قد تدرك أيضًا أن معنى الرمز قد تغير بمرور الوقت، مما يتطلب منك إعادة تسمية الرمز بحيث يعبر عن جوهر مقاطع النص.

يمكن أن تكون هذه العملية التكرارية الخاصة بتحسين الرموز طويلة وبطيئة. فلا توجد قاعدة لعدد الرموز التي تحتاجها، بل يعتمد كليًا على حجم دراستك. مع ذلك، سيكون واقعيًا أن تحتوي الدراسات الصغيرة أو المتوسطة أو الكبيرة على حوالي ٥٠ أو ١٠٠ أو ١٥٠ رمزًا على التوالي (أكثر أو أقل من ٢٠ رمزًا). ولكنك إذا أنشأت قائمة تضم ٢٠٠ رمز لدراسة صغيرة لحوالي ١٠ مقابلات، فمن المحتمل أن تكون الرموز الخاصة بك مفصلة للغاية وأن يحتوي كل رمز على أجزاء نصية قليلة. في هذه الحالة، من الممكن دمج بعض الرموز. من ناحية أخرى، إذا توصلت إلى قائمة من ٣٥ رمزًا بعد ترميز ٧٥ تفريغًا نصيًا للمقابلات، فمن المحتمل أن يكون ترميزها على نطاق واسع جدًا، وتحتوي الرموز على عدد كبير من المقاطع النصية التي توضح الاختلافات في موضوع ما. في هذه الحالة، من الممكن تقسيم بعض الرموز. حاول أن تجد توازنًا بحيث يشير كل رمز، أو موضوع أساسي، إلى فكرة واحدة، ومع ذلك يكون نطاقه واسعًا بما يكفي لتوضيحه من خلال مقاطع نصية متعددة.

الخطوة ٥: تحديد مواضيع ثانوية. عندما تنتهي من إعداد قائمة الرموز، والتي يحتوي كل رمز فيها على مقاطع نصية تصف موضوعًا مشتركًا وبارزًا وأساسيًا يتعلق بجوانب بياناتك، حينئذ تكون على استعداد لاستكشاف كيفية ارتباط الرموز ببعضها البعض. ويتطلب هذا أن يكون لديك فهم جيد ورؤية شاملة لكل رمز. لتحديد المواضيع الثانوية، نقترح عليك القيام بما يلي:

- اكتب الرموز في قصاصات ورقية صغيرة. إذا قمت بالترميز يدويًا، فيمكنك كتابة الرموز على قصاصات الملاحظات اللاصقة، رمز واحد في كل قصاصة. إذا قمت بالترميز باستخدام جهاز كمبيوتر، فيمكنك طباعة قائمة الرموز وقصها بحيث يكون لديك قطع صغيرة من الورق، مكتوب على كل منها رمز. ويوصى بطباعة قائمة الرموز باستخدام حجم خط لا يقل عن ١٦ نقطة وبتباعد كبير بين الرموز.
- وزّع الرموز على طاولة كبيرة (الخطوة ١ في الجدول ٧-٢) ثم جمعها في مجموعات حسب الموضوع. يجب تجميع الرموز التي تشير إلى نفس الموضوع معًا (الخطوة ٢ في الجدول ٧-٢). عندما تنظر إلى الرموز، قد ترى من رمزين إلى أربعة رموز تتعلق ببعضها البعض. في هذه الحالة، ادمج تلك الرموز معًا وفكر في تسمية تلخص وتفسر القصة التي تسردها مجموعة الرموز. قد تتدخل نظرتك التحليلية في تحديد التسمية والطريقة التي تجمع بها الرموز. اكتب التسمية في ورقة جديدة وضعها فوق مجموعة الرموز (الخطوة ٣ في الجدول ٧-٢). تشكل هذه التسمية موضوعك الثانوي.

الجدول ٧-٢ خمس خطوات لوضع شبكة مواضيعية من الرموز أو المواضيع الأساسية

الخطوة	الكيفية	الرسوم التوضيحية
١	ضع الرموز (المواضيع الأساسية) على طاولة. لتوضيح خطوات تحديد المواضيع الثانوية، نعتمد على مجموعة صغيرة من الرموز من دراسة عن الأطفال الأيتام والضعفاء في شرق إفريقيا. يرجى ملاحظة: من المحتمل أن يكون لديك عدد أكبر من الرموز، مقارنةً بما يُظهِرُ الرسم التوضيحي.	
٢	جمع الرموز معًا بحيث ترتبط ببعضها البعض. تتعلق مجموعة الرموز العلوية اليسرى بالأطفال الأيتام الذين يبدون فقراء. بينما تتعلق المجموعة العلوية اليمنى بالأطفال الأيتام الذين يتعرضون للتنمر. وتتعلق المجموعة السفلية بتعليم الأطفال الأيتام.	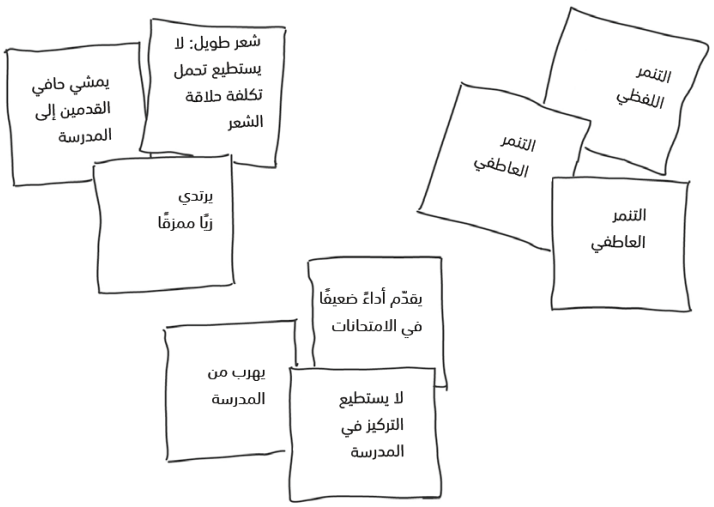
٣	حدد موضوعًا ثانويًا لكل مجموعة من الرموز. يجب أن يلخص الموضوع الثانوي معنى مجموعة الرموز ويفسرها. اكتب الموضوع في ورقة وضعها فوق مجموعة الرموز. يجب أن تعكس المواضيع الثانوية تفسيرك للمواضيع الأساسية ويمكن أن تسترشد بنظرتك التحليلية.	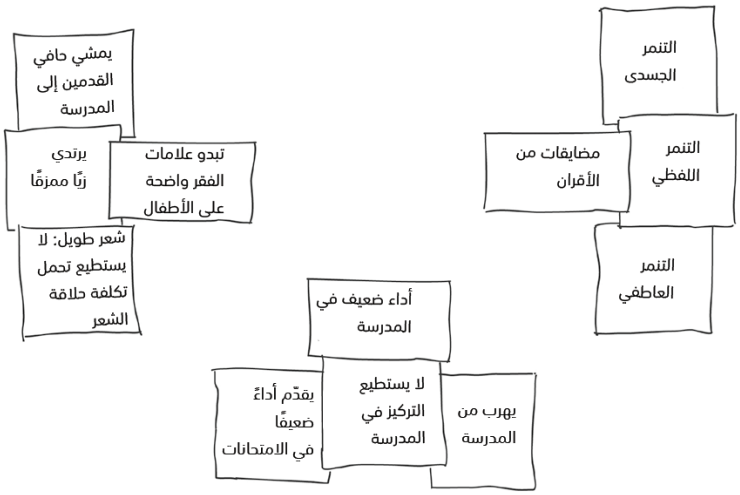

(يُتبع)

الجدول ٧-٢ *(يتبع)*

الخطوة	الكيفية	الرسوم التوضيحية
٤	انظر إلى مواضيعك الأساسية والثانوية في كل مجموعة وفكر في كيفية ارتباطها ببعضها البعض. ضع تسمية تصف جوهر القصة المستخلصة من مواضيعك.	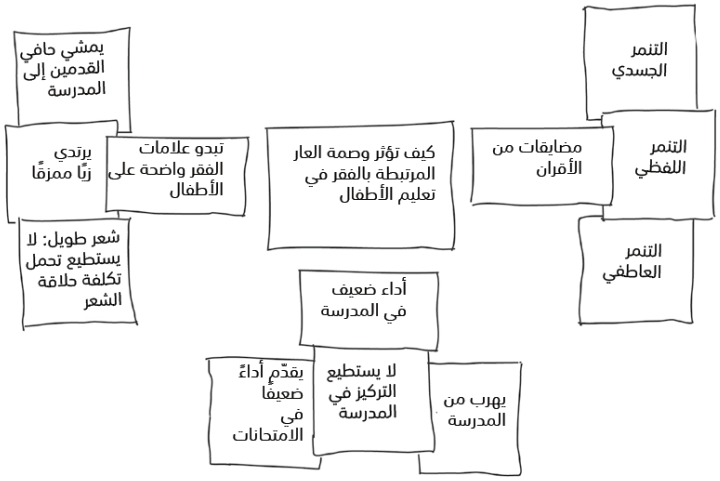
٥	ارسم خطوطًا بين المواضيع التي طرحتها للتعبير عن الشبكة المواضيعية الخاصة بك.	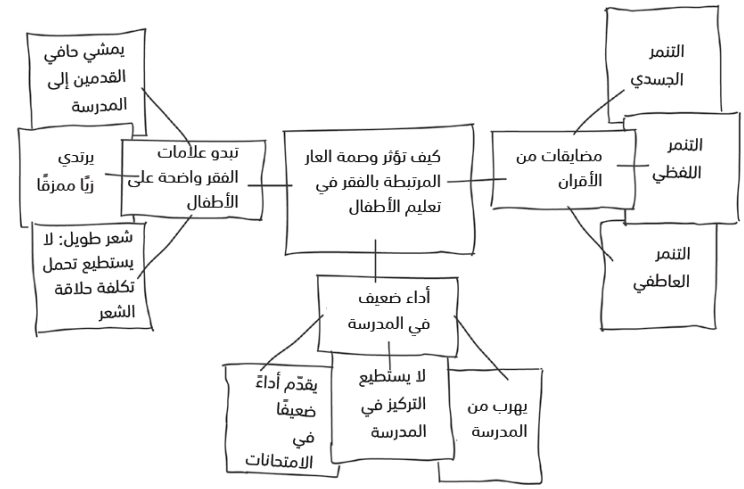

الخطوة ٦: تحديد موضوع (مواضيع) ثالث. انظر إلى مواضيعك الأساسية والثانوية في كل مجموعة وفكر في كيفية ارتباطها ببعضها البعض. ثم جمعها في موضوع ثالث. إذا كان لديك عدد قليل من المواضيع الثانوية ذات الصلة، فيمكنك محاولة التفكير في كلمة أو مفهوم أو جملة تجسد جوهر القصة التي يتم سردها من خلال جميع مواضيعك الثانوية (انظر الخطوة ٤ في الجدول ٧-٢). أما إذا كان لديك عدد من المواضيع الثانوية، فيمكنك استكشاف كيفية اتصالها وارتباطها ببعضها البعض، وتنظيمها في إطار موضوعين أو ثلاثة مواضيع مختلفة ذات مستوى عالي وتفسيرية.

الخطوة ٧: ارسم شبكتك المواضيعية. في هذه المرحلة من التحليل، قمت بتكثيف مجموعة بياناتك إلى مواضيع على ثلاثة مستويات مختلفة، من المواضيع الأساسية التفصيلية إلى المواضيع الثانوية والثالثة الأكثر تفسيرًا. والآن، تتكشف ملامح القصة. لتوضيح شبكتك المواضيعية والكشف عن ملامح القصة الناشئة، يمكنك رسم خطوط تربط مواضيعك الأساسية والثانوية والثالثة (انظر الخطوة ٥ في الجدول ٧-٢).

الخطوة ٨: صِف المواضيع. اكتب ملخصًا قصيرًا يصف القصة الناشئة عن كل موضوع من المواضيع الثانوية والثالثة. على سبيل المثال، ملخص للموضوع الثانوي "الفقر - يبدو الأطفال فقراء بشكل واضح"، يمكن أن يتحدث عن كيف أن بعض الأطفال الأيتام الذين يعيشون في فقر في سياق معين من الدراسة غير قادرين على الذهاب إلى مصففي الشعر أو شراء زوج من الأحذية أو زي جديد، وهذا يعني أن بعض الأطفال الأيتام يبدون مختلفين عن غيرهم من الأطفال.

الخطوة ٩: أعِد النظر في الشبكة المواضيعية وحسّنها. في هذه المرحلة، يوصي أتريد ستيرلينغ (Attride-Stirlings, 2001) بالعودة إلى تفريغاتك الصوتية والتحقق مرة أخرى من أن الملخصات (من الخطوة ٨) والقصة الإجمالية التي اتضحت ملامحها، من خلال رصد الشبكة المواضيعية، تعكس البيانات "الأولية". يمنحك هذا أيضًا فرصة للبحث بنشاط عن الحالات التي يبدو أنها تتعارض مع القصة الناشئة التي تم الكشف عن ملامحها من خلال تحليل شبكتك المواضيعية، ولاستخدام هذه الحالات "الشاذة" لتعديل قصتك وإضفاء مزيد من التفاصيل عليها (Seale, 1999). بعد ذلك، قد تقرر تغيير صياغة وتكوين بعض المواضيع.

الخطوة ١٠: استخدم الشبكة (الشبكات) المواضيعية للتحقق من بياناتك وتحليلها. لا تشكل الشبكة أو الشبكات المواضيعية تحليلاً في حد ذاتها؛ ولكنها مجرد أدوات للمساعدة في التحليل (Attride-Stirling, 2001). يمكنك استخدام الشبكة المواضيعية مع الملخصات التي كتبتها (في الخطوة ٨) لاستكشاف أوجه الاختلاف والتشابه والتناقض في القصة الناشئة بين المواقع (على سبيل المثال، المجتمعات، المنظمات، البلدان)، وبين فئات الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات (النوع الاجتماعي، العمر، مستخدم أو مزود الخدمة)، ونوع طريقة جمع البيانات (الملاحظة بالمشاركة، مقابلة، مناقشات مجموعة التركيز، الصور التشاركية)

إذا كانت لديك مجموعة بيانات كبيرة ووجدت، على سبيل المثال، أن الرجال والنساء يصفون ظاهرة بشكل مختلف تمامًا عن بعضهم البعض، فقد تحتاج إلى تطوير رموز ومواضيع ثانوية وثالثة تكون مميزة لكل نوع اجتماعي. سينتج عن ذلك شبكتان مواضيعيتان: واحدة للرجال وواحدة للنساء. ستوضح الشبكتان المواضيعيتان بعد ذلك أوجه التشابه والاختلاف في كيفية رؤية الرجال والنساء للظاهرة قيد الدراسة ووصفهما لها.

في هذه الخطوة، من المهم أن تدون جميع ملاحظاتك التحليلية وتفكر في كيفية مساهمتها في الإجابة عن سؤال البحث الخاص بمشروعك.

الخطوة ١١: متابعة المشاركين أو تعقيباتهم. إذا كنت لا تزال على اتصال بالمشاركين، فيمكنك في هذه المرحلة من التحليل أن تقرر ما إذا كان من المفيد مقابلة بعضهم مرة أخرى. يمكن أن يكون هذا مفيدًا لسببين:

- *المتابعة:* إذا ترتب عن تحليلك طرح أسئلة أكثر من الإجابات أو إذا رغبت في متابعة مواضيع مفاجئة ناشئة عن التحليل، فسيكون من المفيد لك إجراء مقابلات متابعة مع بعض المشاركين. ويمكنك، في مقابلة المتابعة، الحصول على معلومات واضحة بشأن مواضيع محددة ناشئة عن تحليلك واستكشاف مواضيع معينة بمزيد من العمق.
- التعقيب: إذا كشف تحليلك عن قصة أو قصص متعددة، فيمكنك إجراء اجتماعات فردية أو جماعية مع بعض المشاركين ومشاركتهم بعض ملخصاتك (الخطوة ٨) والشبكات المواضيعية (الخطوة ٩) والنقاط التحليلية الأساسية (الخطوة ١٠). حيث يمكنك، من خلال القيام بذلك، الحصول على تعقيبات حول مدى دقة وملاءمة استنتاجاتك. قد يزودك هذا التمرين أيضًا بمزيد من المعلومات التي يمكنك تضمينها في تحليلك (كالمعلومات التي تحصل عليها من مقابلات المتابعة).

الخطوة ١٢: تقديم استنتاجاتك. استخدم الشبكة (الشبكات) المواضيعية لتوضيح الأنماط الناشئة عن استكشافك. يمكنك القيام بذلك عن طريق جعل قسم الاستنتاجات في تقريرك مستندًا إلى هيكل الشبكة (الشبكات) المواضيعية لديك. انظر إلى الشبكة المواضيعية في الجدول ٧-٢ كمثال. قد يكون التقرير بعنوان *كيف تؤثر وصمة الفقر على تعليم الأطفال الأيتام والضعفاء*. بعد ذلك، يمكن أن يضم قسم الاستنتاجات ثلاثة عناوين تعكس مواضيعك الثانوية وتربطها: ١) "في سياقات الفقر، يظهر على بعض الأطفال الأيتام والضعفاء علامات الفقر"، ٢) "الأطفال الأيتام والضعفاء الذين يبدون فقراء يتعرضون لمضايقات مؤذية من أقرانهم"، ٣) "آثار المضايقة والتنمر على تعليم الأطفال الأيتام والضعفاء".

تحت كل عنوان من العناوين الثلاثة، يمكنك تقديم المواضيع الأساسية ذات الصلة. على سبيل المثال، في القسم المسمى "في سياقات الفقر، يظهر على بعض الأطفال الأيتام والضعفاء علامات الفقر"، يمكنك تقديم استنتاجاتك وتحليلك للمواضيع الأساسية الثلاثة "المشي حافي القدمين إلى المدرسة" و"ارتداء زي ممزق" و"الشعر الطويل: لا يستطيعون تحمل تكلفة قص الشعر". إذا كان لديك الكثير من البيانات والتحليلات التي تريد تقديمها، فيمكنك وضع عناوين فرعية تعكس تصنيف مواضيعك الأساسية (انظر المربع ٧-١).

إذا قمت ببناء قسم الاستنتاجات وفقًا لشبكتك المواضيعية، فستتمكن من الاعتماد على الملخصات الخاصة بك (الخطوة ٨) والنقاط التحليلية (الخطوة ١٠) لتحديد البيانات (الاقتباسات أو الصور أو مسوَّدة المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ) ذات الصلة بالاستنتاجات المواضيعية التي تقدمها. لا ينبغي أن تكون البيانات قائمة بذاتها، بل يجب استخدامها بفعالية كدليل لإثبات حجة أو ادعاء، ولتوضيح نقطة تحليلية، ولتوفير مزيد من العمق والفهم لقضية ما، ولإعطاء المشاركين فرصة للتعبير (انظر المربع ٧-١). بعبارة أخرى، تحتاج إلى إضافة تفسيرك للبيانات وإبراز المفاجآت والتناقضات بالإضافة إلى التناسق، حيث تقوم بالتناوب بين مناقشة البيانات وتقديمها.

المربع ٧-١ مثال على كيف يمكن لشبكة مواضيعية أن توجه هيكل عرضك للاستنتاجات

الاستنتاجات: كيف تؤثر وصمة الفقر على تعليم الأطفال الأيتام والضعفاء [موضوع ثالث]

١.في سياقات الفقر، يظهر على بعض الأطفال الأيتام والضعفاء علامات الفقر [موضوع ثانوي]

المشي حافي القدمين إلى المدرسة [موضوع أساسي]
[أدخل نصًا وعلامات اقتباس تحت كل موضوع أساسي]
ارتداء زي ممزق [موضوع أساسي]
بالنسبة لبعض الأطفال الأيتام والضعفاء، تجلى الفقر في زيهم المدرسي. كان بعض الأطفال وأسرهم ببساطة غير قادرين على استبدال الزي القديم والممزق، مما تطلب من بعض الأطفال الذهاب إلى المدرسة وهم يرتدون زيًا ممزقًا [نقطة تحليلية].
"هذه صورة التقطتها لزيّي المدرسي. أريد مشاركة هذه الصورة لأنها تضم الزي الوحيد الذي أمتلكه، وهو ممزق وهو الزي الوحيد الذي أرتديه عند ذهابي إلى المدرسة". [مقتبس من تفريغ صوتي يدعم نقطة تحليلية]
شعر طويل: لا يستطيعون تحمل تكلفة قص الشعر [موضوع أساسي]

٢.يتعرض الأطفال الأيتام والضعفاء الذين يبدون فقراء للمضايقة من أقرانهم
[موضوع ثانوي]

التنمر الجسدي [موضوع أساسي]
التنمر اللفظي [موضوع أساسي]
"أشعر بالحرج عندما أرتدي هذا الزي الممزق لأن أجزاء من جسدي تنكشف. يتلفظ بعض الأطفال بكلمات سيئة عني". [مقتبس من تفريغ صوتي]
التنمر العاطفي [موضوع أساسي]

٣.آثار المضايقة على تعليم الأطفال الأيتام والضعفاء [موضوع ثانوي]

التسرب المدرسي [موضوع أساسي]
عدم القدرة على التركيز في المدرسة [موضوع أساسي]
"أشعر بالحزن وأحيانًا بعدم الرغبة في الذهاب إلى المدرسة، بسبب الإحراج الذي يسببه لي الزي الممزق، كما أن مضايقات الأطفال الآخرين تؤثر على تركيزي في المدرسة. [مقتبس من تفريغ صوتي]
نتائج الامتحانات سيئة [موضوع أساسي]

الخطوة ١٣: ناقش استنتاجاتك. الخطوة الأخيرة المهمة في تحليل البيانات النوعية هي مناقشة استنتاجاتك. يمكنك إجراء هذه المناقشة في قسم منفصل في تقريرك أو دمجها في قسم الاستنتاجات. بغض النظر عن كيفية دمج المناقشة، نوصي بأن تتضمن العناصر التالية:

- ناقش كيف تسلط استنتاجاتك الضوء على سؤال (أسئلة) البحث. ساعد القارئ على فهم كيفية إجابة استنتاجاتك عن سؤال البحث، بالإضافة إلى الفروق الدقيقة والتعقيدات التي أظهرتها الدراسة. تذكر: إذا كانت استنتاجاتك لا تتناول سؤال البحث الأصلي، فيمكنك تعديله بحيث يتطابق مع الاستنتاجات التي توصَّلتَ إليها. ومع ذلك، سوف تحتاج إلى الإعلان عن ذلك في التقرير.

- ناقش كيف ترتبط المواضيع المهمة، التي أسفرت عنها دراستك، بالأدبيات التجريبية واسعة النطاق. ساعد القارئ على فهم كيف تدعم استنتاجاتك الدراسات، التي أجريت في مكان آخر، أو تناقضها. إذا اختلفت استنتاجاتك عن استنتاجات الآخرين، فناقش كيفية حدوث ذلك ولماذا. يرجى ملاحظة أنه من المقبول تمامًا أن تتعارض استنتاجاتك مع الاستنتاجات الموجودة في الأدبيات التجريبية.
- إذا كانت دراستك قائمة على نظرية، فيمكنك مناقشة كيف تدعم استنتاجاتك الأفكار الموجودة في الأدبيات النظرية أو تقوم بتطويرها أو مناقضتها.
- ناقش الانعكاسات المترتبة على استنتاجاتك. ما الطرائق التي تدعم بها استنتاجاتك السياسة أو الممارسة القائمة، أو تتحداها، أو تضيف إليها مشكلات؟ من خلال طرح هذا السؤال على نفسك، يمكنك مساعدة القارئ في الإجابة عن سؤال "وماذا بعد؟" الخاص بدراستك.

على الرغم من أننا أضفنا مناقشة استنتاجات البحث كخطوة أخيرة في تحليل البيانات النوعية، يُنصح بالعودة إلى الأدبيات طوال عملية البحث والاطلاع عليها باستمرار لشحذ نظرتك التحليلية وفهم المواضيع التي أسفر عنها التحليل بشكل أفضل.

لقد قدمنا الآن ١٣ خطوة نحو التحليل المواضيعي، وبالاسترشاد بما كتبه أتريد ستيرلينغ في مقاله (Attride-Stirlings, 2001)، أوضحنا كيف يمكن للشبكات المواضيعية أن تدعم العملية الخاصة بفهرسة البيانات حسب المجالات المواضيعية. وطبيعة البحث النوعي الخاصة جدًا تعني أن كل دراسة نوعية مختلفة، مما يجعل من المستحيل عمليًا تطوير وتطبيق الإرشادات خطوة بخطوة. لذلك من المهم ألا تعتبر الخطوات الـ ١٣ الموضحة أعلاه هي الطريقة "الصحيحة" لإجراء تحليل مواضيعي، ولكن عليك التفكير باستمرار في كيفية إبراز هذه الخطوات للمبادئ التي قد تكون ذات صلة بتحليل بياناتك.

إن التحليل المواضيعي مفيد للباحثين الذين يحتاجون إلى أخذ نظرة عامة منهجية عن بياناتهم ويبحثون عن تلك القصص الشاملة التي تهيمن على البيانات وتشكل موضوعها الرئيسي. ومع ذلك، إذا كنت لا ترغب في تقسيم بياناتك إلى شرائح، ولكنك تعتقد أنه يجب فهم المواضيع والقضايا وتفسيرها بعناية في السياق، فقد تفضل تحليل دراسة الحالة.

تحليل دراسة الحالة.

يعد تحليل دراسة الحالة طريقة أخرى شائعة لتحليل البيانات النوعية. إنها مقاربة التحليل النوعي التي تشجعك على التحقق من المواضيع داخل نظام محدود ("حالة") أو أنظمة متعددة الحدود ("حالات")، باستخدام بيانات مفصلة من مصادر متعددة (Creswell, 2012). لذلك، بدلاً من أخذ أجزاء من بياناتك وفهرستها بالرموز، بعيدًا عن سياقها العام، يشجعك تحليل دراسة الحالة على استكشاف المشكلات بشكل كلي وضمن سياقها، باستخدام "الوصف المفصّل" (الذي يعني المعلومات السياقية) للتوصل إلى فهم عميق وتفصيلي لأجزاء مترابطة من مجموعة بياناتك (Mason, 2002). يمكن أن يساعدك في رسم صورة مفصلة لموقف أو برنامج، ويجعل تحليل دراسة الحالة مفيدًا خاصة في الإجابة عن أسئلة "كيف" و "لماذا" في سياق المتابعة والتقييم

والمساءلة والتعلّم (MEAL). وعلى الرغم من أن تحليل المواضيع في سياقها ليس مميزًا لبحوث دراسة الحالة، إلا أنه ميزة توجه إلى حدٍّ كبير مقاربة تحليل دراسة الحالة. ومن الجدير بالذكر أن تحليل دراسة الحالة ليس مجرد طريقة للتحليل؛ فهو يرتبط ارتباطًا جوهريًا بمنهج البحث (بحث دراسة الحالة). تعتمد أفضل أمثلة تحليل دراسة الحالة على البيانات التي تم توليدها مع الاهتمام بـ "الوصف المُفَصَّل". وتأتي هذه البيانات من مصادر مختلفة، لكن لديها نظام أو "حالة" محددة بوضوح.

كما هو الحال مع أي تحليل بيانات نوعي، تلعب نظرتك التحليلية دورًا رئيسيًا في توجيه ما تبحث عنه عند إجراء تحليل دراسة الحالة. بالإضافة إلى الوضوح المتعلق بنظرتك التحليلية، تحتاج إلى مراعاة المَعالِم التالية:

- **ما الغرض من التحليل؟** يناقش ييـن (Yin, 2003) عددًا من الأغراض المحتملة المختلفة لتحليل دراسة الحالة. وتتضمن ما يلي:

أ. *التفسيرية:* يسعى تحليل دراسة الحالة التفسيرية إلى فهم وشرح لماذا وكيف ترتبط المواضيع المختلفة وتتشابك. على سبيل المثال، إذا تحدث صبي في مقابلة حول كيف أن زيه الممزق يجعله يبدو فقيرًا بشكل واضح، مما يشجع الأطفال الآخرين في المدرسة على مضايقته، وهذا بدوره يثنيه عن الذهاب إلى المدرسة، فإن مقاربة تحليل دراسة الحالة التفسيرية من شأنها هنا التحقق من العلاقة السببية بين المظهر الفقير والمضايقة والتعليم. في سياق المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم (MEAL)، يمكن استخدام مقاربة دراسة الحالة التفسيرية لاستكشاف كيف أدى برنامج أو تدخل إلى حصائل معينة.

ب. *الاستكشافية:* تسعى مقاربة تحليل دراسة الحالة الاستكشافية إلى استكشاف وملاحظة قضية أو ظاهرة أو برنامج بهدف تكوين فهم متعمق للعوامل والعمليات الرئيسية التي تؤثر على الموقف قيد الدراسة. إذا كنت، على سبيل المثال، في مرحلة إنشاء برنامج لمكافحة وصمة الفقر، يمكن أن يساعدك تحليل دراسة الحالة الاستكشافية في تحديد مظاهر الوصمة في سياق معين. يمكن أيضًا استخدام تحليل دراسة الحالة الاستكشافية لتقدير الاحتياجات، واستكشاف احتياجات الأفراد داخل نظام محدد.

ج. *الوصفية:* تسعى مقاربة تحليل دراسة الحالة الوصفية إلى رسم الحالة بتفصيل كبير. ويتضمن ذلك وَضْعَ "وصف مفصل" للحالة ووصف السياق الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والجهات الفاعلة والبرامج والتأثيرات الأخرى للحياة اليومية.

- **كيف تحدد "الحالة" المطلوب تحليلها؟** يعد الوضوح بشأن نطاق "حالتك" أمرًا مهمًا. تشكل الحالة وحدة التحليل وتحدد من يجب تعيينه للمشاركة في الدراسة. من المرجح أن يوفر سؤال البحث الخاص بمشروعك بعض الإجابات بشأن نطاق حالتك. يجب أن يحدد ما إذا كان تركيز دراستك هو تحليل فرد أم عائلة أم مجتمع أم منظمة أم موقع جغرافي أم عملية معينة.

- **هل تحلل حالات فردية أم متعددة؟** عليك أيضًا أن تحدد ما إذا كنت تحلل حالة واحدة أم حالات متعددة، أو مزيج من الاثنين معًا. لنفترض أنك تريد تحليل حصائل تعليم الأطفال. يمكنك في هذه الحالة إما التركيز على مدرسة واحدة (حالة واحدة)، أو يمكنك مقارنة حصائل التعليم لمدرستين مختلفتين (حالات متعددة)، وإبراز الاختلافات بينهما. حتى إذا ركزت على مدرسة واحدة، فيمكنك إجراء العديد من دراسات الحالة للأفراد داخل البيئة المدرسية (على سبيل المثال، المعلمون والطلاب وموظفو إدارة المدرسة). وبهذه الطريقة، تُجري دراسة حالة واحدة (المدرسة) ودراسة حالات متعددة (الأفراد الفاعلون داخل المدرسة). ويتيح لك وجود الحالات المتعددة تحديد أوجه التشابه والاختلاف بين الحالات.

بمجرد أن تكون واضحًا بشأن معايير تحليل دراسة الحالة لديك، وتكون على دراية بنظرتك التحليلية، تصبح على استعداد للتحقق من دراسة الحالة أو دراسات الحالة. لمساعدتك في ذلك، نقترح اتباع الخطوات الست التالية.

الخطوة ١: فحص سياق دراسة الحالة وفهمه. لا تحدث حالة ولا تجري أحداث الحياة الواقعية بمعزل عن عوامل أخرى، بل تتشكل من عوامل اجتماعية اقتصادية وثقافية وتاريخية وجيوسياسية عامة. قبل البدء في إجراء دراسة الحالة وتحليلها، عليك التعرف على السياق العام للحالة (الحالات). قد يتطلب ذلك الكثير من القراءة وإجراء محادثات مع أشخاص لديهم معرفة أساسية بسياق الحالة.

الخطوة ٢: تعرف على البيانات. اقرأ بياناتك (الملاحظات والمذكرات الميدانية والتفريغات الصوتية وما إلى ذلك) ثم أعد قراءتها مرةً أخرى. دون الكثير من الملاحظات عن أفكارك وآرائك التي تخطر ببالك أثناء القراءة.

الخطوة ٣: ابدأ في ترميز بياناتك. بمجرد جمعك للمعلومات الخاصة بالحالة والإلمام بها، يمكنك ترميز البيانات. وهذه العملية تشبه إلى حد كبير العملية الموصوفة للتحليل المواضيعي. لمساعدتك في التعرف على الترابطات داخل الحالة، يمكنك وضع إطار عمل للترميز يأخذ في الاعتبار العناصر التالية:

- *التفاصيل:* التفاصيل ذات الصلة بالحالة مثل مَن وماذا وأين ومتى.
- الأفعال: الممارسات، والأحداث، والأزمات، والمشكلات في الحالة، والظاهرة محل الدراسة.
- *التقدير:* المعنى والأهمية المنسوبة للأفعال.
- *التأثيرات اللاحقة:* انعكاسات الأفعال وحصائلها وحلولها.

سيعتمد تركيز الترميز على نظرتك التحليلية. إذا أخذنا المثال السابق، وافترضنا أن نظرتك التحليلية هي العمليات التي من خلالها تتجلى وصمة الفقر داخل المدرسة (الحالة)، فقد تتضمن رموز "التفاصيل" المتعلقة بالسياق تفاصيل عن الفقر والبيئة المدرسية والتلاميذ والمعلمين وأولياء الأمور. قد تتمثل رموز "الأفعال" في "لا يستطيعون شراء زي جديد" و"لا يستطيعون تحمل تكلفة قص الشعر" و"تبدو على بعض الأطفال علامات الفقر" و"يضايقهم أقرانهم"، وكل رمز من هذا يمثل أزمة أو حدثًا أو ممارسة أو مشكلة. تتعلق رموز "التقدير"

بأهمية الأفعال، وقد تتضمن "شعور الأطفال بالوصم" أو "الحزن". قد يكون رمز "التأثير اللاحق"، الذي يتعلق بانعكاسات ذلك، هو "يتغيب الأطفال عن المدرسة".

الخطوة ٤: ضع وصفًا مفصلاً للحالة. استخدم إطار عمل الترميز لكتابة ملخص حالتك. ابدأ بتقديم جزء من سياق الحالة (التفاصيل)، وصف الظاهرة قيد الدراسة (الأفعال والأزمات والممارسات)، واشرح المعنى والأهمية التي ينسبها الأشخاص أو المنظمات أو المجتمعات للظاهرة (التقدير)، وفي النهاية صف الانعكاسات والحصائل والحلول المقترحة للظاهرة المدروسة (التأثيرات اللاحقة).

من المرجح أن يكون ملخص الحالة طويلاً ومفصلاً، مما يوفر نظرة عامة شاملة عن الحالة فيما يتعلق بموضوعك. يجب أن يسمح لك الملخص باستكشاف الترابطات بين السياق والأفعال والتقديرات والتأثيرات اللاحقة، مما يقدم تفسيرات شاملة للعمليات والممارسات المدروسة. بعبارة أخرى، أثناء كتابة هذا الوصف، تحتاج إلى استكشاف دور العوامل السياقية في التأثير على التفسيرات والعمليات.

متابعة للمثال أعلاه، يمكن أن يركز وصفك التفصيلي على تفسيرات العمليات والممارسات التي تساهم في جعل الفقر وصمة داخل المدرسة. اعتمادًا على البيانات التي جمعتها، قد يكون الوصف كالتالي: "الفقر يعني أن بعض الأطفال في دراسة الحالة هذه غير قادرين على استبدال زيهم الممزق، مما يجعل فقرهم جليًا للعين ومن ثم يتعرضون للمضايقات من قبل أقرانهم. وهذا يشعرهم بالخزي والحزن، مما يشجعهم بدوره على ترك المدرسة".

هذا الوصف أولّي وبسيط للغاية، لكنه يمنحك فكرة عن كيفية بناء الملخص، واستخدام عملية الكتابة كفرصة لاستكشاف الترابطات والتفسيرات وتحليلها وتأكيدها.

الخطوة ٥: مقارنة الحالات. إذا كان لديك أكثر من حالة، وأظهر الترميز وجود مواضيع متشابهة، فيمكنك تطوير تحليلك من خلال مقارنة الحالات، والبحث عن أوجه التشابه والاختلاف في الرموز (Creswell, 2012). ويمكنك، بالإضافة إلى مقارنة أوجه التشابه والاختلاف الوصفية، مقارنة التفسيرات والعمليات المختلفة التي تنشأ عن دراسات الحالة (Mason, 2002). ومن بين السُبُل الكفيلة للقيام بذلك، اختصار ملخصاتك ووضعها في جدول. يشجعك المخطط الموضح في الجدول ٧-٣ على مقارنة أكثر من إجراء في حالتين. سيكون عليك أن تقرر عدد الإجراءات التي تريد مقارنتها.

الخطوة ٦: قدم استنتاجاتك وناقشها. لا توجد طريقة واحدة صحيحة لتقديم تقرير تحليل دراسة الحالة (Merriam, 1988). تعتمد الطريقة التي تقرر استخدامها لتقديم تحليلك على الغرض من تحليل دراسة الحالة (استكشافي أم تفسيري أم وصفي مثلاً)، وعلى كيف حددت نطاق الحالة، وما إذا كانت حالة واحدة أم متعددة أم مزيج (على سبيل المثال، حالات متعددة في دراسة حالة واحدة) (Yin, 2003).

الجدول ٧-٣ مثال على مخطط مقارنة دراسة حالة

عناصر التركيز	الحالة ١		الحالة ٢	
التفاصيل	التفاصيل ذات الصلة بالحالة ١، مثل مَن وماذا وأين ومتى.		التفاصيل ذات الصلة بالحالة ٢، مثل مَن وماذا وأين ومتى.	
الأفعال	الممارسة، الحدث، الأزمة، المشكلة	الممارسة، الحدث، الأزمة، المشكلة	الممارسة، الحدث، الأزمة، المشكلة	الممارسة، الحدث، الأزمة، المشكلة
التقدير	المعنى والأهمية	المعنى والأهمية	المعنى والأهمية	المعنى والأهمية
التأثيرات	الانعكاسات،	الانعكاسات والحصائل	الانعكاسات والحصائل	الانعكاسات والحصائل والحلول
اللاحقة	والحصائل والحلول	والحلول	والحلول	

وعلى الرغم من تمتعك بقدر كبير من المرونة لتقديم استنتاجات دراسة الحالة بطريقة منطقية بالنسبة لتحليلك الخاص، فمن المستحسن عمومًا أن تبدأ بتقديم الكثير من التفاصيل الخاصة بدراسة الحالة وسياقها (التفاصيل). يمكنك بعد ذلك المضي قدمًا في تقديم القضايا قيد الدراسة (بما في ذلك الأفعال والتقدير والتأثيرات اللاحقة) ومناقشة التفسيرات والعمليات التي كشف عنها تحليلك.

لقد قدمنا حتى الآن طريقتين للتحقق من البيانات. وقدمناهما كمقاربتين متميزتين لتحليل البيانات النوعية، ولكن غالبًا ما يستخدم الباحثون عناصر مستوحاة من كلتيهما. على سبيل المثال، قد نجري تحليلًا مواضيعيًا، ولكن ندرس باستمرار المواضيع الناشئة في سياقها العام (أي مع حالة). وبالمثل، يمكن إجراء تحليل دراسة الحالة، مع ترميز البيانات داخل الحالة حسب الموضوع. لذا يصعب الفصل الكامل بين المقاربتين. وفي حين أنه من المستحسن اتباع الإرشادات المفصلة خطوة بخطوة المقدمة أعلاه، وللمواءمة مع مقاربة معينة، إلا أنه من المقبول أيضًا الابتعاد عن هذه الإجراءات وتغييرها لتناسب هدف البحث والبيانات التي لديك. المهم هو أن تقوم بتوثيق الإجراء التحليلي الخاص بك.

تستغرق كلتا المقاربتين وقتًا طويلاً وقد يبدو أنهما عمليتان مملتان في البداية. من نواح عديدة، يعد تحليل البيانات النوعية أمرًا مرهقًا، ولا يتحلى الجميع بالصبر الكافي لمتابعة هذه العملية. إذا كنت تعمل في ظل مواعيد نهائية صارمة أو توجد قيود على الموارد، فيمكنك تخطي بعض الخطوات. لن نشجع هذا لأي سبب آخر غير أن العملية تجعلك على دراية تامة بالبيانات، ويمكن أن تساعدك في توثيق كيفية حصولك على الكم الكبير من البيانات النصية وفهم التفكير المنطقي للآخرين. من خلال متابعة وتوثيق العملية، يمكنك إقناع قراء تقرير البحث أن الاستنتاجات لم تعتمد على الحدس، ولكنها تستند إلى التحقق من نظرتك التحليلية ووجهات نظر المشاركين.

نأمل أن نكشف زيف الأسطورة القائلة بأن تحليل البيانات النوعية أبسط وأسهل من التحليل الكمي. إن المرونة والسلاسة في تحليل البيانات النوعية محيّرتين للعديد من الأشخاص الذين يعملون في مجال المتابعة والتقييم والمساءلة والتعلّم (MEAL)، والذين غالبًا ما يكونون معتادين على خطط وإجراءات محددة بوضوح كبير لتحليل البيانات. ومع ذلك، نأمل أن نكون قد قدمنا عرضًا متوازنًا لتحليل البيانات النوعية، وذلك بشرح الخطوات الإجرائية وإبراز أهمية "نظرتك التحليلية" في توجيه العملية.

كما ناقشنا سابقًا، يمكن الاستفادة من برامج تحليل البيانات النوعية بمساعدة الحاسوب (CAQDAS) في هذه العمليات، خاصة إذا كان لديك مجموعة بيانات كبيرة. سنناقش الآن إمكانات استخدام CAQDAS والتحديات الناتجة عن استخدامه.

برامج تحليل البيانات النوعية بمساعدة الحاسوب:

ظهرت برامج تحليل البيانات النوعية بمساعدة الحاسوب (CAQDAS) منذ الثمانينيات (Kelle, 2000). يوجد العديد من البرامج التي يمكنك الاختيار من بينها، وجميعها تشترك في الهدف ذاته: "مساعدة الباحثين النوعيين على إدارة بياناتهم وتحليلها بطريقة شاملة، وموفرة للوقت، وتتسم بالشفافية، ويمكن مشاركتها بسهولة مع الزملاء". وتزداد أهمية هذه البرامج خاصة إذا كانت لديك كميات كبيرة من البيانات أو أشكال متعددة منها، بما في ذلك التفريغات الصوتية للمقابلات ومناقشات مجموعة التركيز، والملاحظات الميدانية، والأدبيات، ومقاطع الفيديو، والصور، والمدونات، وتحديثات وسائل التواصل الاجتماعي (Mason, 2002). من المهم ملاحظة أن برامج CAQDAS لا تقوم بالتحليل نيابة عنك، كما هو الحال مع برامج التحليل الإحصائي في البحث الكمي. بل أنت الباحث الذي يقوم بـ: ١) تنظيم البيانات داخل البرنامج، ٢) ترميز البيانات، و٣) تقرير التساؤلات التي سيتم طرحها لاستكشاف الأنماط. سوف نصف هذه الوظائف الثلاث بمزيد من التفصيل.

إدارة المعلومات

تتمثل الميزة الرئيسية لبرامج CAQDAS في قدرتها على إدارة كميات كبيرة من المعلومات. حيث تسمح لك معظم برامج CAQDAS باستيراد مجموعة متنوعة من الملفات، من ضمنها التسجيلات الصوتية والمرئية والصور الثابتة والمستندات وجداول بيانات Excel. تمكّنك بعض البرامج، مثل NVivo، من استيراد مواقع إلكترونية ومحتوى وسائل التواصل الاجتماعي، على سبيل المثال من Twitter أو Facebook أو LinkedIn. مما يتيح لك جمع كافة المعلومات البحثية ذات الصلة معًا في برنامج واحد. وتظل كيفية تنظيم واستخدام هذه المعلومات داخل البرنامج متروكة لك. فيمكنك، على سبيل المثال، استيراد كل من الأدبيات والبيانات إلى البرنامج، مما يعني أنه يمكن استخدامها للقيام بمراجعة الأدبيات والتحقق من البيانات. وبصرف النظر عن مساعدتك في إدارة كميات هائلة من البيانات، فإن ميزة جمع كافة المعلومات ذات الصلة معًا في برنامج واحد تمكّنك من مشاركة المشروع بسهولة أكبر مع الزملاء، مما يساعدهم على فهم أبحاثك.

الترميز والاسترجاع

ربما يكون الاستخدام الأكثر شيوعًا لبرامج CAQDAS هو المساعدة في عملية الترميز، التي يتسم بها التحليل المواضيعي. فباستخدام CAQDAS، يمكنك إنشاء الرموز: وهي حاويات محورية صغيرة يمكن استخدامها لفهرسة البيانات المستوردة إلى البرنامج.

الشكل ٧-٣ مواضيع أساسية وثانوية وثالثة، كما تظهر في برنامج NVivo

ويمكن إنشاء الرموز مسبقًا وتطبيقها، أو إنشاؤها ببساطة أثناء عملية استعراض البيانات. تسمح لك معظم برامج CAQDAS بتنظيم الرموز، مما يساعد، بشكل كبير، عملية التحليل المواضيعي الموضحة سابقًا. تمكّنك بعض برامج CAQDAS، مثل NVivo، من تجميع الرموز معًا في مواضيع ذات رتبة عليا، وإنشاء بنية مواضيعية وبنية ترميز مماثلة لتلك الموضحة في الجدول ٧-٢. يوضح الشكل ٧-٣ كيف يمكن للباحثين، باستخدام NVivo، تنظيم الرموز في مواضيع ذات رتبة عليا. باستخدام نفس المواضيع التي ظهرت من الجدول ٧-٢، يوضح الشكل ٧-٣ كيف تم تجميع الرموز أو المواضيع الأساسية "الشعر الطويل: لا تستطيعون تحمل تكلفة قص الشعر" و"المشي حافي القدمين إلى المدرسة" و"ارتداء زي ممزق" في موضوع ثانوي يسمى "يبدو الأطفال فقراء بشكل واضح". تم تجميع المواضيع الثانوية الثلاثة بدورها تحت موضوع من المستوى الثالث "كيف تؤثر وصمة الفقر على تعليم الأطفال".

ومن مزايا برامج CAQDAS أنه عند قيامك بترميز البيانات وترغب في استرداد معلومات بشأن موضوع ما، يمكنك القيام بذلك بنقرة زر. في معظم البرامج، سيكون عليك ببساطة النقر نقرًا مزدوجًا فوق رمز، فتظهر على الفور جميع المعلومات التي قمت بفهرستها باستخدام هذا الرمز، سواء كانت نصًا أو مقطعًا صوتيًا أو مقطعًا من مقطع فيديو أو زاوية صورة ثابتة. على سبيل المثال، إذا قمت بترميز مقاطع نصية مختلفة من سلسلة من التفريغات الصوتية بالرمز "ارتداء زي ممزق"، يمكنك بسرعة استرداد جميع المعلومات المتعلقة بموضوع الأطفال الذين يرتدون زيًا ممزقًا. يمكنك بسهولة بعد ذلك مقارنة ما يقال عن هذا الموضوع وإبراز الاختلافات.

استكشاف الأنماط

تتمتع برامج CAQDAS بوظائف بحث أو استعلام مختلفة لمساعدتك على استكشاف الأنماط. تتضمن بعض وظائف البحث الأساسية "تكرار الكلمات" و"البحث في النص". يمكن أن توفر لك عمليات البحث استنادًا إلى مدى تكرار الكلمات نظرة عامة على الكلمات التي تظهر بشكل متكرر في الأدبيات أو البيانات الخاصة بك. يمكن أن تزودك عمليات البحث هذه ببعض الأفكار حول المواضيع التي تظهر في المواد الخاصة بك. تسمح لك عمليات البحث في النص بالبحث عن كلمات معينة واستكشاف سياقها. على سبيل المثال، إذا لفتت نظرتك التحليلية انتباهك إلى مسألة "المضايقة"، فيمكنك إجراء بحث عن كلمة "ضِيق" والحصول على معلومات حول كيف تظهر كلمة "ضِيق" في مجموعة البيانات لديك. لديك بعد ذلك خيار فهرسة هذه المعلومات في رموز جديدة أو رموز حالية (مثل "التنمر العاطفي" أو "التنمر الجسدي" أو "التنمر اللفظي").

بالنسبة للذين لديهم خبرة أكبر قليلاً في استخدام برامج CAQDAS، يمكنهم طرح التساؤلات التي تمكّنهم من مقارنة الاستجابات النوعية واكتشاف الاختلافات بينها وفقًا لمتغيرات معينة، مثل العمر والنوع الاجتماعي والمهنة والمجتمع وما إلى ذلك. على سبيل المثال، يمكن طرح تساؤل لاستكشاف كيف يتحدث الأولاد والبنات بشأن موضوع "ارتداء زي ممزق" بطريقة مختلفة أو متشابهة. وفي حين أن مثل هذه التساؤلات يمكن أن تساعد في استكشاف الأنماط داخل مجموعات البيانات الكبيرة، إلا أنها تتبع منطقًا شائعًا للتحليل الكمي، وقد لا تكون بالضرورة مناسبة لجميع الدراسات النوعية (Mason, 2002). على سبيل المثال، إذا كنت تجري دراسة استكشافية، فقد لا تبحث بالضرورة عن أنماط، ولكنك تسعى إلى رسم خريطة مجموعة واسعة من الرؤى ووجهات النظر.

ما برنامج CAQDAS الذي يجب أن تستخدمه؟

أوضحنا في الفصل الثاني أن برنامجي NVivo وATLAS.tig من أكثر البرامج، القائمة على الاشتراك، استخدامًا.[١] كلا البرنامجين متطوران إلى حد ما ويتميزان بالعديد من الوظائف المختلفة التي يمكن أن تساعدك في إدارة كميات كبيرة من البيانات وتحليلها. كما يتم تحديثهما بانتظام بإضافة وظائف جديدة. هناك بدائل مجانية ومفتوحة المصدر، مثل CATMA لأنظمة التشغيل Windows وMacintosh وLinux، وTAMS Analyzer لنظام التشغيل Macintosh، و(Coding Analysis Toolkit (CAT، وهي أداة قائمة على شبكة الإنترنت.[٢] إذا تمتعت مؤسستك بحق الوصول إلى البرامج القائمة على اشتراك، فيمكنك أيضًا اختيار إما NVivo أو ATLAS.ti. أما إذا لم تكن كذلك، فمن المحتمل أن تجد برنامجًا من البرامج المجانية مناسبًا تمامًا لنوع التحليل الذي تحاول القيام به.

الملخص

قدم لك هذا الفصل بعض المبادئ الأساسية الخاصة بتحليل البيانات النوعية. وأكد على أن التحليل ليس حدثًا منفردًا أو شيئًا تفعله بعد جمع البيانات. ولكن التحليل النوعي نشاط مستمر يبدأ في اللحظة التي تمت فيها صياغة سؤال البحث. كل قرار تتخذه في عملية البحث أو أي سؤال تطرحه على أحد المشاركين يتشكل من خلال ما نسميه "نظرتك التحليلية"، وهي موضع الاهتمام الذي يشكل محط تركيز دراستك. هذه النظرة إلى جانب خلفيتك (النوع الاجتماعي، والعمر، والخبرة السابقة في الموضوع، وما إلى ذلك) يجعلانك، أنت الباحث، أداة

رئيسية في عملية التحليل. كما تساعدك نظرتك التحليلية أيضًا على تحديد الإستراتيجية التي يجب استخدامها لتكثيف البيانات بشكل منهجي في بعض الاستنتاجات الرئيسية. لقد قدمنا إستراتيجيتين شائعتيْ الاستخدام للتحقق من البيانات النوعية بشكل منهجي. الأولى هي التحليل المواضيعي، والذي يسمح لك بتقسيم المواضيع وتحديدها واستكشافها عبر مجموعة البيانات. قدمنا أيضًا إستراتيجية "تحليل دراسة الحالة" التي تستخدم لاستكشاف كيفية ارتباط المواضيع داخل حالة ما ببعضها البعض. تخدم الإستراتيجيتان أغراضًا مختلفة قليلاً. يعد التحليل المواضيعي جيدًا لتزويدك بنظرة عامة واسعة النطاق على المواضيع الرئيسية في مجموعة البيانات. أما تحليل دراسة الحالة فيعد مناسبًا تمامًا لفهم كيفية وسبب عمل شيء ما بطريقة معينة في الحالة. ومع ذلك، غالبًا ما يعتمد الباحثون على عناصر من كلتا الإستراتيجيتين. المهم هو أن تتعامل مع البيانات بشكل منهجي وتستغرق وقتًا للتحقق بعناية من المواضيع المختلفة التي تظهر في هذه البيانات وأن تفهم الترابطات بينها.

الملاحظات الختامية

١. يتوفر برنامج NVivo على <www.qsrinternational.com/> وبرنامج ATLAS.ti على <http:// atlasti.com/> [تم الوصول إليهما في ٢٤ يوليو ٢٠١٥].
٢. يتوفر برنامج CATMA على <www.catma.de>، وبرنامج TAMS Analyzer لنظام التشغيل Macintosh على<http://tamsys.sourceforge.net> وبرنامج CAT على <http://cat.ucsur.pitt.edu/> [تم الوصول إليها جميعها في ٢٤ يوليو ٢٠١٥].

المراجع

Attride-Stirling, J. (2001) 'Thematic networks: an analytic tool for qualitative research', *Qualitative Research* 1 (3): 385–405.

Creswell, J. W. (2012) *Qualitative Inquiry and Research Design: Choosing Among Five Approaches*, London: SAGE Publications.

Gaskell, G. and Bauer, M. W. (2000) 'Towards public accountability: beyond sampling, reliability and validity', in M. W. Bauer and G. Gaskell (eds), *Qualitative Researching with Text, Image and Sound*, pp. 336–50, London: SAGE Publications.

Kelle, U. (2000) 'Computer-assisted analysis: coding and indexing', in M. W. Bauer and G. Gaskell (eds), *Qualitative Researching with Text, Image and Sound*, pp. 282–98, London: SAGE Publications.

Mason, J. (2002) *Qualitative Researching*, London: SAGE Publications.

Merriam, S. B. (1988) *Case Study Research in Education: A Qualitative Approach*, San Francisco CA: Jossey-Bass.

Seale, C. (1999) 'Quality in qualitative research', *Qualitative Inquiry* 5 (4): 465–78.

Yin, R. K. (2003) *Case Study Research: Design and Methods*, 3rd edn, Thousand Oaks CA: SAGE Publications.

تعقيب على الأنشطة

تعقيب على النشاط ٧-١ ترميز بياناتك

تجدر الإشارة إلى أنه لا توجد إجابة صواب أو خطأ. يمكنك اقتراح "زي ممزق"، أو "يبدو الأطفال فقراء بشكل واضح"، أو "فقر". هذه الرموز الثلاثة صحيحة، استنادًا إلى مجموعة البيانات. إذا كان الفقر هو الموضوع السائد الموصوف بعدة طرائق مختلفة، فمن المرجح أن تكون كلمة "الفقر" رمزًا عامًا للغاية. وسيكون لديك ببساطة الكثير من البيانات المجمعة معًا تحت رمز الفقر. وبالمثل، إذا تحدث الأطفال عن بعض الطرائق المختلفة التي يبدون بها فقراء (على سبيل المثال، المشي إلى المدرسة حفاة القدمين، أو عدم القدرة على قص الشعر)، فحينئذ ربما يكون رمز "يبدو الأطفال فقراء بشكل واضح" عامًا جدًا أيضًا، ويصبح الرمز "الزي الممزق" هو الرمز الأكثر ملاءمة كموضوع أساسي. من الصعب معرفة ما إذا كانت تسمية الرمز عامة جدًا أم محددة للغاية أم مثالية، حتى يتم ترميز كل شيء - مما يبرز الحاجة إلى تنقيح رموزك باستمرار.

الفصل الثامن

كتابة تقرير البحث

الخلاصة

يسلط هذا الفصل الضوء على الشواغل الرئيسية المتعلقة بكتابة بحث في مجال التنمية لجمهور متنوع، ويقدّم نصائح عملية لكتابته. يعد تقرير البحث المخرج الأكثر شيوعًا للأبحاث في مجال التنمية. ويتمثل الشاغل الرئيسي لهذا الفصل في تحديد هيكل تقرير البحث وتوضيح المواد التي ينبغي التطرق إليها في كل قسم. كما تتم مناقشة الكتابة للجمهور ولمراجعة الأقران. بالنسبة للجماهير المجتمعية والعامة وصناع السياسات، يقترح الفصل أنه من المفيد استخدام النصوص الموجزة وبذل مزيد من الجهود الحثيثة للنشر عبر وسائل مثل الفيديو أو ورش العمل. عند الكتابة للمجلات العلمية المحكمة أو لغيرها من المنتديات الأكاديمية من قبيل المؤتمرات، فإن "الإسهام في إثراء الأدبيات" يأتي في مقدمة الاهتمامات، لذا نقدم إرشادات حول كيفية تحديد ذلك.

الكلمات المفتاحية: البحث النوعي، تقرير، ملخص تنفيذي، مقالة علمية محكمة، الكتابة

أهداف التعلُّم

بعد قراءة هذا الفصل، ستصبح قادرًا على:

- التمييز بين أنواع مختلفة من مخرجات البحث وجماهيره وخصائصه،
- إعداد تقرير البحث،
- التأكد من أن كل قسم من تقرير البحث يغطي الأساسيات،
- تقديم استنتاجات البحث النوعي.

المصطلحات الرئيسية (التعريفات)

- *الملخص التنفيذي:* العرض الموجز "لمشروع بحثي"، والذي ينقل الرسائل المهمة، في نص قصير يمكن الوصول إليه.
- تقرير البحث: العرض الكامل للبحث الذي تم إجراؤه، ويضم أقسام المقدمة والطرائق والاستنتاجات والقيود والتوصيات.
- مراجعة الأقران: العملية التي يتم من خلالها فحص جودة المقالات الأكاديمية من قبل خبراء في هذا المجال، وبالتالي زيادة مصداقية البحث.
- النشر: الإعلان عن استنتاجات البحث من خلال مجموعة متنوعة من الوسائل ومنها الكتابات والفيديو والأنشطة التشاركية.

مقدمة

عادة ما يتم كتابة أبحاث التنمية التطبيقية على هيئة تقرير. يشرح هذا التقرير الأساس المنطقي والطرائق التي استند إليها البحث، ويوضح استنتاجات البحث بالتفصيل، ويصل في النهاية إلى الخلاصة ومجموعة من التوصيات التي تستهدف عادة السياسة والممارسة. يقدم التقرير معرفة جديدة عن البيئة والمشاريع والمجتمعات والأشخاص الذين تمت دراستهم. إضافة إلى ذلك، يَعْرِضُ التقرير الرسائل الرئيسية على هيئة استنتاجات وتوصيات.

في حين أن التقرير غالبًا ما يكون الوسيلة الأساسية لنشر أبحاث التنمية، غالبًا ما يأسف الباحثون على ظاهرة صناديق التقارير غير المقروءة التي يَعلوها الكثير من الغبار في زاوية ما من زوايا مكاتب المنظمات غير الحكومية. وفي كثير من الأحيان، يُنصح باتباع إستراتيجيات النشر الأخرى. فمن غير المرجح أن يكون إرسال تقرير مكون من ٤٠ صفحة إلى صانع سياسة أو ناشط مجتمعي هو الطريقة الأكثر فعالية لتوضيح استنتاجات البحث! يعمل صانعو السياسات باستخدام "أبحاث ملخصة" قصيرة جدًا. ونادرًا ما يهتم العاملون في الخطوط الأمامية وأفراد المجتمع بقراءة الأبحاث كمجموعة مجردة من الاستنتاجات، لكنهم يهتمون بالاستنتاجات التي لها أهمية وانعكاسات على حياتهم وعملهم. يكون لمقالات المجلات العلمية المحكمة والمجلات العلمية الأخرى مجموعة كبيرة من المتطلبات الرسمية التي تخص المؤلفين وهيكل التقرير ومكوناته. باختصار، إن النقطة الأهم عند كتابة بحث هي التفكير في جمهورك وتكييف كتابتك وإستراتيجيات النشر مع احتياجاته (Cornish and Honeywell, 2015 وNutley et al., 2002). يقارن الجدول ٨-١ الخصائص المهمة لأنواع مختلفة من مخرجات البحث.

هيكل تقرير بحث في مجال التنمية

إن "التقرير" هو الشكل الأساسي الذي من المحتمل أن تعتمده لكتابة بحثك. ويعد تنسيقًا مهمًا، حيث يحتوي على مساحة كافية تسمح لك بتوثيق البحث، الذي يدعم الخلاصات التي توصلت إليها، بشكل مناسب. وعلى الرغم من أن المدونات أو الأبحاث الموجزة أو أنشطة ورش العمل ربما تمثل "نواتج عرضية" تستخلص الرسائل الرئيسية أو تحدد الجوانب المثيرة التي تستحق مزيدًا من المناقشة، إلا أنها لا توفر المساحة أو التنسيق المناسب لتقديم أدلة تؤيد مزاعمك. إن عملية إجراء التحليل والتأكد من أن لديك اقتباسات وأمثلة تدعم مزاعمك وكتابة التقرير تساهم في عملية التفكير التي تسمح لك بإنشاء مفاهيم جديدة و"رسائل مستخلَصَة"، هادفة وذات مغزى، من البحث. بعبارة أخرى، يتم الكثير من التفكير في البحث أثناء عملية كتابة تقرير جيد.

يركز هذا القسم على هيكل تقرير بحث في مجال التنمية وما يجب تناوله في كل قسم لضمان احتوائه على جميع المكونات الأساسية. وبالرغم من أن كل تقرير، بالطبع، يبدو مختلفًا وله عناوين وعناوين فرعية مختلفة، إلا أن هناك بعض التوقعات المعيارية لما يجب تضمينه. تمثل هذه المعايير محور التركيز هنا. يلخص الجدول ٨-٢ أقسام التقرير البحثي في مجال التنمية والمكونات الأساسية لكل قسم. نتناول فيما يلي كل قسم بمزيد من التفصيل.

الجدول ٨-١ مقارنة بين أنواع مُخرَجات البحث المختلفة

نوع المُخرج	الجمهور	الأغراض	السمات الرئيسية
تقرير البحث	الزملاء الممارسون في المنظمات غير الحكومية الأخرى الجهات المانحة صانعو السياسات	• التخطيط • التعلم • التقييم • المساءلة	• وضوح الطرائق والاستنتاجات • تقديم التوصيات
مقالات المجلات العلمية المحكمة	الأكاديميون صانعو السياسات العاملون في مجال التنمية	• للإسهام في إثراء الأدبيات البحثية • لإثبات مصداقية البحث أو التدخل	• التعامل مع الأدبيات والنظرية الحالية • تقديم حجة صريحة فيما يتعلق بالأدبيات البحثية • الصرامة المنهجية مهمة
ملخص السياسات	صانعو السياسات	• لإعلام صانعي السياسات • للتأثير على السياسة	• موجز (١-٢ صفحة) • رسائل مُستَخلَصَة واضحة
المدونة	العاملون في مجال التنمية من العامة	• قيادة الفكر • بناء الشبكات والعلاقات	• يمكن الوصول إليها ومثيرة للاهتمام • حسنة التوقيت • تقدم رأيًا
النشر في المجتمعات	المجتمعات المتأثرة	• للحصول على تعقيب حول صلاحية الاستنتاجات • لتقديم التعقيب للمجتمع • المشاركة • المساءلة	• النشاط والمشاركة (مثل ورش العمل والتدريبات) • التركيز على احتياجات المجتمع واهتماماته

الملخص التنفيذي

يعد الملخص التنفيذي أهم قسم في التقرير بأكمله. لا يجد الكثير من القراء وقتًا لقراءة التقرير بأكمله، لكنهم يرغبون في معرفة محتواه. لذا يوفر لك الملخص التنفيذي فرصة للتعبير، بسرعة وإيجاز، عن أهم "الرسائل المُستَخلَصَة" التي تقدمها لجمهورك. وبعبارة أخرى، يجب أن يحتوي على جوهر التقرير. مما يعني أنك بحاجة إلى أن ترى "الصورة الكبيرة" لبحثك، بحيث يكون للملخص التنفيذي اتجاه وسرد واضح، بدلاً من قائمة من الاستنتاجات التي قد تكون مثيرة للاهتمام بشكل فردي ولكنها منفصلة عن بعضها البعض. لقد تم إجراء البحث بشكل هادف للإجابة عن بعض أسئلة البحث ولإلقاء الضوء على مشكلة أو تدخل إنساني أو إنمائي معين. يعكس الملخص التنفيذي تلك الأغراض، بحيث يكتسب القارئ فهمًا جديدًا للأمور المتعلقة بهذه المشكلات، ويعي "الرسائل المُستَخلَصَة" بوضوح.

يجب أن يكون الملخص التنفيذي قائمًا بذاته، حتى يتمكن القارئ من فهمه دون الحاجة إلى قراءة التقرير الكامل. ويوضح النقاط الرئيسية في كل قسم من التقرير، ولكن دون استخدام العناوين الفرعية. مما يعني أنه يجب أن يشرح سبب إجراء البحث ويذكر الطرائق المستخدمة لتحديد السياق.

الجدول ٨-٢ كيفية هيكلة تقرير بحث التنمية

عنوان القسم	الغرض	ما يجب تضمينه؟
الملخص التنفيذي	• توضيح جوهر التقرير للقارئ في وقت قليل، في أقل من صفحتين تتضمن كل منهما فقرات قصيرة جدًا • أن يُقرأ كجزء قائم بذاته • أن يكون مركزًا جدًا على "الرسائل المُستَخلَصَة"	• سبب إجراء البحث • الطرائق المستخدمة • الاستنتاجات الرئيسية • الخلاصات • التوصيات
مقدمة	• لشرح الغرض من الدراسة • لتحديد السياق	• "نظرتك التحليلية" • الغرض من الدراسة • السياق • المعلومات المعروفة بالفعل • الثغرات أو أوجه القصور التي تعتري الأدبيات • الأهداف أو أسئلة البحث
الطرائق	• لتوثيق الطرائق التي اعتمدت عليها مزاعم البحث، والتي تشمل: • جمع البيانات	• تصميم البحث • أخلاقيات البحث • تحديد واختيار المواقع • العينة والتعيين • الأدوات أو الوسائل • الإجراء
	• تحليل البيانات	• نوع التحليل • عملية التحليل
الاستنتاجات	• لتحديد تحليلك للاستنتاجات الرئيسية • لتقديم دليل على هذا التحليل باستخدام أمثلة من البيانات الأساسية	• عناوين فرعية لتنظيم الاستنتاجات في أجزاء مختلفة • بيانات تحليلية بشأن ما توصل إليه البحث • أدلة مستمدة من البيانات الأساسية
المناقشة والخلاصة	• لتحديد الإجابة عن سؤال "وماذا بعد؟"	• ملخص الاستنتاجات الرئيسية • مناقشة الاستنتاجات فيما يتعلق بالأدبيات (هل تدعم أم تتعارض مع الأدلة الحالية أم تستند إليها؟) • تعليق على أهمية و/أو انعكاسات الاستنتاجات ("وماذا بعد؟" بالنسبة للسياسة والممارسة) • القيود والانعكاسية • التوصيات (للسياسة والممارسة)
الملحقات أو المرفقات	• لتوثيق التفاصيل المهمة التي لا تتناسب مع تدفق النص • للتحلي بالشفافية	• أي معلومات مفيدة تتعلق بإجراء البحث • نسخ من أداة البحث • مزيد من التفاصيل عن العينة • إطار الترميز الكامل

ثم تخصص أكبر مساحة للاستنتاجات الرئيسية. في الملخص التنفيذي، يتم تقديم الاستنتاجات بدون أمثلة أو أدلة (على عكس ما هو موجود في متن التقرير). وفي نهايته، يتم عرض الاستنتاجات والتوصيات.

يتميز الملخص التنفيذي بأسلوب مباشرٍ ومختصرٍ. يجب أن يتكون من حوالي صفحتين، وأن يكون منظمًا في فقرات موجزة جدًا (ربما جملتان في كل فقرة) و/أو نقاط لتسهيل البحث فيه.

قائمة المراجعة: الملخص التنفيذي

- لا يزيد عن ٣ صفحات.
- يتكون من فقرات قصيرة (لا تزيد عن ٣-٥ أسطر).
- يبدأ فقرة جديدة لكل نقطة جديدة.
- مستند قائم بذاته.
- لا يقدم سوى النقاط الأساسية للبحث.
- يختتم بتوصيات واضحة و/أو "رسائل مُستَخلَصَة".

بعد التأكيد على أهمية الملخص التنفيذي، من المهم أيضًا أن نفهم أنه لا يمكن كتابة ملخص تنفيذي جيد دون كتابة تقرير قوي أولاً. يجب أن يعكس الملخص التنفيذي المشاركة الأساسية لمجموعة كبيرة من البيانات التجريبية - بحيث تكون هناك استنتاجات جديدة للإبلاغ عنها. كما يجب أن يعكس التفكير التحليلي العميق بشأن الاستنتاجات، والذي أدى بالمؤلفين إلى تقديم توصيات جوهرية وقابلة للتنفيذ. تتطلب كتابة التقرير الكامل إيجاد اللغة المناسبة لأهدافنا ومساهماتنا. إنه يجبرنا على ذكر الاستنتاجات التي توصلنا إليها بطريقة يمكننا إثباتها بالبيانات وتشكل سردًا ذا مغزى ردًا على أسئلة البحث.

نَخْلُصُ من خلال ما سبق إلى أن الملخص التنفيذي يُعدُّ آخر قسم يجب كتابته، لكن لا ينبغي التسرع فيه. يجب كتابته في نهاية عملية الكتابة بحيث يمكنه أن يعكس عملية التفكير التي تطلبها الأمر لإنتاج التقرير الكامل. ولكن يكمن خطر ترك كتابته حتى النهاية في أنه غالبًا ما يتم التعجل فيه للوفاء بالموعد النهائي. وتذكر أن الملخص التنفيذي هو الجزء الذي من المُرجح جدًا أن يقرأه القراء، لا سيما الأشخاص رفيعو المستوى الذين يتمتعون بسلطة اتخاذ القرار. لذلك، يجب أن يكون منظمًا جيدًا ودقيقًا ومكتوبًا بوضوح. وأخيرًا، يجب أن يسلط الضوء على أهم نقاط التقرير، بما في ذلك الاستنتاجات الرئيسية والتوصيات.

مقدمة

تهيئ المقدمة المشهد لدراستك. فبمجرد أن ينتهي القارئ من المقدمة، يجب أن يكون قد فهم الغرض من الدراسة وسبب إجرائها. قد تستخدم المقدمة عناوين فرعية، وحتى لو لم تستخدمها، فمن المفيد التفكير فيما يتناوله التقرير: "النظرة التحليلية"، والغرض من الدراسة، والسياق، والمعلومات المعروفة بالفعل والثغرات المعرفية، وأسئلة البحث.

النشاط ٨-١ كتابة ملخص تنفيذي

تقدم جيجيبوي (Jejeebhoy) وزملاؤها (٢٠١٣) تقريرًا مدروسًا ومكتوبًا جيدًا جدًا عن الأعراف والتجارب المتعلقة بالعنف القائم على النوع الاجتماعي في الهند، وهو متاح هنا:
<http://r4d.dfid.gov.uk/pdf/outputs/ORIE/Qualitative_report_Formative_Study_VAWG_ Bihar_DFID_India.pdf> [تم الوصول إليه في ٢٤ يوليو ٢٠١٥].

هذا التقرير الممتاز لا يتضمن ملخصًا تنفيذيًا. لذا، المطلوب منك كتابة ملخصٍ تنفيذي لهذا التقرير.

لن يتضمن الملخص التنفيذي عناوين فرعية، ولكن يمكنك الاسترشاد بالهيكل الموضح أدناه لضمان انسيابية الأفكار المطروحة في الملخص:

- سياق العنف القائم على النوع الاجتماعي في الهند (فقرة أو فقرتان)،
- أهداف أو غرض الدراسة (فقرة واحدة)،
- الطرائق المستخدمة (فقرة واحدة)،
- الاستنتاجات الرئيسية (عدة فقرات موجزة، فقرة لكل استنتاج رئيسي)،
- التوصيات (نقطة أو فقرة منفصلة لكل توصية).

التعقيبات متاحة في نهاية الفصل.

لتوجيه القارئ، من المهم أن تشير في بداية المقدمة إلى "نظرتك التحليلية" (انظر الفصل السابع). ما محور دراستك؟ هل هي دراسة عن المعرفة المحلية المتعلقة بموضوع معين؟ أم دراسة جدوى محلية لبرنامج معين؟ ربما تكون تقييمًا يبحث في سبل نجاح البرنامج أو فشله. أيًا كانت "نظرتك التحليلية"، فهي جزء مهم من سياق الدراسة، ويجب ذكرها بوضوح منذ البداية.

إن الغرض من الدراسة هو سبب حاجتك إلى إجرائها. اشرح المشكلة الإنمائية التي نحن بصددها، والسبب الذي يجعل البحث الأولي مفيدًا لإلقاء ضوء جديد على هذه المشكلة.

إن تحديد السياق يعني منح القارئ معلومات كافية عن بيئة البحث لتمكينه من فهمه. ويجب أن يتضمن معلومات أساسية حول البلد أو السياق، وإحصاءات أساسية عن المشكلة داخل البلد أو السياق (على سبيل المثال، المعلومات المعروفة عن معدلات العنف القائم على النوع الاجتماعي، أو الحالة التغذوية، أو حضور الفتيات إلى المدرسة، أو أيًا كانت الأبعاد الرئيسية للقضية المطروحة).

يتم تلخيص المعلومات المعروفة من خلال مراجعة الأدبيات. فقبل إجراء بحث أولي جديد، من المهم معرفة ما تم بحثه ودراسته وتوثيقه بالفعل بشأن الموضوع قيد البحث. ستساعد المراجعة المختصرة للأدبيات، التي لها أهداف متشابهة، في تحديد السياق، وستمكنك أيضًا من توضيح أو تبرير الحاجة إلى هذا البحث الذي تقدمه.

بناءً على مراجعة الأدبيات - وخاصة بعد تحديد ما تمت دراسته بالفعل في مجال موضوعك والثغرات الموجودة في قاعدة الأدلة - يمكنك الإدلاء ببيان حول المجال المعين أو المكانة التي يمكن لدراستك أن تحتلها.

أخيرًا، يحتاج كل تقرير إلى بيان بأهداف البحث؛ غالبًا ما يرتبط هذا بأسئلة البحث الأصلية. فأسئلة البحث هي التي تربط بين اهتماماتك البحثية والبحث الذي تقوم به، وبالتالي تلعب دورًا مهمًا في تحديد المنطق الذي يستند إليه التقرير. إنها تعكس نظرتك التحليلية وتحدد تلك النظرة من خلال تحويلها إلى مجموعة من الأسئلة التي يمكنك الإجابة عنها من خلال جمع البيانات وتحليلها. وتجدر الإشارة إلى أن الصياغة الصحيحة تُعَدُّ أمرًا هامًا. (انظر الفصل الثاني للاطلاع على مزيد من المناقشات حول أهداف البحث). بعد تحديد المشكلة الإنمائية التي سيتم تناولها، وكذلك الثغرات في الأدبيات، يجب أن تظهر أهداف وأسئلة بحثك كاستجابة مناسبة لتلك المشكلات والفجوات. كما أنها تفتح الباب لمناقشة الطرائق، إذ أن هذه الطرائق هي الوسيلة التي تُمكِّنُ دراستك من تقديم إجابات عن أسئلة البحث.

الطرائق

غالبًا ما يحظى قسم الطرائق باهتمام ضئيل نسبيًا في تقارير التنمية، حيث تُعتبر الاستنتاجات أكثر أهمية وإثارة للاهتمام من الطرائق التي تم اعتمادها للوصول إلى هذه الاستنتاجات. ولا يتمتع المؤلفون، والقراء بالطبع، بالصبر اللازم للدخول إلى صلب الموضوع والاطلاع على جوهر التقرير، وبالتالي، غالبًا ما يمنحون أقل مساحة للطرائق ولا يتطرقون لها بالتفصيل على غرار باقي الأقسام. وفي بعض الأحيان تتم مناقشة الطرائق كجزء من المقدمة.

بشكل عام، لتعزيز جودة بحث في مجال التنمية، نوصي بوصف الطرائق بتفاصيل كافية حتى يفهم القارئ ما فعلته بالضبط أثناء إجراء البحث. كما يعد توثيق المنهجية أمرًا هامًا حتى يسمح بتكرار الدراسة أو إجراء دراسة مماثلة لاحقًا باتباع نفس التصميم والإجراءات. بالإضافة إلى ذلك، يعمل قسم الطرائق المُفصل على تمكين القارئ من تكوين وجهة نظره الخاصة حول مدى دقة دراستك وقدرتها على الإقناع وقابليتها للتعميم، وبالتالي مقدار الأهمية التي يجب إعطاؤها للاستنتاجات والتفسير. بالطبع، باعتبار كل ما قلناه عن التركيز على جمهورك، يجب عليك كتابة تقاريرك وفقًا لتوقعات جمهورك، وعدم إغراقهم بالتفاصيل المنهجية من أجل الدقة العلمية. لذا، نودُّ التأكيد على أن ما يَهُمُّ هو اتباع المعتاد في مجالك، لضمان حصول القراء على ما يتوقعونه.

من الناحية المثالية، لتقديم عرض شامل للطرائق المستخدمة، قد يتضمن قسم الطرائق بالتقرير تفاصيل حول المواضيع التالية، وهي المواضيع نفسها التي يجب أن يتضمنها قسم الطرائق في أي مقال يتم إعداده لمجلة أكاديمية أو مجلة علمية محكمة.

تصميم البحث: بالإضافة إلى تحديد أنك أجريت دراسة نوعية، يجب أيضًا تحديد نوع الدراسة، التي أنت بصدد كتابة تقرير بشأنها، وشرحها بإيجاز. هل هي دراسة مقابلة؟ أم دراسة صور تشاركية؟ هل هي جزء من بحث تشاركي؟ هل هي دراسة حالة تدخل؟ تقييم تكوينيّ؟ دراسة استكشافية؟ هناك حاجة لبضع جمل لتحديد نوع الدراسة وتوضيحها، حيث لن يكون كل القراء على دراية باللغة المنهجية التي تستخدمها.

أخلاقيات البحث: يجب أن يتبع البحث مبادئ أخلاقيات البحث الراسخة، والتي يجب توثيقها في التقرير. ويجب أن يوضح هذا القسم المبادئ الأخلاقية التي تم اتباعها وما إذا تمت الموافقة على البحث من قبل لجنة أخلاقيات البحث المستقلة أم لا. ويجب أن يناقش أي جوانب يحتمل أن تكون صعبة أو مثيرة للجدل من الناحية الأخلاقية في الدراسة، بالإضافة إلى الضمانات المستخدمة للتأكد من أن الدراسة كانت أخلاقية. إذا كان البحث يتضمن أطفالًا، فمن المهم بشكل خاص تحديد سياسات وممارسات حماية الطفل التي تم اتباعها. ويجب مناقشة أي مخاطر تضر بالمشاركين بعناية. عادة، يجب سرد العمليات المستخدمة لضمان الحصول على الموافقة المستنيرة بشكل مفصل، وكذلك سُبُل ضمان السرية.

اختيار الموقع: يعد اختيار موقع جغرافي، مثل قرية أو مستوطنة غير رسمية أو منطقة، أو مؤسسة، مثل مدرسة أو منظمة غير حكومية أو مخيم للاجئين، قرارًا منهجيًا رئيسيًا. لذا من المهم توثيق كيف ولماذا اخترت الموقع المحدد لتعيين المشاركين في البحث. يجب عليك تضمين بعض التفاصيل الأساسية للموقع، ويجب التعليق حول إلى أي مدى قد يكون نموذجيًا أو فريدًا، أو مقارنته بالمواقع الأخرى في البلد.

العينة والتعيين: عليك أولاً تضييق نطاق اختيار الموقع، ثم اختيار العينة (انظر الفصل الثاني). لذا يعد تعريفك للمجموعة المستهدفة أمرًا مهمًا. من المؤهل للمشاركة في دراستك؟ هل قسمت عينتك إلى مجموعات مختلفة (مثل الذكور/الإناث، أو مستخدمي الخدمة/مقدمي الخدمة)؟ التعيين هو العملية التي يمكنك من خلالها الوصول عمليًا إلى الموقع وتحديد المشاركين المحتملين في البحث وإبلاغهم بالبحث ودعوتهم للمشاركة. على سبيل المثال، يمكنك تعيين مشاركين في البحث من خلال "أصحاب النفوذ"، وهم مجموعات من الناس (من قبيل قادة المجتمع أو مديري العيادات الصحية أو الأخصائيين الاجتماعيين داخل منظمة) يتوسطون في الاتصال بين الباحث والمشاركين في البحث. يجب أيضًا توثيق هذه العملية، بالإضافة إلى التحديات التي واجهتك للوصول إلى الموقع وتعيين المشاركين في البحث.

أدوات جمع البيانات: كيف بدأت في جمع البيانات؟ ما الأدوات التي ساعدت في جمع البيانات؟ هل استخدمت دليل موضوع، وإذا كان الأمر كذلك، فما المجالات الرئيسية التي تم تناولها؟ كيف وجهت ملاحظاتك؟ إذا كانت الدراسة تشاركية، فما البيانات التي حصلت عليها وكيف سجلت هذه البيانات؟ يجب أن يقدم هذا القسم أيضًا تفاصيل حول من أدار أدوات جمع البيانات، مع إيلاء اهتمام خاص لخلفيتهم وخبراتهم. من المرجح أن يَحصُلَ الباحث المحلي الذي يتحدث اللغة المحلية على ردود مختلفة من المشاركين مقارنةً بتلك التي يحصل عليها الباحث الخارجي الذي يتواصل مع المشاركين من خلال مترجم فوري.

الإجراء: ما العملية التي أجراها المشاركون في البحث والتي استخدمتها لجمع البيانات؟ على سبيل المثال، إذا استخدمت دراسة مقابلة، فأين أجريت المقابلات، وما مقدار الوقت الذي استغرقته؟ هل تم منح المشاركين مكافأة، أيًا كان نوعها، كتعويض عن مشاركتهم؟ إذا استخدمت دراسة الصور التشاركية، فما التعليمات التي أُعطيت للمشاركين؟

تحليل البيانات: يشرح هذا القسم كيف انتقلت من مئات الصفحات من التفريغات الصوتية أو عشرات الصور والمقالات إلى العناوين الفرعية النهائية والمواضيع والتحليلات التي تم تناولها في الصفحات التالية. يجب أن يحدد هذا القسم نوع التحليل الذي تم إجراؤه ويشرح الخطوات الرئيسية المتخذة لإجراء هذا التحليل. هل قمت، على سبيل المثال، بإجراء تحليل مواضيعي أو تحليل دراسة حالة، على النحو الموضَّح بالتفصيل في الفصل السابع؟ يتطلَّبُ الأمرُ إقناع القارئ بأنه تم تطبيق عملية منهجية على مجموعة البيانات ككل، بحيث تتكشَّف المواضيع والمزاعم الرئيسية من المشاركة المستمرة في تحليل مجموعة البيانات وليست مجرد نظرة شخصية وانطباعية لما يمكن أن يكون قد شوهد في البيانات.

الاستنتاجات

يعتبر هذا القسم هو الجزء الرئيسي من التقرير، لذا سيكون أطول قسم فيه. ويقدم نتائج تحليل البيانات بطريقة تجيب عن أسئلة البحث.

في الدراسات الكمية، غالبًا ما يكون قسم النتائج (الاستنتاجات) موجزًا نسبيًا، ويكون قسم مناقشة الاستنتاجات وتفسيرها هو الأطول. أما في الدراسات النوعية، فغالبًا ما يكون قسم الاستنتاجات هو أطول قسم في التقرير. يمكن تلخيص الاستنتاجات النوعية، لكن الملخص لا يكفي في حد ذاته. نظرًا لأن البحث النوعي يهدف إلى نقل ماهية بيئة أو تدخل أو مشكلة اجتماعية معينة، بكل تنوعها وتعقيدها، فمن الضروري إتاحة مساحة كافية لعرض وتوضيح الصورة الكاملة.

هيكلة قسم الاستنتاجات: سيحتاج قسم الاستنتاجات إلى تقسيمه إلى فصول أو أقسام فرعية لإعطاء إحساس بوجود تسلسل منطقي. قد يكون من المفيد العودة إلى أسئلة البحث في بداية قسم الاستنتاجات، وتنظيم الاستنتاجات حتى تجيب عن أسئلة البحث. قدّم قسم الاستنتاجات ببيان حول هيكله، بحيث يفهم القارئ هيكله وما يمكن توقعه من كل قسم. تمت مناقشة كيفية تقديم تحليلك في الفصل السابع، يُظهر المربع ٧-١ مثالاً على كيفية هيكلة قسم الاستنتاجات.

يقوم المؤلِّف بصياغة وتناول موضوع كل عنوان فرعي بعباراته الخاصة. على سبيل المثال، في دراسة أجرتها منظمة "أنقذوا الأطفال" عام ٢٠١١ لتقدير الاحتياجات النفسية للأطفال في أعقاب الفيضانات التي اجتاحت باكستان، نظم المؤلفون استنتاجاتهم النوعية حسب أنواع الضغوط المحددة في البيانات. وحدد تحليلهم للبيانات الناتجة عن الملاحظة والمقابلة: ضغوط نفسية وفسيولوجية (مثل، خرير المياه المزعج)، وضغوط معلوماتية (مثل، إلى أين أذهب)، وضغوط عاطفية (مثل، الخوف من الموت)، وضغوط اجتماعية (مثل، فقدان الأصدقاء). تُستخدم هذه الأنواع المختلفة من عوامل الضغط كعناوين فرعية لتنظيم عرض الاستنتاجات النوعية.

في دراسة عن وصم ودعم المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز في الخرطوم، ذكرت منظمة المعونة المسيحية (Christian Aid) (٢٠٠٨) استنتاجاتها المتعلقة بأشكال الوصم في ست فئات رئيسية: الوصم داخل الأسر، والوصم الذاتي، والوصم داخل المجتمع، والوصم والجماعات الدينية، الوصم في مكان العمل، والوصم في وسائل الإعلام. وتحدث قسم لاحق عن أثر هذا الوصم، وقسمه إلى أربعة عناوين فرعية:

الأثر النفسي والاجتماعي، والنوع الاجتماعي وفيروس نقص المناعة البشرية ووصمة العار، والأثر الاقتصادي، والاختبار الطوعي.

تُظهر هذه الأمثلة أن هيكل قسم الاستنتاجات يمكن أن يكون بسيطًا ومباشرًا، حيث يعمل على وضع الأشياء في الفئة نفسها في القسم نفسه، ويعمل على تمييز البيانات بشكل معقول.

استخدام المواد النوعية في التقرير: يجب أن يصف النص الذي تكتبه، في الهيكل الذي اخترته، الاستنتاجات الرئيسية تحت كل عنوان، ويوضح تلك الاستنتاجات بمقتطفات من المادة النوعية. قد تكون هذه المقتطفات، على سبيل المثال، عبارة عن اقتباسات من مقابلات أو صور فوتوغرافية من مشروع صور تشاركية أو مقتطفات من بيانات الملاحظات الميدانية.

يمكن أن تؤدي المواد النوعية، عند الاستعانة بها لكتابة التقرير، مجموعة متنوعة من الأدوار:

- توفير الحقائق الرئيسية من المخبرين الرئيسيين،
- عرض صورة حيّة عن التجربة المحلية،
- إظهار وجهات نظر مختلفة،
- توضيح حجتك،
- تقديم دراسات الحالة.

يجب اختيار مقتطفات من البيانات لتمثيل المواضيع الرئيسية. فهي التي تُكمل بيان الاستنتاجات، مما يمنح القراء نظرة ثاقبة حول ما تعنيه هذه القضايا للمشاركين في البحث.

عادةً، يتم التحدث عن كل مقتطف من البيانات مع ذكر قدر ضئيل من التفاصيل عن سياق جمع البيانات (على سبيل المثال، أهم المعلومات الديموغرافية بخصوص المُجيب، مثل النوع الاجتماعي أو الفئة العمرية). وتساعد هذه التفاصيل القارئ على وضع المقتطف في سياقه.

يجب تجنب تضمين الكثير من الاقتباسات، فحديث المشاركين "لا يفسر نفسه بنفسه". لذا، يتمثل دور الباحث في إجراء التحليل: أي تقديم تفسير يتجاوز الأحاديث الفردية، لتقديم توليفة من تلك الأحاديث. والسلسلة الطويلة من الاقتباسات تكون محيرة للقارئ، الذي لا يعرف ما الذي من المفترض أن يأخذه من هذه القائمة. لذا على الكاتب أن يقدم للقارئ تحليلًا يجمع البيانات ككل، ويوضح تحليلها باقتباس أو اثنين لكل نقطة رئيسية.

يجب اختيار الاقتباسات بعناية بحيث يكون من الواضح كيف تدعم أو توضح النقطة التي من المفترض أن توضحها. يجب اختيار بداية الاقتباس ونهايته بعناية، لجعله ذي مغزى قدر الإمكان. إذا كانت البداية غامضة للغاية، فقد تكون هناك حاجة إلى بعض الكلمات التمهيدية لوضع الاقتباس في سياقه.

المناقشة والخلاصات

في قسم الخلاصات، يمكنك تجميع خيوط البحث معًا للوصول إلى "رسائلك المُستَخلَصَة". بناءً على بحثك الأولي، تصبح الآن في وضع يسمح لك بتقديم بيانك عما وجدته في الإجابة عن سؤال بحثك، وأهمية تلك الاستنتاجات والتوصيات.

المربع ٨-١ تقرير عن الاستنتاجات حول الوصمة المحيطة بالمصابين بفيروس نقص المناعة البشرية في الخرطوم

في القسم السابق، حددنا هيكل الاستنتاجات الذي استخدمته منظمة Christian Aid في تقريرها عن وصمة العار المحيطة بالأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية (PLHIV) في الخرطوم. تناول القسم الأول من الاستنتاجات "أشكال الوصم"، وكان أول شكل من أشكال هو "الوصم داخل الأسر".

فيما يلي مثال على كيفية كتابة الاستنتاجات النوعية وتوضيح هذه الاستنتاجات باقتباسات مأخوذة من تقرير منظمة Christian Aid (Christian Aid, 2008: 5).

الوصم داخل الأسر

إن الشعور بالانتماء الاجتماعي، القائم على الروابط الأسرية والمجتمعية، هو سمة واضحة للغاية في الثقافة السودانية، كما تحظى آراء وأحكام ومواقف الأقارب والأقران الاجتماعيين بأهمية استثنائية. عندما يمرض شخص ما، عادة ما تكون العائلات هي مقدم الرعاية الأول والرئيسي، حيث تقدم الرعاية والدعم المعنوي والمالي للمصابين بفيروس نقص المناعة البشرية. يلتمس أفراد الأسرة المصابون بفيروس نقص المناعة البشرية الدعم والقبول، ويبحثون عن التعاطف والتراحم من أسرهم أولاً.

"أخبرت عائلتي بالنتيجة، وأنني مصابة بفيروس نقص المناعة البشرية ... لقد عاملوني جيدًا جدًا ... واعتنوا بي ... ووقفوا بجانبي وتعاطفوا معي ... ما من مشكلة".

المصابة (رقم ١٨) بفيروس نقص المناعة البشرية، ٤٨ سنة

ولكن، مع الأسف، لا تستجيب جميع العائلات بشكل إيجابي. وغالبًا ما يتعرض الأشخاص المصابون بفيروس نقص المناعة البشرية للوصم ويعانون من الرفض داخل منازلهم. وحسب ما ورد في هذا التقرير، فقد تعرض أكثر من ثلثي المصابين بفيروس نقص المناعة البشرية الذين تمت مقابلتهم للتمييز والوصم والإدانة والعزل من أفراد الأسرة المقربين. فغالبًا ما تدير العائلات ظهورها لمن يتم تشخيصه بالإصابة بفيروس نقص المناعة البشرية، كما يصف أحد المشاركين:

"أنا موصوم ... أنا غير مرئي الآن ... تخلت عائلتي عني وتركتني هنا وحدي ... أنا حقًا ... حقًا لا أعرف ماذا أفعل ... حقًا ... ما الجريمة التي ارتكبتها؟ لا أحد يأتي لزيارتي ... لقد نسوا أنني موجود ... أخوتي يلومونني دائمًا ... ويعتقدون أنني سيئ ... قالوا إنني عار على الأسرة بأكملها".

المصاب (رقم ٣٨) بفيروس نقص المناعة البشرية، ٣٧ سنة

إن التصورات الخاطئة حول انتقال فيروس نقص المناعة البشرية والخوف من الإصابة به تزيد من الفصل والرفض والمضايقات التي أدت بالعديد من الأشخاص، الذين تمت مقابلتهم في هذه الدراسة، إلى قطع أي اتصال مع عائلاتهم تمامًا:

"جميعهم [جميع أفراد الأسرة] لا يقبلونني ... إنهم حتى ليسوا على دراية بالمرض ... يعتقدون أنه يمكن أن ينتقل بطرائق أخرى ... أعني بالاجتماعات ... الحديث ... وأشياء من هذا القبيل ... لم أعد أعيش معهم بعد الآن ..."

المصاب (رقم ٣٠) بفيروس نقص المناعة البشرية، ٤٣ سنة

الملخص والأهمية: الخطوة الأولى، خاصةً إذا كان قسم الاستنتاجات طويلاً، هي تلخيص الاستنتاجات الرئيسية كما تراها. ما الردود المُقدمة على أسئلة بحثك؟

بالإضافة إلى ذلك، يمكنك التعليق على أهمية هذه الاستنتاجات. لمَ تُعَدُّ هذه الاستنتاجات مهمة؟ وما الضوء الجديد الذي سلَّطته على مشكلة التنمية موضوع الدراسة للفت الانتباه إليها مُجددًا؟ قم بالإحالة إلى الأدبيات عن طريق طرح السؤال التالي: ما الطرائق التي تدعم بها هذه الاستنتاجات التي أبلغ عنها باحثون آخرون أو تتعارض معها أو تبني عليها؟

القيود: كما هو الحال مع قسم الطرائق، لا يتم دائمًا إعطاء الأولوية لمناقشات القيود في تقارير أبحاث التنمية. لا يحب أي كاتب أن يضعف أعماله أو يلفت الانتباه إلى عيوبها. لكن لكل طريقة نقاط قوة ونقاط ضعف وتخضع كل دراسة لبعض القيود التي من شأنها أن تَحُدَّ الخلاصات التي يمكن أن تدعمها. عند ذكر القيود، أنت لا ترغب في تقويض دراستك تمامًا، ولكن لتظهر أنك على وعي بنقاط القوة والضعف هذه.

ومع ذلك، تعد مناقشة القيود أمرًا مهمًا لتحديد الدقة العلمية للتقرير، كما هو الحال أيضًا في قسم الطرائق. فمناقشة القيود تساعد القارئ على تحديد درجة تعميم الدراسة وقابليتها للتطبيق. إنها تساعد القارئ على إدراك الفجوات أو العثرات المحتملة. يمكن أن تكون مناقشة الانعكاسية مفيدة في هذا القسم (انظر الفصل الثاني). تشير الانعكاسية إلى قيام الباحث بتوثيق أفكاره الخاصة حول وضعه الخاص (النوع الاجتماعي، والدور، وكيف ينظر المجتمع إلى البحث، وما إلى ذلك) وإجراؤه للبحث (على سبيل المثال، كيفية تأمين الوصول، وتصوراته المسبقة) والتي ربما أثرت في مسار هذا البحث. من المهم إظهار الوعي النقدي بنقاط القوة والقيود وإمكانية تطبيق الدراسة.

بالإضافة إلى مناقشة القيود، يمكن للمؤلفين أيضًا تحديد كيف سعوا للتغلب على هذه القيود أو التعويض عنها. ويمكنهم أيضًا تحديد الخيارات البديلة للبحث المستقبلي، والتي قد تتجاوز القيود الخاصة بهذه الدراسة.

يجب ألا تؤدي مناقشة القيود إلى إضعاف الدراسة بشدة. بل ينبغي أن تضع حدوداً لما يمكن استخلاصه. إذا اتبعت الإرشادات الواردة في هذا الكتاب، واتخذت قرارات عقلانية ومبررة في كل خطوة، فإن الدراسة الناتجة ستكون بالتأكيد ذات قيمة. الغرض من مناقشة القيود هو تحديد تلك القيمة، وتوخي الحذر وتجنب تقديم ادعاءات مبالغٍ فيها بشأن النتائج.

التوصيات: سيهتم قراء تقارير التنمية من صناع السياسات بالسؤال: "ما الذي ينبغي القيام به؟" يمكن تقديم التوصيات لتدخلات معينة ولسياسات معينة ولإجراء مزيد من البحث (حسب الغرض من تقريرك). وغالبًا ما يتم تقديم التوصيات في شكل نقاط.

يجب أن تستند التوصيات الواردة في التقرير بوضوح إلى استنتاجات البحث. لا ينبغي أن تكون توصيات عامة يمكن تقديمها ببساطة على أساس الحس العام الحالي، أو الأدبيات الموجودة، أو مقاربة فلسفية عامة للتنمية. بل يجب أن تكون التوصيات الواردة في تقرير البحث كلها توصيات محددة مبنية على استنتاجات البحث ومبررة بما ذكره البحث.

تعتبر التوصيات وصفات للعمل. ويجب أن تكون التوصيات موجهة إلى جمهورها، ربما أكثر حتى من التقرير نفسه. مما يعني أنها بحاجة إلى أن تتناسب الأدوات مع الإمكانات المتاحة أمام الجمهور من صانعي السياسات أو الممارسين أو الباحثين الذين يتم توجيهها إليهم. ولفهم سبل العمل المتاحة لهذه المجموعات، وبالتالي كتابة توصيات واقعية، من الجيد إجراء حوار مع ممثلي المجموعات التي ترغب في تقديم توصياتك إليها. قد يؤدي تقديم استنتاجات بحثك إلى مديري البرامج أو صانعي السياسات إلى رؤيتهم لسبل عمل لم تتوقعها أبدًا. ويجازف المؤلف بتقديم توصيات غير واقعية عند عدم قيامه بما سبق ذكره. بعبارة أخرى، يعد التشاور مع الأطراف ذات الصلة خطوة مفيدة قبل صياغة التوصيات.

الخطوة التالية لتوصياتك هي أن يأخذها مديرو البرامج في الاعتبار، عند تطوير خطة العمل. ويمثل التقرير جزءًا من دورة تطوير البرامج وتحسينها. يساعدك وضع ذلك في الاعتبار على تركيز توصياتك.

الملحق

يمثل الملحق القسم الأخير من التقرير. ولا يُعدُّ الملحق جزءًا من النص الرئيسي، ولكنه مكان لتخزين وثائق مهمة مفصلة للغاية بحيث لا تتناسب مع سلاسة النص الرئيسي للتقرير. وغالبًا ما يمكن اعتباره امتدادًا تقنيًا أو أكثر تفصيلاً لقسم الطرائق. إن أرشفة التفاصيل المنهجية الهامة في الملحق تسمح بشفافية البحث وإمكانية تكراره.

غالبًا ما تتوفر نسخ من الأدوات أو الوسائل المستخدمة لإجراء البحث في الملحق. كما سيكون من المفيد تضمن وثائق من قبيل أدلة الموضوع للمقابلات أو خطط ورش العمل للتدريبات البحثية التشاركية مثلاً. إذا تم إجراء تحليل مواضيعي، فيمكن أن يكون إطار الترميز المفصل مفيدًا هنا. وإذا كنت ترغب في تقديم مزيد من التفاصيل عن عينتك، فقد يكون الملحق هو المكان المناسب للقيام بذلك (ولكن كن حريصًا للحفاظ على السرية وعدم الكشف عن الهوية). في بعض الأحيان، يتم توثيق أمثلة على البيانات الأولية (مثل التفريغات الصوتية للمقابلات أو الصور الفوتوغرافية أو الملاحظات الميدانية) في الملحق.

الكتابة للجمهور العام

إن توصيل أبحاثك الإنمائية إلى المجتمعات المتأثرة والمشاركين في البحث وإلى الجمهور العريض من الناس يَصُبُّ في مصلحة "المساءلة التنازلية". من المعتاد أن تقدم شكلاً مناسبًا من التعقيب للأفراد أو المؤسسات ذات النفوذ المشاركة في البحث تقديراً للمساهمة التي قدموها.

إن التواصل مع الجماهير، التي تتعامل مع الأبحاث يوميًا، يتطلب الإيجاز والوضوح والمشاركة النشطة. يجب أن تكون المواد المكتوبة قصيرة (ربما صفحتين) ومكتوبة بلغة بسيطة. ربما تكون أقسام الطرائق غير مناسبة. حيث يجب أن تكون الرسائل واضحة للغاية، ويجب أن تكون أهميتها المتعلقة بالشواغل العامة واضحة. يمكن أن تكون المخططات أو الصور وسائل مساعدة بصرية مفيدة، وتكون مقاطع الفيديو وسيلة اتصال بديلة ويمكن الوصول إليها (انظر المربع ٨-٢).

بشكل عام، من المرجح أن تكون المشاركة النشطة مع المجتمعات ذات الصلة مُجدية (Cornish and Honeywell, 2015). ومن غير المحتمل أن ينتج عن توزيع المنشورات تغيير كبير في فهم الجمهور أو إجراءاته.

المربع ٨-٢ السُبُل البديلة لإطلاع الجمهور العام على الأبحاث

الفيديو

أنشأ فحص الواقع ببنغلاديش (الموصوف بمزيد من التفصيل في الفصل الرابع) مقاطع فيديو لنقل تجارب الباحثين. حيث وثقت مقاطع الفيديو البسيطة هذه ما لوحظ في بداية المشروع، وما لوحظ قرب نهايته. لقد أوضحت ما الذي تغير، وأضفت بعض الحيوية على التقارير. يمكنك مشاهدة هذه الفيديوهات من هنا: <http://reality-check-approach.com/reality-checks/bangladesh/bangladesh-reality-check-2007-2012/> [تم الوصول إليها في ٢٤ يوليو ٢٠١٥].

ورش العمل

"النشر كتدخل" وهو مقاربة حددها كامبل وآخرون (Campbell et al., 2012). فبعد أن حدد بحثهم النوعي مجموعة من العوائق التي تحول دون معالجة فيروس نقص المناعة البشرية/الإيدز، قاموا بإعداد مجموعة من ورش العمل التشاركية، المصممة ليس فقط لنشر عملهم ولكن أيضًا للتدخل من خلال بدء حوار نقدي حول المشكلة. بالنسبة لأفراد المجتمع، غالبًا ما تكون العمليات النشطة مثل ورش العمل أكثر نجاحًا من التقارير المكتوبة كوسيلة لنشر الأبحاث.

إن أكثر طرائق النشر الواعدة هي تلك التي تشرك الناس بنشاط في مناقشة القضايا، وذلك لتسهيل التوصل إلى فهم جديد للقضايا ووضع خطة عمل بناءً على ذلك. على سبيل المثال، صوَّر كل من ساندیروك وأتيلي (Sandercock and Attili, 2012) فيلمًا يوثق صراعًا مجتمعيًا، وعرضاه في أماكن مجتمعية، وبعد العروض أجريا حوارات ما بعد المشاهدة، والتي جمعت مجموعات متنوعة من الناس لمناقشة الفيلم وانعكاساته. يلجأ البعض الآخر إلى ورش العمل، التي قد تتضمن عروضًا تقديمية موجزة للاستنتاجات، كحافز للمناقشات الجماعية وتخطيط العمل (انظر المربع ٨-٢).

كتابة المنشورات العلمية المُحكَّمة

تعد المراجعة والتحكيم من قبل الأقران وسيلة لفحص جودة البحث. ونتيجة لذلك، غالبًا ما يُنظر إلى الأدبيات المنشورة في المجلات العلمية المُحكمة على أنها تمنح المصداقية لمشروع البحث، مما يشير إلى أنه أكثر جدية، وأكثر موضوعية، وجدير بالاهتمام أكثر من التقرير الذي لم يخضع لمراجعة الأقران.

عادة ما تعني مراجعة الأقران، في هذا السياق، أن اثنين على الأقل من الخبراء في هذا المجال قرءا مسودة البحث، وقدما توصية بشأن قبولها، وقدما نقدًا بناءً لتوجيه إعادة كتابة البحث قبل النشر. عادة، يتم إخفاء أسماء المؤلفين والمراجعين عن بعضهم البعض، بحيث تكون عملية مراجعة الأقران "عمياء". يتم ذلك حتى يعمل المراجعون كخبراء مستقلين. وعلى نحو متزايد، وخاصة مع النشر في المجلات الإلكترونية مفتوحة الوصول، أصبحت أسماء المؤلفين والمراجعين معروفة لبعضهم البعض. ولكن تتم عملية المراجعة على افتراض أن المراجعين سيكونون أكثر مسؤولية وبنّائين بدرجة أكبر إذا تحلوا بالمسؤولية (بحكم ظهور أسمائهم).

المربع ٨-٣ هل بحثي مناسب للنشر في المجلات العلمية المُحكمة؟

هل يحدد مساهمته وإضافاته إلى الأدبيات البحثية؟

هل استخدم الأدبيات والنظريات؟

هل تم استخدام الطرائق بدقة كافية؟

هل أظهر التحليل شيئًا مفاجئًا أو جديدًا؟

هل ناقشت الانعكاسية والقيود؟

هل أتوصل إلى خلاصة تتجاوز الدراسة المباشرة لتربطها بالأدبيات؟

تعد المجلات الأكاديمية هي الشكل الرئيسي الذي يستخدم مراجعة الأقران. تستخدم العديد من الكتب أيضًا شكلاً من أشكال مراجعة الأقران، ولكن نظرًا لأن عملياتها أقل وضوحًا من تلك المتبعة في المجلات العلمية المُحكمة، فغالبًا ما يُنظر إلى فصول الكتب على أنها أقل مصداقية من المقالات المنشورة في مثل هذه المجلات.

يقدم المربع ٨-٣ سلسلة من الأسئلة لتطرحها على نفسك بخصوص بحثك، لاختبار ما إذا كانت النسخة المنقحة مناسبة لتقديمها إلى مجلة عملية مُحكمة. يوجد معياران أساسيان لقبول المقالات المُحكمة: أولاً، أن يتم إثبات مدى إسهامها في إثراء الأدبيات، وثانيًا، أن تتبع المنهجية بكل دقة. ويرد هذا بالتفصيل في القسم التالي.

تتطلب الكتابة للنشر في المجلات العلمية المُحكمة ما تتطلبه الكتابة للمجتمعات أو صانعي السياسات بالضبط، وهو الاهتمام الشديد بالجمهور وتوقعاته وأسلوب الكتابة المفضل لديه. ويستغرق تعلم أسلوب الكتابة المناسب وقتًا. كما يستغرق تطوير المعرفة بالأدبيات وقتًا أيضًا. بالإضافة إلى أن الكتابة بالدقة والتركيز اللازمين للمقالات العلمية المُحكمة صعبة جدًا، وعادة ما يتطلب الأمر إعداد عدة مسودات قبل التوصل إلى إنتاج المسودة التي يمكن تقديمها للمراجعة. لذا، من أجل الكتابة لمراجعة الأقران، يحتاج المؤلف إلى تخصيص وقت للقيام بكل هذا. وبناءً على كل ما ذُكر، من المفيد جدًا أن يكون معك مؤلف مشارك يكتب عادة لمراجعة الأقران؛ شخص يمكنه المساعدة في توجيه الورقة البحثية خلال هذه العملية والتأكد من أنها ذات جودة كافية لتقديمها.

"الإسهام في إثراء الأدبيات"

تتمثل السمة المميزة للمقالات المنشورة في المجلات العلمية المُحكمة في أنها يجب أن تشكل إضافة وتسهم في إثراء الأدبيات العلمية. وهذا يعني أن مقالات المجلات العلمية المُحكمة تحتاج إلى:

- مراجعة الأدبيات التي تناولت المجال قيد الدراسة،
- تقديم تحليل لموادها يضيف شيئًا جديدًا إلى تلك الأدبيات،
- الإدلاء ببيان صريح (في نهاية الملخص وفي قسم الخلاصة) حول الإضافات التي تقدمها هذه الدراسة إلى الأدبيات.

تتطلب بعض المجلات العلمية المُحكمة من المؤلفين كتابة نقاط تلخص "المعلومات المعروفة بالفعل عن الموضوع" و"الإضافات التي تقدمها هذه الدراسة". تطلب منهم هذا لمساعدتهم على أن يكونوا واضحين جدًا في فهمهم وبيان مساهمتهم في إثراء الأدبيات.

المربع ٨-٤ "الإضافات التي تقدمها هذه الدراسة"

نشرت ليندسي ستارك والمؤلفون المشاركون (٢٠١٠) ورقة بحثية بعنوان "Measuring violence against women amidst war and displacement in northern Uganda using the "neighborhood method" (قياس العنف ضد المرأة في خضم الحرب والنزوح في شمال أوغندا باستخدام "طريقة الجوار")" في Journal of Epidemiology and Community Health (مجلة علم الأوبئة وصحة المجتمع). تحدد الورقة البحثية طريقة جديدة - "طريقة الجوار" - لتقدير معدل العنف ضد المرأة. لتلخيص الإضافة إلى الأدبيات، ووفقًا لمتطلبات المجلة، يتضمن البحث الملخص التالي.

المعلومات المعروفة بالفعل عن هذا الموضوع

- للعنف ضد المرأة آثار كبيرة على الصحة الجسدية والجنسية والسلوكية والعقلية.
- يعتبر العنف القائم على النوع الاجتماعي شائعًا على نطاق واسع - ولكن تقاريره أقل شيوعًا - في سياق حالات الطوارئ الإنسانية المعقدة.
- إن التقديرات الموثوقة لحدوث العنف في مثل هذه السياقات نادرة، وذلك بسبب التحديات المنهجية في البيئات المتأثرة بالصراع والحرب.

الإضافات التي تقدمها هذه الدراسة

- تشير هذه الدراسة إلى أن العنف القائم على النوع الاجتماعي - وخاصة العنف الذي يرتكبه شريك الحياة - شائع في أوغندا بعد الصراع والحرب.
- تشير البيانات إلى أن أقل من حالة واحدة من كل عشرة حوادث عنف يتم الإبلاغ عنها رسميًا، مما يشير إلى أن مثل هذه التقارير الرسمية هي أساس غير موثوق به لتقدير التعرض الحالي وتطوير الاستجابات البرمجية.
- يوضح البحث منهجية مبتكرة - "طريقة الجوار" - لتقدير ارتكاب العنف القائم على النوع الاجتماعي وانتهاكات حقوق الإنسان الأخرى.

المصدر: Stark et al. (2010: 1060).

النشاط ٨-٤ "الإضافات التي تقدمها هذه الدراسة"

فكر في أحد الأبحاث التي شاركت فيها مؤخرًا. إذا لم تكن قد أجريت بحثًا مؤخرًا ، ففكر في تدخل أو مشروع آخر شاركت فيه بنشاط. تخيل أنك تريد كتابة البحث أو التجربة. لمساعدتك في معرفة "المساهمة والإضافة إلى الأدبيات"، قم بصياغة نقطتين أو ثلاث نقاط لهذين السؤالين.

ما المعلومات المعروفة بالفعل عن هذا الموضوع:

-
-
-

ما الإضافات التي تقدمها هذه الدراسة:

-
-
-

حتى إذا كانت المجلات المستهدفة لا تتطلب وجود نقاط توضح "الإضافات التي تقدمها هذه الدراسة"، فمن المفيد محاولة كتابتها. يجب أن يوضح الملخص ما تضيفه دراستك بوضوح، ويجب أن تلخص الخلاصات التي تم التوصل إليها مساهمتك.

الملخص

يجب دائمًا كتابة التقارير مع وضع الجمهور في الاعتبار. تقدم التقارير الصادرة في مجال التنمية عرضًا شاملاً للدراسة البحثية. يوجد هيكل قياسي، يجب اتباعه، لمساعدة القراء على تَصفُّحِ التقرير والتنقل بين أقسامه. غالبًا ما تكون أشكال النشر الموجزة والنشطة أكثر فائدة لتحقيق الأثر. يتم الحكم على مقالات مراجعة الأقران بناءً على ما إذا كانت تقدم مساهمة جديدة من شأنها إثراء الأدبيات.

المراجع

Campbell, C., Nair, Y., Maimane, S., Sibiya, Z. and Gibbs, A. (2012) '"Dissemination as intervention": building local HIV competence through the report back of research findings to a South African rural community', *Antipode* 44 (3): 702–24.

Christian Aid (2008) *Condemned, Invisible and Isolated: Stigma and Support for People Living with HIV in Khartoum*, London: Christian Aid, <www.christianaid.org.uk/images/stigmatisation.pdf> [accessed 24 July 2015].

Cornish, F. and Honeywell, S. (2016) 'Disseminating qualitative research: from clarity of writing to collaborative action', in N. King and J. Brooks (eds), *Applied Qualitative Research in Psychology*, Basingstoke: Palgrave Macmillan.

Jejeebhoy, S. J., Santhya, K. G. and Sabarwal, S. (2013) *Gender-based Violence: A Qualitative Exploration of Norms, Experiences and Positive Deviance*, New Delhi: Population Council, <http://r4d.dfid.gov.uk/pdf/outputs/ORIE/Qualitative_report_Formative_Study_VAWG_Bihar_DFID_India.pdf> [accessed 24 July 2015].

Nutley, S., Davies, H. and Walter, I. (2002) *Evidence-based Policy and Practice: Cross Sector Lessons from the UK*, Working paper 9, St Andrews: Research Unit for Research Utilisation, University of St Andrews, <www.kcl.ac.uk/sspp/departments/politicaleconomy/research/cep/pubs/papers/assets/wp9b.pdf> [accessed 24 July 2015].

Sandercock, L. and Attili, G. (2012) 'Unsettling a settler society: film, phronesis and collaborative planning in small-town Canada', in B. Flyvbjerg, T. Landman and S. Schram (eds), *Real Social Science: Applied Phronesis*, Cambridge: Cambridge University Press.

Save the Children (2011) *Psychological Assessment Report: Psychosocial Problems and Needs of Children in Flood Affected Areas in Pakistan*, London: Save the Children, <www.savethechildren.org/atf/cf/%7B9DEF2EBE-10AE-432C-9BD0-DF91D2EBA74A%7D/pakistan-psychological-assessment-2011.pdf> [accessed 24 July 2015].

Stark, L., Roberts, L., Wheaton, M. I. A., Acham, A., Boothby, N. and Ager, A. (2010) 'Measuring violence against women amidst war and displacement in northern Uganda using the "neighborhood method"', *Journal of Epidemiology and Community Health* 64 (12): 1056–61.

مراجع إضافية

Becker, H. S. (1986) *Writing for Social Scientists: How to Start and Finish Your Thesis, Book or Article*, 2nd edn, Chicago IL: Chicago University Press.

Jack, S. (2006) 'Utility of qualitative research findings in evidence-based public health practice', *Public Health Nursing* 23 (3): 277–83.

Sandelowski, M. and Leeman, J. (2012) 'Writing useable qualitative health research findings', *Qualitative Health Research* 22 (10): 1404–13.

تعقيب على الأنشطة

تعقيب على النشاط ٨-١ كتابة ملخص تنفيذي

الملخص التنفيذي

على الرغم من التزامات السياسة الوطنية بالقضاء على العنف ضد النساء والفتيات، تعرضت واحدة من كل ثلاث نساء في الهند للعنف الجسدي أو الجنسي، بل وبمعدل أعلى (٥٦٪) في بيهار (International Institute for Population Sciences and Macro International, 2007).

أجرى مجلس السكان بحثًا تكوينيًا في منطقة باتنا للتوصل إلى فهم أفضل لمعايير وتجارب الفتيات والفتيان والنساء والرجال المتعلقة بقبول العنف الجسدي والعاطفي والجنسي ضد المرأة. استكشفت الدراسة أيضًا العوامل التي قد ترتبط بـ "الانحراف الإيجابي": أي خصائص ودوافع الرجال غير العنيفين. بالإضافة إلى ذلك، استكشفت وعي المشاركين بالبرامج والاستحقاقات ذات الصلة.

أجريت الدراسة في المناطق الريفية في باتنا، وتضمنت ثلاثة مكونات. تم عقد ٢١ مناقشة من مناقشات مجموعة التركيز مع شباب غير متزوجين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٢٥ عامًا، ومع نساء ورجال متزوجين تتراوح أعمارهم بين ١٥ و٥٠ عامًا، حيث تناولت المناقشات التجارب والتصورات المتعلقة بالعنف ضد المرأة وإمكانية طلب المساعدة. كما تم إجراء مسحٍ لنساء متزوجات وأزواجهن (العدد = ١١٨) للتحقيق في تجارب العنف. وأجريت مقابلات متعمقة (العدد = ٣٢) مع أزواج عنيفين وغير عنيفين للتحقيق في خصائص الرجال ودوافعهم ومواقفهم المتعلقة بالعنف ضد زوجاتهم.

عبر المشاركون عن المفاهيم التقليدية للذكورة، ووصفوا "الرجل الحقيقي" بأنه الذي يعيل الأسرة ويعلم أطفاله ويتصرف باحترام داخل القرية. بينما اتفق معظم المشاركين على أن الرجل "الحقيقي" لا يرتكب عنفًا ضد زوجته، واتفق كثيرون على أنهم يلجؤون للعنف في حالة العصيان أو الاستفزاز، ويجب على الرجل "الحقيقي" أن "يسيطر" على زوجته أو يكون عنيفًا معها. ووُصف "الزوج الصالح" بأنه لا يتعاطى الكحول أو يمارس العنف. كانت أوصاف "المرأة الحقيقية" موجزة ومُراعية للنوع الاجتماعي وتتمحور حول أدوار الرعاية وخدمة زوجها وطاعته.

أكدت معظم الفتيات على أن العنف لم يكن مبَررًا أبدًا، ودعون إلى الحل شفهي للنزاع. جادل الأولاد بأن العنف طريقة مناسبة للرد على ما تعتبره النساء أو الفتيات مجرد تجاوزات. اعتبرت أقلية من البالغين المتزوجين (رجال ونساء) أن العنف غير مقبول، بينما ظن الآخرون أنه مقبول في ظل ظروف معينة. تم تعريف ممارسة الجنس بالإكراه خارج العلاقات الزوجية عمومًا على أنه عنف، لكن لم يوافق أي مشارك على أن ممارسة الجنس بالإكراه في إطار الزواج تعتبر اغتصابًا.

اعتبر المشاركون غير المتزوجين أن العنف ضد الفتيات شائع جدًا، ومنه التحرش الجنسي من الأولاد والرجال في الأماكن العامة، والقيود الأبوية على الحركة والسلوك، والعقاب الجسدي من الأقارب. أُعتبر المنزل والمدرسة المساحتين الآمنتين الوحيدتين للفتيات، حيث نادرًا ما تقوم الفتيات بالإبلاغ عن مثل هذا العنف أو اتخاذ إجراء ضده، خاصة إذا كان الجاني أحد أفراد الأسرة.

وفقًا للمشاركين المتزوجين، كان العنف الذي يمارسه الأزواج ضد الزوجات شائعًا. كان الاختلاف في النوع الاجتماعي واضحًا، حيث تم الإبلاغ عن العنف الزوجي بشكل متكرر من النساء أكثر من الرجال.

وفقًا للمُشارِكات، كان العنف الذي يرتكبه أفراد الأسرة بخلاف الزوج شائعًا ومتكررًا. وكان من غير المرجح أن يوافق الرجال على أن أفراد الأسرة هم مرتكبو أعمال العنف.

كان الصمت والتسامح أكثر ردود الفعل التي تم الإبلاغ عنها شيوعًا تجاه العنف الزوجي، لا سيما في حالة العنف الجنسي. وكان من المرجح أن يُطلب الدعم غير الرسمي من أفراد الأسرة والأصدقاء والجيران أكثر من طلبه من مصادر الدعم الرسمية مثل *البانشايات (المجالس المحلية)* أو الشرطة أو المحاكم. إن الخوف من العواقب السلبية مثل المزيد من العنف أو الطرد من المنازل يُثني النساء عن الإبلاغ عن العنف. ووصفت العائلات والأصدقاء بأنهم ليسوا بالضرورة داعمين. اختلفت آراء المشاركين حول ما إذا كان ينبغي للسلطات أن تكون أكثر استباقية، حيث رأى البعض أن العنف مسألة عائلية، بينما رأى آخرون أن مشاركة *البانشايات* والشرطة أمرًا ضروريًا.

يشترك الأزواج غير العنيفين في العديد من الخصائص مع الأزواج العنيفين، لكنهم يشربون كميات أقل من الكحول، ولديهم موقف أكثر إيجابية تجاه المساواة بين النوعين الاجتماعيين؛ لقد قدروا السلام والوئام الزوجي. بينما برر الأزواج العنيفون سلوكهم العنيف بالإشارة إلى المفاهيم التقليدية للذكورة وأقروا أنهم تعرضوا للنقد داخل مجتمعهم بسبب عنفهم.

أفاد المشاركون أنه لا توجد برامج متاحة في قراهم للتصدي للعنف ضد المرأة، وأوصوا بأربعة اتجاهات للبرنامج: الحد من إساءة استخدام الكحول والمخدرات الأخرى، وتمكين المرأة اقتصاديًا، وتغيير الأعراف المتعلقة بالنوع الاجتماعي، ورفع مستوى الوعي بحقوق المرأة والخيارات القانونية.

ينتج عن التقرير توصيات للعمل البرنامجي متعدد الجوانب بين الشباب والكبار، من الإناث والرجال على حد سواء، وكذلك في المدارس والمرافق الصحية وبين مقدمي الخدمات الآخرين.

من أجل منع العنف ضد المرأة، يوصي التقرير بما يلي: برامج لتمكين المرأة وكسر عزلتها الاجتماعية وزيادة فرصها الاقتصادية، وبرامج للرجال والنساء تتحدى الأعراف التقليدية للنوع الاجتماعي، ومعالجة إساءة استخدام الرجال للكحول، وبناء المهارات الحياتية للمراهقين وإرساء قواعد المساواة بين النوعين الاجتماعيين، وتشجيع الآباء على التنشئة الاجتماعية لأطفالهم بأساليب تعتمد المساواة بين النوعين الاجتماعيين.

للحصول على الرعاية والدعم، يوصي التقرير بما يلي: بذل جهود لتحديد النساء المعرضات لخطر العنف وفحصهن وتقديم المشورة لهن، والإعلان عن مرافق المساعدة وتعزيزها.

قائمة المصطلحات

الإثنوغرافيا (وصف الأعراق البشرية)

نوع من الدراسة يقدم صورة كاملة عن أحد المجتمعات، وثقافته، وسياقه، وممارساته. ويمكن استخدام العديد من الطرائق، غالبًا ما تشمل ملاحظة المشاركين.

الاستنتاجات

الملخصات، أو الانطباعات، أو الخلاصات التي يتم التوصل إليها بعد فحص البيانات أو التحقق منها.

إطار الترميز

قائمة من الرموز الوصفية التي تم إنشاؤها بشكل منهجي للتعبير عن محتوى البيانات.

الانعكاسية

إدراك نقدي لكيفية تأثير الموقف المعين الذي اتخذه المراقب المشارك، وتوقعاته، ودوره في كلٍ من العمل الميداني، والمشاركين في البحث، والبيانات.

البحث التشاركي المجتمعي

مقاربة بحثية تمكّن المشاركين من جمع المعلومات والتفكير فيها واستخدامها كفرصة لتشجيع مستوى معين من العمل.

البحث النوعي

طريقة استقصائية تتخذ الاعتقاد بأن هناك فوائد ناتجة عن استكشاف المعاني الاجتماعية والتصورات الخاصة بمسألة أو برنامج، وتحليل معناها، ووصفها نقطة انطلاق له.

البحث

دراسة شيء ما منهجيًا، وجمع معلومات تفصيلية ودقيقة وتقديم تقارير عنها.

بروتوكول الدراسة

مستند يصف تصميم الدراسة والخصائص التنفيذية للدراسة.

http://dx.doi.org/10.3362/9781780448534.005

البيانات

المعلومات التي تم جمعها وتوليدها وتسجيلها بغرض بناء أدلة تخص موضوع ما.

التثليث

مقارنة بين عدد من مصادر البيانات المختلفة وطرائق تأكيد الاستنتاجات التي توصلت إليها. على سبيل المثال، يمكنك مقارنة وجهات نظر المعلمين والطلاب وأولياء الأمور حول جودة التعليم. يمكن أن يؤدي التثليث إلى تعزيز الخلاصات أو تحديد المجالات التي تحتاج إلى مزيد من العمل.

تحليل البيانات

العملية التي يتم من خلالها تقليص البيانات، سواء كانت كمية أو نوعية، لإنتاج تفسير متسق.

التحيز

الميل لتحقيق حصيلة واحدة أكثر من غيرها، غالبًا كنتيجة لإظهار ميل غير عادل لاختيار بعض الأشخاص أو المواقع على الآخرين.

الترميز

فهرسة مجموعة من البيانات من خلال تعيين رموز لها من إطار الترميز.

تصميم الدراسة

المقاربة والإجراء المنهجي المعتمد لمحاولة الإجابة عن سؤال البحث.

التعلّم والعمل التشاركي

مجموعة من الطرائق والمقاربات المستخدمة في البحث العملي، والتي تمكن مجموعات وأفراد متنوعين من التعلم والعمل واتخاذ الإجراءات معًا بطريقة تعاونية، للتركيز على القضايا ذات الاهتمام المشترك، وتحديد التحديات، وتوليد استجابات إيجابية بطريقة تعاونية وديمقراطية.

تقرير البحث

العرض الكامل للبحث الذي تم إجراؤه، ويضم أقسام المقدمة والطرائق والاستنتاجات والقيود والتوصيات.

التقييم التكوينيّ

فحص مبكر لبرنامج فعلي بهدف تحديد المجالات التي تحتاج إلى تحسين في تصميمه وأدائه.

الجهة المسؤولة

"الجهات المسؤولة هي تلك الجهات التي لديها التزام أو مسؤولية معينة لاحترام حقوق الإنسان وتعزيزها وإعمالها والامتناع عن انتهاكات حقوق الإنسان. يستخدم هذا المصطلح بشكل شائع للإشارة إلى الجهات الفاعلة الحكومية، ولكن يمكن أيضًا اعتبار الجهات الفاعلة غير الحكومية من الجهات المسؤولة" (اليونيسف).

دليل الموضوع

قائمة القضايا والأسئلة التي يضعها الباحث وتوجّه المقابلة أو مجموعة التركيز.

الدليل

مجموعة الحقائق أو المعلومات المتاحة التي تشير إلى ما إذا كان الاعتقاد أو الاقتراح صحيحًا أو حقيقيًا.

دورة البرنامج

الإجراءات والتسلسل الذي يتطور البرنامج وفقًا لهما من البداية إلى النهاية.

الرمز

تسمية وصفية أو مفاهيمية يتم تعيينها لأقسام البيانات (على سبيل المثال، جزء نصي من تفريغ صوتي، أو قسم من صورة فوتوغرافية). تعرف عملية تعيين "هذه الرموز" باسم "الترميز".

سؤال البحث

السؤال الذي سيجيب عنه البحث.

الصور التشاركية (Photovoice)

منهجية تمكّن الناس من تعريف وتمثيل وتحسين مجتمعهم وظروف حياتهم من خلال التصوير الفوتوغرافي.

الطريقة المختلطة للبحث

الدمج أو الجمع بين الطرائق النوعية والكمية عمدًا للاستفادة من نقاط القوة التي تختص بها كل منهما في الإجابة عن سؤال البحث.

فحص الواقع

تطوير محدد لمنهجية المُلاحَظَة بالمُشارَكَةِ لأغراض تتعلق بالتقييم؛ حيث يقيم الباحثون مع الأسر لفهم أثر البرنامج في حياتهم اليومية.

قابلية التعميم

القدرة على الإدلاء ببيانات واستنباط خلاصات يمكن تطبيقها بشكل عام.

مجتمع

مجموعة من الناس يتشاركون شيء ما، قد يكون ذلك العيش في المنطقة الجغرافية نفسها أو المشاركة في المواقف أو الاهتمامات أو أنماط الحياة المشتركة.

مراجعة الأقران

العملية التي يتم من خلالها فحص جودة المقالات الأكاديمية من قبل خبراء في هذا المجال، وبالتالي زيادة مصداقية البحث.

المساءلة

الوسائل التي يتحمل بموجبها الأشخاص والمؤسسات المسؤولية عن أفعالهم؛ حيث يضطرون إلى تبريرها أمام أشخاص آخرين.

المشاركة المجتمعية

عملية (ومقاربة) يتحمل فيها أفراد المجتمع المحلي جزء من المسؤولية ويصبحون وكلاء لصحتهم وتنميتهم.

المقابلة الفردية

محادثة منظمة فردية بين الباحث والمشارك، تنتج عنها معلومات عن وجهة نظر المشارك بشأن موضوع.

المقابلة المتعمقة

محادثة فردية بين الباحث والمشارك، وفيها تُقدّم معلومات حول وجهة نظر المشارك.

الملاحظات الميدانية

تسمى أيضًا "المذكرات الميدانية"، وتمثل الملاحظات الميدانية سجل بيانات المُلاحَظة بالمُشارَكَةِ، التي يكتبها الباحث عادةً يوميًا.

المُلاحَظة بالمُشارَكَةِ

إحدى طرائق جمع البيانات؛ حيث يتعرّف الباحث على الحياة اليومية والسياق الأوسع نطاقًا للمجتمع المحلي من خلال قضاء الوقت في رصد الحياة في المجتمع والمشاركة فيها.

الملخص التنفيذي

العرض المكثف "لمشروع بحثي"، والذي ينقل الرسائل المهمة في نص قصير يمكن الوصول إليه.

مناقشة مجموعة التركيز

مناقشة بين أربعة إلى ثمانية مشاركين، يتولى تيسيرها وإدارتها الباحث، لتوليد بيانات حول موضوع البحث من خلال المناقشات بين الأقران.

النشر

الإعلان عن استنتاجات البحث من خلال مجموعة متنوعة من الوسائل ومنها الكتابات والفيديو والأنشطة التشاركية.

منظمة أنقذوا الأطفال (Save the Children).

تعمل منظمة أنقذوا الأطفال في أكثر من ١٢٠ دولة لإنقاذ حياة الأطفال والحفاظ على سلامتهم ومساعدتهم على التعلم. تأسست منظمة أنقذوا الأطفال في المملكة المتحدة عام ١٩١٩، وتساعد اليوم ملايين الأطفال حول العالم من خلال برامج التنمية طويلة الأجل، ومن خلال الاستجابة لحالات الطوارئ للصراعات والكوارث الأخرى، ومن خلال تعزيز حقوق الأطفال.

"كيف نعرف ما إذا كانت برامجنا الإنمائية تعمل على الحد من الفقر وتمكين أضعف الناس ؟ ما هي الأدلة التي لدينا لدعم نظريتنا للتغيير ؟ ويهدف البحث النوعي من أجل التنمية إلى بناء القدرة البحثية للممارسين في مجال التنمية بحيث يستفيد عملهم من الإسهامات الكبيرة التي تقدمها البحوث النوعية القوية. ويوجه الكتاب الممارسين في مجال التنمية من خلال عملية التخطيط لإجراء دراسة نوعية والإبلاغ عنها، مع تسليط الضوء في الوقت نفسه على دور البحوث النوعية في تحسين أثر برامج التنمية وجودتها ومساءلتها. ويغطي بالتفصيل طرق جمع البيانات مثل التعلم والعمل التشاركي، والتصوير الضوئي، والمقابلات الفردية، ومناقشات مجموعة التركيز والملاحظات. إنه يزيل الغموض عن البحث النوعي ويبني مهارات وثقة ممارسي التنمية لاستخدام الأساليب النوعية بشكل موثوق، وإبلاغ النتائج إلى مختلف الجماهير.

ويستند الكتاب إلى خبرة عملية كبيرة ويتضمن دراسات حالة من منظمة إنقاذ الطفولة وغيرها من المنظمات الدولية لتوضيح "الممارسات الجيدة". لتسهيل التعلم، تتضمن جميع الفصول سلسلة من الأنشطة العملية التي يمكن أن تساعد القارئ على المشاركة بنشاط مع المواد. وهذا الكتاب أداة تعليمية لا غنى عنها لجميع العاملين في مجال التنمية داخل المنظمات غير الحكومية والإدارات الحكومية، فضلا عن الباحثين والطلاب المشاركين في البحوث النوعية التطبيقية في سياق التنمية."

التقييم

المتابعة والتقييم

قضايا عامة في المتابعة والتقييم

مركز الأثر
IMPACT CENTER
مستقبل أفضل
BETTER FUTURE

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٩٥٤٨
ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٠٥-٥٥٠٧-٩